

الصَّحِيحُ مِنَ الْأَشْرَافِ

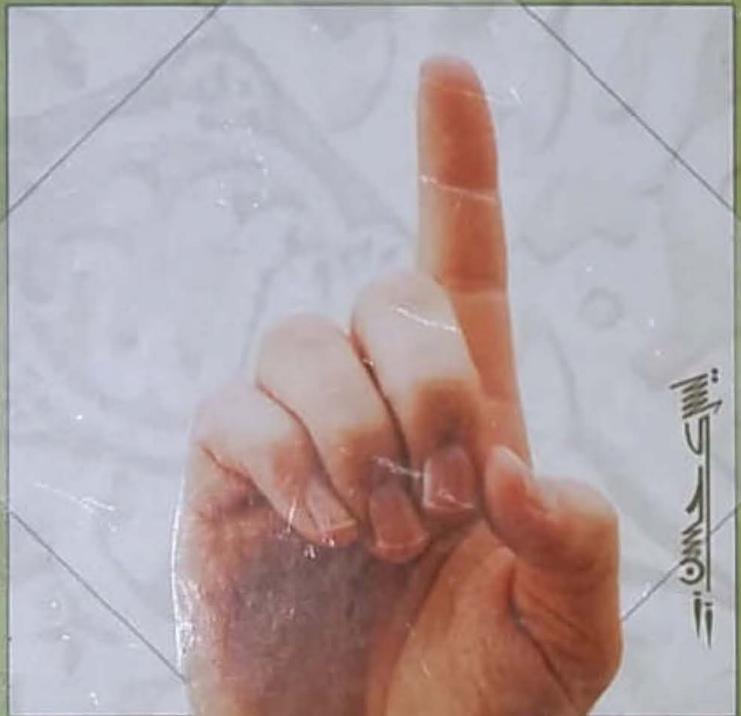
حِطَّةُ الْأَمَلِ

الجزء الرابع

تأليف

أبي محمد القاسم بن محمد قاسم الأسدي

عفا الله عنه



دار الامان
الاسكندرية

شبكة
الألوكة

www.alukah.net

الصَّحِيحُ مِنَ الْأَشْرَفِي
حِطُّ الْأَطْبَائِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب: تصحيح من الأثر في خطب المنبر ج ٢

أستاذ الشيخ: فهد العائدي

رقم الإيداع: ٢٠٠٥: ٢٠١٧.

نوع الطباعة: نون واحد.

عدد الصفحات: ٣٠٠.

القياس: ٢٤×١٧.

محمفوظة
جميع الحقوق

تجهيزت هبة.

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الشبية

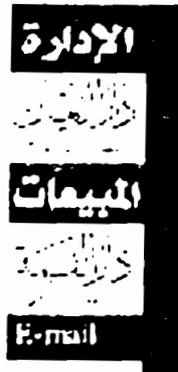
أعمال فيه وتسييم الغلاف: يسرى حسن.

٢٠١٧

الجزء الثاني

١٦ شارع خليل الخياط - مستشفى كامل - الإسكندرية.
تلفون: ٥١٢٧٢١٥ - ٥١١١٤٠١

١٦ شارع حسن الخياط - مستشفى كامل - الإسكندرية.
تلفون: ٥١٢٧٢١٥ - ٥٢٢٦٠٠٢



dar.al.aman@comptel.net.eg

دار الإيمان المتحدة

دار منشورات المعرفة - منشور من دارين للإيمان والهدى

مبنى دار الإيمان - شارع بركة - مصر - ٥٥٠٥٤٤ - شارع

جوال: ٧٧٥٢٠٩٩٣٥

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿ وَاذْكُرُوا أَنَّهُ عَلَّمَكُم مَّا أَرَادَ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظِرَ بِهَا وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة: 231).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿ ذَلِكَ يُعْظِرُ بِهِ - مَن كَانَ مِنكُم يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (التوبة: 232).

فالموفق من وفقه الله إلى سلوك طريقه الرُّسُل - صلوات الله وسلامه عليهم - في دعوتهم.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَرُزُقِيكُمْ وَوَعَلَّمَكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَرَبَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة: 151).

فموعظة الناس بالكتاب والسنة من المطالب العالية، والمقاصد السامية، وكُلِّمًا عَظْمَ الْمَطْلُوبِ وَشَرْفَ، كَثُرَتِ الْعَوَارِضُ وَالْمَوَانِعُ دُونَهُ، كَمَا قِيلَ: «كُلَّمَا كَانَ الْفِعْلُ أَنْفَعَ لِلْعَبِيدِ، وَأَحَبَّ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى -، كَانَ اعْتِرَاضُ الشَّيْطَانِ لَهُ أَكْثَرَ».

فحريٌّ بطالب العلم أن يعظ الناس بالكتاب والسنة، فإنه لا يعدل عنهما إلى الحكايات والقصص إلا من قلَّ حظُّهُ مِنَ التَّوْفِيقِ.

اللَّهُمَّ: «يا وليَّ الإسلامِ وأهلِهِ، بَنِّتْني بِهِ حَتَّى أَلْقَاكَ»⁽¹⁾.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

كُتِبَ

بِإِذْنِ جَمْعِ الرَّقْمِ فَضَّلَ بْنِ جَبْرٍ وَقَائِدِ رِشَاةِ شَرِي

(1) دُعَاءُ نَبِيِّ صَحِيحٍ، أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (653)، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»

(4 / 438) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

عَظَمَةُ اللَّهِ

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

— ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْكَبُوتُ : 102).

— ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

— ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،

وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «عَظَمَةِ اللَّهِ».

الْعَظَمَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،

الْعَظِيمُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (الْبَقَرَةُ : 255).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الْوَاقِعَاتُ : 96 ، الْمُتَفَلِّحَاتُ : 52).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (الْمُتَفَلِّحَاتُ : 33).

8 ————— البصيح من الأشرف بخط المصنف

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الشَّفَاعَةِ، وَفِيهِ: «فَيَقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ازْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فَيَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ، وَلَكِنْ وَعِزَّتِي، وَكِرِّيَاتِي، وَعَظْمَتِي، وَجِرِّيَاتِي، لِأَخْرِجَنَّ مَنْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»⁽²⁾.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي دُعَاءِ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَكِيمُ...».

قَالَ قَوَامُ السُّنَّةِ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَضْبَهَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «الْحُجَّةُ فِي بَيَانِ الْمَحَجَّةِ»⁽⁴⁾:

«الْعَظَمَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، لَا يَقُومُ لَهَا خَلْقٌ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - خَلَقَ بَيْنَ الْخَلْقِ عَظَمَةً يُعَظَّمُ بِهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعَظَّمُ الْمَالِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِفَضْلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِعِلْمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِسُلْطَانٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِجَاهٍ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلْقِ إِنَّمَا يُعَظَّمُ لِمَعْنَى دُونَ مَعْنَى، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يُعَظَّمُ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ تَعْظِيمَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ، وَأَهَمُّ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مَنْ لَا يُعَظَّمُ اللَّهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (توحي: 13). أَي: مَا لَكُمْ لَا تُعَظَّمُونَ اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ.

(1) رواه البخاري (7510)، ومسلم (193 / 326).

(2) أي: لأنفضلن عليهم بإخراجهم من النار من غير شفاعة.

(3) رواه البخاري (7431)، ومسلم (2730).

(4) (41 / 1).



أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ كَانَ نَبِيْنَا - ﷺ - يُرَبِّي أُمَّتَهُ عَلَى وُجُوبِ تَعْظِيمِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلُّنَ . .
 فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى
 النَّبِيِّ - ﷺ - ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ - أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ - إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يُنْسِكُ السَّمَاوَاتِ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِضْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِضْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِضْبَعٍ، وَالْمَاءَ
 وَالثَّرَى عَلَى إِضْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِضْبَعٍ، ثُمَّ يَهْرُهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ.
 فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ
 حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَلَّى
 عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزُّمَرُ: 67).

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ
 ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ، قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ:
 ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ،
 سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ، وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبَلُ
 بِهَا وَيُدْبِرُ، يُمَجِّدُ الرَّبَّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ، فَارْجَفَ
 بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - الْمِنْبَرُ، حَتَّى قُلْنَا: لَيْخَرَنَّ بِهِ . .

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ:
 «يَقْبِضُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا
 الْمَلِكُ، أَيْنَ مَلُوكُ الْأَرْضِ؟» .

(1) رواه البخاري (7451)، ومسلم (2786)، واللفظ له.

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (72 / 2)، وابن أبي عاصم في «السنن» (1 / 240 / 546)، وصححه الألباني في «الصحيح» (29 / 12).

(3) رواه البخاري (7382)، ومسلم (2787).

﴿ 10 ﴾ البصريح من الألفاظ المحظرة في القرآن -

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ تَأَمَّلَ أَعْظَمَ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَهِيَ «آيَةُ الْكُرْسِيِّ»، عَلِمَ أَنَّهَا قَدْ جَمَعَتْ أَوْجُهَ الْعَظَمَةِ لِلْخَالِقِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى -؛ فَاسْتَحَقَّتْ أَنْ تَكُونَ أَعْظَمَ آيَةٍ.

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «أَبَا الْمُنْدِرِ، أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَبَا الْمُنْدِرِ، أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ». قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «لِيَهْنَنَّ لَكَ - يَا أَبَا الْمُنْدِرِ - الْعِلْمُ».

وَالْكُرْسِيُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَعْظَمُ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - بَعْدَ الْعَرْشِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «كِتَابِ الْعَرْشِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعَةُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ». أَتَذَرُونَ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا الْحَلْقَةُ؟ إِنَّهَا الشَّيْءُ الْمُسْتَدِيرُ: كَحَلْقَةِ الْحَاتِمِ وَنَحْوِهِ.

وَالْكُرْسِيُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْ الْعَرْشِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي كِتَابِهِ «مُخْتَصَرُ الْعُلُوِّ»⁽³⁾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يَقْدِرُ قَدْرُهُ إِلَّا لِلَّهِ».

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (1460)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (2 / 460).

(2) «صحيح» أخرجه ابنُ أبي شَيْبَةَ فِي «كِتَابِ الْعَرْشِ» (1 / 114)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (109).

(3) «صحيح» أخرجه الحاكم في «مستدرکه» (2 / 282)، وابن خزيمة في التوحيد (1 / 249) وقال

الذهبي في «العلو» رجاله ثقات. انظر «مختصر العلو» للألباني (102).



أيها الناس، إن عظمة الله - سبحانه وتعالى - تتجلى في خلقه؛ لأن عظمة المخلوق تدل على كمال الخالق وعظمته.

ففي «مسند أحمد»، و«سنن ابن ماجه»، واللفظ له بسند حسن، حسنه الألباني في «الصحيحه»⁽¹⁾ من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أطت [أي: أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت] وحق لها أن تبتط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله».

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - «أن محمدا - ﷺ - رأى جبريل له ستمائة جناح».

وفي «الصحيحين»⁽³⁾ عن مسروق قال: قلت لعائشة - رضي الله عنها - فإين قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴿﴾.

قالت: «ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل، وأنه أتاه هذه المرة في صورته فسد الأفق».

وفي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽⁴⁾ من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ - : «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام».

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (5/ 173)، وابن ماجه (2312) واللفظ له وصححه الألباني في «الصحيحه» (2169).

(2) رواه البخاري (4857)، ومسلم (174).

(3) رواه البخاري (3235)، ومسلم (177).

(4) «صحيح» أخرجه أبو داود (4727)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (854).

قَالَ الْعَلَامَةُ الْعَبَّادُ - حَفَظَهُ اللَّهُ - فِي «شَرْحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: أَيُّ: فَإِذَا كَانَ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ سَبْعُمِائَةٍ عَامٍ فَكَيْفَ بَقِيَّةِ جِسْمِهِ؟ أَيُّ فَهُوَ عَلَى ضَخَامَةِ عَظِيمَةٍ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهَا وَقَدَرَهَا إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - «⁽¹⁾».

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعَنْقُهُ مُشْنٌ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيُرَدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِكَاذِبًا».

قَالَ الْمَنَاوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «التَّيْسِيرُ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ»⁽³⁾: «إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ» أَيُّ عَنْ عِظَمِ جُنَّةِ مَلِكٍ فِي صُورَةِ دِيكَ. «قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ» أَيُّ وَصَلْنَا إِلَيْهَا وَخَرَقْنَاهَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ. «وَعَنْقُهُ مُشْنَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ» زَادَ فِي رِوَايَةِ «رَبَّنَا» «فَيُرَدُّ عَلَيْهِ» أَيُّ: فَيُجِيبُهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ بِقَوْلِهِ: «لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ» أَيُّ عَظَمَةَ سُلْطَانِي وَسَطْوَةَ انْتِقَامِي «مَنْ حَلَفَ بِكَاذِبًا» فَإِنَّهُ لَوْ نَظَرَ إِلَى كَمَالِ الْجَلَالِ وَتَأَمَّلَ فِي عِظَمِ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عِظَمِ خَالِقِهَا لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَى ذَلِكَ فَالْجُرْأَةُ عَلَى الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ مَنْشُؤُهَا كَمَالُ الْجَهْلِ بِاللَّهِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَفِيهِ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ جَبْرِيْلُ، قِيلَ:

(1) شرح سنن أبي داود للعباد (27 / 195).

(2) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (6503)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (1 / 231).

(3) (1 / 493).

(4) رواه البخاري (7515) عن أبي هريرة، ومسلم (162) عن أنس واللفظ له.



وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ - ﷺ - قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيَّ. فَتَوَخَّ لَكَ، فَإِنَّا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ - ﷺ - مُسْنِدٌ ظَهَرَهُ إِلَى السَّبْتِ الْمُعْتَمَرِ، وَإِنَّا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعْرُونَ إِلَيْهِ.

قوله: لَا يَعْرُونَ أَي يَأْتِي مَلَائِكَةُ غَيْرُهُمْ. قَالَ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ الْمَلَائِكَةِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ -».

تلك - أَيهَا النَّاسُ - بَعْضُ الْآيَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى عِظَمَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِمَا تَحَمَّنُهُ الْعُقُولُ، وَإِلَّا فَعِظَمَةُ اللَّهِ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهَا عَقْلٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ أَمَامَكُمْ نَافِذَةٌ وَاسِعَةٌ سِعَةُ الْكَوْنِ كُلِّهِ، إِعْجَازٌ بَاهِرٌ، وَآيَاتٌ كَرِيمَةٌ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿١﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَسْنَاهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ نَبِيحٌ ﴿٢﴾ تَبَعِيرٌ وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عِبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٣﴾ وَزَيَّنَّا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَبْنَوتًا وَحَبَّ الْعَقِيدِ ﴿٤﴾ وَالنَّخْلَ أَيْسَقِنَا لَمَّا طَلَعَ نُجُودٌ ﴿٥﴾ وَزَيَّنَّا لِلْعِبَادِ لَحْيِينًا بِهِ. بَلَدَةٌ مِينَاءُ كَذَلِكَ الْفُرُوجُ ﴿ (ت: 6-11) .

أَيُّهَا النَّاسُ، انظُرُوا إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ يَدُورَانِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَتَقَلَّبَانِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى لَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿ (التَّقْوَاتُ : 29) .

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِنَّهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَظْلَمَةٍ ﴿١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِنَّهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَنْكُرُونَ فِيهِ أَوْ لَظْلَمَةٍ ﴿٢﴾ (التَّقْوَاتُ : 71، 72) .

البعوض من الأشياء بِحُجَّتِهَا فِي الْبَرِّ -

أَيُّهَا النَّاسُ، مَاذَا تَفْعَلُ لَوْ لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ؟ مَاذَا تَفْعَلُ إِذَا لَمْ يَغِبِ الْقَمَرُ؟ أَوْ مَاذَا تَفْعَلُ إِذَا لَمْ يَطْلُعِ الْقَمَرُ؟ كَيْفَ نَعِيشُ؟ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ النُّجُومِ وَالْحِسَابُ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يُونُسَ : 5).

أَيُّهَا النَّاسُ، انظُرُوا إِلَى تَكْوِينِ أَنْفُسِكُمْ، وَتَرَاكِبِ أَجْسَامِكُمْ، مَنْ ذَا الَّذِي جَعَلَهُ فِي هَذَا التَّرَكِيبِ الدَّقِيقِ، وَهَذَا النِّظَامِ الْعَجِيبِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (اللَّاحِظَاتِ : 21).

أَيُّهَا النَّاسُ، عَظَمَةُ اللَّهِ تَتَجَلَّى فِي النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، فِي الْفَاكِهَةِ وَالشَّمْرِ، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَمَنْ تَأَمَّلَ عَظَمَةَ اللَّهِ حَقَّ التَّأَمُّلِ قَدَرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَعَظَمَهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَأَنْطَلَقَ لِسَانُهُ بِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَخَضَعَتْ مَشَاعِرُهُ لِسُلْطَانِ اللَّهِ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.



الخطبة الثانية - ثمار تعظيم الله :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ تَعْظِيمِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - وَأَلَانَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَسَأَذْكَرُ طَرَفًا مِنْهَا: فَمِنْ ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ؛ الإِقْرَارُ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَالْحُضُوعُ لِأُلُوهِيَّتِهِ، وَالْإِخْلَاصُ فِي عِبَادَتِهِ، وَعَدَمُ الإِشْرَاقِ مَعَهُ غَيْرُهُ.

وَمِنْ ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ زِيَادَةُ الإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الإِيمَانَ مَبْنِيٌّ عَلَى الإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَمَنْزِلَةُ التَّعْظِيمِ مَعَهُ تَابِعٌ لِلْمَعْرِفَةِ، وَعَلَى قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ يَكُونُ تَعْظِيمُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - فِي الْقَلْبِ وَأَعْرَفُ النَّاسِ بِهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - أَشَدُّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا.

فَالْمَلَائِكَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَمَّا كَانُوا مِنْ أَعْلَمِ الْخَلْقِ بِاللَّهِ عَظُمُوهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ فَعَبَدُوهُ سُبْحَانَهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ وَلَمْ يَسْتَكْبِرُوا عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَمْ يَسْتَكْبِرُوا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٧﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الانبیاء: 19، 20).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - فِي وَصْفِهِمْ: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (الانبیاء: 27، 28).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (الجنات: 50).

الصحیح من الاشراف بخط ابن كثير

16

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: إن نبي الله - ﷺ - قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء أي إذا تكلم بالوحي أخذت السماء رجفة من خوف الله - ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً - أي خاضعين - لقوله كأنه - أي القول المسموع كلام الله - يسلسله على صفوان، فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير».

ومن تلك الثمار - أيها الناس - أنه متى امتلأ القلب بعظمة الله يجعل المسلم هادئ البال ساكن النفس، فلا يجزئه تقلب الذين كفروا في البلاد؛ فإنه لكل ظالم نهاية فمهما طفوا وبغوا فالله هو القوي الذي لا يغلب.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَهَا شِيعًا يَسْتَضِعُّونَ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ ﴾ (القصص: 4).

فماذا كانت النتيجة؟

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَأَخَذْتَهُمْ وَجُودَهُ فَبَبَذْتَهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (الدخان: 40).

ومن تلك الثمار - أيها الناس - أن معرفتنا بعظمة الله تورث القلب الشعور الحقي بمعيته - سبحانه وتعالى - والتي تفيض السكينة في المحن والبصيرة في الفتن.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَلَمَّا تَرَى الْجَنَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُونٌ ﴾ (الشعراء: 61).

أي: أن البحر أمامهم والعدو خلفهم فأين المفر؟

فيرد عليهم موسى - ﷺ - باستشعار لعظمة الله وثقة كاملة بموعوده وإيمان بمعيته له: ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (الشعراء: 62).

(1) رواه البخاري (4424).



وَكُلُّ أَحَدٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِذَا خَافَهُ الْعَبْدُ هَرَبَ مِنْهُ إِلَّا اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - فَإِنَّهُ إِذَا خَافَهُ هَرَبَ إِلَيْهِ. وَمَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرِبَ⁽¹⁾.

وَحُكْمُ الْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ وَاجِبٌ، وَمَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ فَهُوَ آئِمٌّ. وَقَدْ دَلَّ عَلَى وُجُوبِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ. فَمِنْ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُوبِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ:

قَوْلُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (النِّعْمَانِ : 175).

قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِهِ: «وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ وَجُوبُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ وَخُدُّهُ، وَأَنَّهُ مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ، فَعَلَى قَدْرِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ يَكُونُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ»⁽²⁾.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخِشُوا ﴾ (الْمَائِدَةِ : 44).

قَالَ ابْنُ سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِهِ: «أَمَرَ اللَّهُ بِخَشْيَتِهِ الَّتِي هِيَ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ، فَمَنْ لَمْ يَخْشِ اللَّهَ لَمْ يَنْكَفَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَلَمْ يَمْتَثِلْ أَمْرَهُ»⁽³⁾.

وَالْحَشْيَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - خَوْفٌ مَبْنِيٌّ عَلَى عِلْمٍ، فَهِيَ أَحْصُ مِنَ الْخَوْفِ وَلَا تَكُونُ إِلَّا لِلْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (قَطِيعًا : 28). فَهَذَا خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِمَعْرِفَةٍ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ».

(1) انظر «بصائر ذوي التمييز» (2/ 577).

(2) تفسير ابن سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - (ص 157).

(3) المرجع السابق (ص 233).

— البصيح من الأشيخ بخط ابن جرير — 21 —

فَخَوْفُ النَّبِيِّ - ﷺ - أَيُّهَا النَّاسُ - خَوْفًا مَقْرُونًا بِمَعْرِفَةٍ؛ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسَ بِاللَّهِ. فَعَلَيْهِ نَقُولُ: الْخَوْفُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحَشْيَةُ لِلْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ، وَعَلَى قَدْرِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ يَكُونُ الْخَوْفُ وَالْحَشْيَةُ. فَصَاحِبُ الْخَوْفِ يَلْتَجِيءُ إِلَى الْهَرَبِ وَصَاحِبُ الْحَشْيَةِ يَلْتَجِيءُ إِلَى الْإِعْتِصَامِ بِالْعِلْمِ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «الْحَشْيَةُ خَوْفٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْعِلْمِ بِعَظَمَةِ مَنْ يُحْشَى وَكِبَالِ سُلْطَانِهِ، فَإِذَا خِفتَ مِنْ شَخْصٍ لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ يَقْدِرُ عَلَيْكَ أَمْ لَا، فَهَذَا خَوْفٌ. وَإِذَا خِفتَ مِنْ شَخْصٍ تَعْلَمُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْكَ، فَهَذِهِ حَشْيَةٌ.»
وَلِلْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ مَنَافِعُ وَمَسَارٌ وَفَوَائِدُ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَسَوْفَ أَذْكَرُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ.

فَمِنَ الْفَوَائِدِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - جَعَلَهُ شَرْطًا لِحُصُولِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التغذبات: 175).

قَالَ ابْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «لَا تَخَافُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا يَعْظَمَنَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُمْ، وَلَا تَرْهَبُوا جَمْعَهُمْ مَعَ طَاعَتِكُمْ إِيَّايَ، مَا أَطَعْتُمُونِي وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي، وَإِنِّي مُتَكَفِّلٌ لَكُمْ بِالنَّصْرِ وَالظَّفْرِ، وَلَكِنْ خَافُونِي وَاتَّقُونِي أَنْ تَعْصُونِي، وَتُخَالِفُوا أَمْرِي فَتَهْلِكُوا، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»⁽¹⁾.

وَمِنَ فَوَائِدِ الْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ التَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَتُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَتُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (الأنعام: 13، 14).

(1) تفسير الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ - (4 / 184).



وَمِنْ فَوَائِدِ الْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَنْعَثُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْإِخْلَاصِ فِيهِ .
قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا نَطْمَعُكُمْ لِيُوجِبَ اللَّهُ لَكُمْ أَجْرًا وَلَا تَشْكُرُوا ﴾ (الْإِنشَاءُ : 9، 10).

فَمِنْ أَجْلِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ لِيُوجِبَ اللَّهُ ﴿ إِنَّمَا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غَمًًّا قَدِيرًا ﴾
أَيُّ أَنَّهُ يَوْمٌ طَوِيلٌ غَمٌّ شَدِيدٌ هَوْلُهُ عَظِيمٌ أَمْرُهُ، تَعَسُّسٌ فِيهِ الْوُجُوهُ مِنْ شِدَّةِ
الْمَكْرُوهَاتِ الَّتِي تَرَاهَا وَيَطُولُ بَلَاءُ أَهْلِهَا وَيَسْتَدُّ؛ إِنَّهُ يَوْمٌ عَصِيبٌ !..

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُدْخِلُونَهَا يُحَلِّقُونَ فِيهَا
بِالْقُدُورِ وَالْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ يَجَالُ لَا تُلْهِمِهِمْ كَيْدًا وَلَا بَعْثًا عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا
تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (النُّورُ : 36، 37).

فَالْخَوْفُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الَّذِي دَفَعَهُمْ إِلَى الْعَمَلِ فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ التَّجَارَةُ وَلَا
الْمَالُ وَلَا الْمَادَّةُ وَلَا الْإِغْرَاءَاتُ الدُّنْيَوِيَّةُ عَنِ الذَّهَابِ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَعِمَارَتِهَا
بِالصَّلَاةِ وَذِكْرِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ؛ لِأَنَّهُمْ ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾
أَيُّ: تَضْطَرِبُ، وَتَتَقَلَّبُ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِطْرَتِهِ فَهُمْ - أَيُّهَا
النَّاسُ - يُرِيدُونَ النِّجَاةَ وَيَحْذَرُونَ الْهَلَكَ، وَيَخَافُونَ أَنْ يُؤْخَذَ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ،
يَخَافُونَ أَنْ يُؤْتُوا كُتُبَهُمْ بِشَمَالِهِمْ، كَذَلِكَ يَعْمَلُونَ.

فَمِنْ فَوَائِدِ الْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَقْمَعُ الشَّهَوَاتِ وَيُكَدِّرُ اللَّذَّاتِ، فَتَصِيرُ
الْمَعَاصِي الْمَحْبُوبَةَ عِنْدَهُ مَكْرُوهَةً مُكَدَّرَةً.

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ تَكْدِيرَ اللَّذَائِدِ الْمُبَاحَةِ،
فَالرَّسُولُ ﷺ - «اسْتَمْتَعَ بِمُبَاحَاتِ الدُّنْيَا، وَهُوَ إِمَامُ الْخَائِفِينَ وَهُوَ الْقَائِلُ كَمَا
فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ

23 - يصحح من الاستيفاء بخطيبنا الكبير

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «حُبُّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءِ وَالطِّيبِ، جَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»⁽¹⁾.

وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنَّ الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ يُكَدِّرُ الْأَذَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ بِتَذَكُّرِ عَذَابِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ مِنْ وَقَعِ فِيهَا فَانزَانِي - أَيُّهَا النَّاسُ - لَوْ تَذَكَّرَ عَذَابَ اللَّهِ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ تَكَدَّرَتْ لَذَّةُ بَلِّ وَتَذَكَّرَ - فَقَطُّ - مَا يَسْظُرُهُ فِي قَبْرِهِ نَتَكَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّذَّةُ الْمُحَرَّمَاتِ، وَكَذَلِكَ قَاتِلُ النَّفْسِ شَارِبُ أَحْمَرٍ وَالسَّارِقُ وَمَنْ يَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَمَنْ يَظْلِمُ النَّاسَ فِي أَمْوَالِهِمْ أَعْرَاضِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ لَوْ عَلِمَ هَؤُلَاءِ وَعَيْرُهُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ وَعَيْرِهِمْ مَا سَظُرَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي قَبْرِهِمْ وَيَوْمَ حَشْرِهِمْ لَذَاقُوا مَرَارَةَ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِلْحَائِفِ مِنَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا لَهُ مَنَزِلَةٌ عِنْدَ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَيُّ مَنَزِلَةٍ. فَمِنْ مَنَزِلَةِ الْحَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَرْضَى عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (الْبَيْتَةَ : 8).

أَيُّ أَنَّ الرِّضَا مِنَ اللَّهِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ خَافَ اللَّهَ، فَأَحْجَمَ عَنْ مَعَاصِيهِ، وَقَامَ بِهَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وَمِنْ مَنَزِلَةِ الْحَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ لَهُ جَنَّاتٍ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (الزَّحْرُفُ : 46).

أَيُّ أَنَّ الَّذِي خَافَ رَبَّهُ فَتَرَكَ مَا نَهَى عَنْهُ وَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، لَهُ جَنَّاتٍ.

أَتَدْرُونَ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا الْجَنَّاتُ؟ إِنَّهَا جَنَّاتٌ مِنْ دَهَبٍ آيَاتُهُمَا وَحِلْيَتُهُمَا وَبُنْيَانُهُمَا وَمَا

فِيهَا. وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - تِلْكَ الْجَنَّاتِ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (الزَّحْرُفُ : 48).

(1) (صحيح) أخرجه أحمد (11884)، والنسائي في «عشرة النساء» (3939)، وصححه الألباني في

اصحيح الجامع (3124).



أَيُّ ذَوَاتَا أَنْوَاعٍ وَأَصْنَافٍ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ النَّعِيمِ وَأَنْوَاعِهِ.

وَوَصَفَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - تِلْكَ الْجُتَّتَانِ بِأَوْصَافٍ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ
تَجْرِيَانِ ﴿١٠﴾ فَإِنِّي ءَأَلَيْهِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١١﴾ فِيهَا مِنْ كُلِّ فِكْهَةٍ رَوْحَانِ ﴿١٢﴾ فَإِنِّي ءَأَلَيْهِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٣﴾
مُتَّكِبِينَ عَلَى فُرُجَيْهَا بَطَانُهَا مِنْ إِسْتَرْفٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ ﴿١٤﴾ فَإِنِّي ءَأَلَيْهِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٥﴾ فِيهَا قَصِيرَتُ
الْظَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِسْرُ قَتْلَهُنَّ وَلَا جَانٌ ﴿١٦﴾ فَإِنِّي ءَأَلَيْهِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿١٨﴾
فَإِنِّي ءَأَلَيْهِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿التَّحْنُوتُ: 50-60﴾.

وَمِنْ مَنَزِلَةِ الْخَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ وَالنَّعِيمِ الْعَظِيمِ
مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - :
﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٧﴾
﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٨﴾ فَلَا تَعْلَمُ
نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿التَّحْنُوتُ: 15-17﴾.

وَمِنْ مَنَزِلَةِ الْخَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ آمِنًا فَلَا يَخَافُ أَبَدًا.
فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانٍ فِي «صَحِيحِهِ» وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» وَابْنُ الْمُبَارَكِ
فِي «الزُّهْدِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي الْحَدِيثِ
الْقُدْسِيِّ: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا هُوَ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا؛
أَمَّتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمَّنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ فِي الْآخِرَةِ»^(١).

(1) «حسن» أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (1 / 51) من حديث الحسن مرسل، وأخرجه ابن حبان

(2 / 406) والبيهقي في «شعب الإيمان» (1 / 483)، من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

قال الدارقطني في «العلل» (8 / 38): إنها يعرف من حديث الحسن مرسلًا، وأخرجه الطبراني في

«مسند الشاميين» (1 / 266)، وأبو نعيم في «الحلية» (1 / 270) من حديث شداد بن أوس -

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (4332).

وَمِنْ مَنزِلَةِ الْحَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَسْتَظِلُّ فِي ظِلِّ اللَّهِ كَمَا فِي
«الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، ... وَذَكَرَ مِنْهُمْ «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ
مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ».

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ مَنزِلَةِ الْحَائِفِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَبَشْرُهُ بِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾

(الرَّحْمَنُ : 17، 18).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) أخرجه البخاري (1423)، ومسلم (1031).



الخطبة الثانية - أسباب الخوف من الله :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن الخوف من الله، والآن حديثي معكم عن «أسباب الخوف من الله».

فمن أسباب الخوف من الله - أيها الناس - طلب العلم الشرعي.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (نمل: 28).

«لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه، وإذا لم يعرفه لم يخف منه، فلذلك خص العلماء بالخشية»⁽¹⁾.

ومعلوم أن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم وكانوا مع ذلك أكثر الناس عبادة لله - سبحانه وتعالى - وأشدهم خوفاً منه وطمعاً في رحمته⁽²⁾، وكذلك أهل العلم.

ومن الأسباب الجالبة للخوف من الله - أيها الناس - إجلال الله وتعظيمه فإن ذلك يقتضي الخوف والهيبه منه - سبحانه وتعالى - وهذا فائدة معرفة أسمائه وصفاته. فمن علم أن ربه متقم شديد العقاب، متكبر، مهين، على كل شيء قدير خافه ولاذ بجنايه.

لهذا كان أعظمهم له خوفاً وخشية أشدهم له تعظيماً.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (1 / 1637).

(2) أضواء البيان (16 / 144).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (الغَفْلَةُ : 50).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ - أَي: إِذَا تَكَلَّمَ بِالرُّوحِ أَخَذَتِ السَّمَاءُ رَجْفَةً مِنْ خَوْفِ اللَّهِ - ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَانًا - أَي خَاضِعِينَ - لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ - أَي الْقَوْلُ الْمَسْمُوعُ كَلَامُ اللَّهِ - سِلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ».

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ.

وَقَدْ كَانَ نَبِيْنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُرَبِّي أُمَّتَهُ عَلَى وُجُوبِ تَعْظِيمِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! - أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! - إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يُمِسُّكَ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِضْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِضْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِضْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِضْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِضْبَعٍ، ثُمَّ يَهْرُغُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصَدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بِقَضَاهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزُّمَرُ : 67).

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أُذِنَ لِي أَنْ

(1) رواه البخاري (4424).

(2) رواه البخاري (7451)، ومسلم (2786)، واللفظ له.

(3) «صحيح» أخرجه أبو داود (4727)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (854).



أَحَدَتْ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ إِلَى عَاتِقَيْهِ مَسِيرَةٌ سَبْعُمِائَةٍ عَامٍ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ اللَّهَ أُذُنِي لِي أَنْ أَحَدْتُ عَنْ دِيكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعَعْنَتُهُ مُشْنِي تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيُرَدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا».

قَالَ الْمَنَاوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «التَّبْسِيرُ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ»⁽²⁾: «إِنَّ اللَّهَ أُذُنِي لِي أَنْ أَحَدْتُ عَنْ دِيكٍ» أَي عَنْ عِظْمِ جُذَّةِ مَلَكٍ فِي صُورَةِ دِيكٍ. «قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ» أَي وَصَلَتَا إِلَيْهَا وَخَرَقَتَاهَا وَخَرَجَتَا مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ. «وَعَعْنَتُهُ مُشْنِي تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ» زَادَ فِي رِوَايَةِ «رَبَّنَا» «فَيُرَدُّ عَلَيْهِ» أَي: فَيَجِيبُهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ بِقَوْلِهِ: «لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ» أَي عِظْمَةُ سُلْطَانِي وَسَطْوَةٌ انْتِقَامِي «مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا» فَإِنَّهُ لَوْ نَظَرَ إِلَى كَمَالِ الْجَلَالِ وَتَأَمَّلَ فِي عِظْمِ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عِظْمِ خَالِقِهَا لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَى ذَلِكَ فَالْجَرَاءُ عَلَى الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ مَنْشُؤُهَا كَمَالُ الْجَهْلِ بِاللَّهِ. وَمِنْ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي جَنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا».

(1) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (6503)، وصححه الألباني في «الصحيح» (1/231).

(2) (1/493).

(3) «صحيح» أخرجه أحمد (5/173)، والترمذي (2312) وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه

(14190) واللفظ له، وصححه الألباني في «الصحيح» (2169).

— الصحيحُ من الأثرِ في حُطْبِ النَّبِيِّ ﷺ —

29

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِي أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ، شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْعُرُودُ ﴾ (الْقِسْمَانِ : 33) .

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِي النَّارِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ الْعِظَامِ . قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ ﴾ (الْمُنَظَّرُ : 35) .

فَهَذَا أَعْظَمُ إِنْذَارٍ كَبُرَتْ مُنْذِرَةٌ دَاهِيَةٌ عَظِيمَةٌ أَعْظَمُ الدَّوَاهِي .
قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « مَا أَنْذَرَتِ الْخَلَائِقُ شَيْئًا قَطُّ أَخْضَعَ مِنْهَا » .
وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْوَيْحِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (الْكَهْفُ : 28) .

وَمِنَ الْأُمُورِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ سِيرِ الْخَائِفِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَالشَّافِعِيِّ وَمَالِكِ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَالبُّخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ الَّذِينَ عَنْهُمْ ابْنُ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِقَوْلِهِ :

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ ○●○ فَيَسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعٌ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا ○●○ وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعٌ
لَهُمْ نَحْتُ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُودٌ ○●○ أَنْبِئْ مِنْهُ تَنْفِرُجُ الضُّلُوعُ
وَخَرَسُ بِالنَّهَارِ لِطُولِ صَمْتِ ○●○ عَلَيْهِمْ مِنْ سَكِيَّتِهِمْ خُشُوعٌ



وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ.

فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَسْأَلُ اللَّهَ الْحَشِيَّةَ، وَالْحَشِيَّةُ هِيَ خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِعِلْمٍ - كَمَا تَقَدَّمَ - فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ لِأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يُحَوِّلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقَوَاتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا».

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ، وَسُنَنِ النَّسَائِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «... اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ».

فَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرٍ مَا سَأَلْنَاكَ بِهِ نَبِيَّكَ مُحَمَّدٌ، وَنَسْتَعِينُكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ بِهِ نَبِيَّكَ مُحَمَّدٌ، اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يُحَوِّلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

(1) «حسن» رواه الترمذي (3502)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (1268).

(2) «صحيح» رواه أحمد (17861)، والنسائي (1306)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (1301).

الرجاء 3

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْبَقَرَةُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَحْوٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَحْزَابُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الرَّجَاءِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا كَانَ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ هُوَ سَوْطُ اللَّهِ يَسُوقُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَى الْمُواظَبَةِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَإِنَّ «الرَّجَاءَ» كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «حَادٍ يَجِدُ بِهِ فِي سَبِيلِهِ إِلَى اللَّهِ، وَيَطِيبُ لَهُ الْمَسِيرَ، وَيَجُتُّ عَلَيْهِ، وَيَبْعَثُهُ عَلَى مُلَازِمَتِهِ. فَلَوْلَا الرَّجَاءُ لَمَا سَارَ أَحَدٌ. فَإِنَّ الْخَوْفَ وَحْدَهُ لَا يُجَرِّكُ الْعَبْدَ، وَإِنَّمَا يُجَرِّكُهُ الْحُبُّ، وَيُرْعِجُهُ الْخَوْفُ وَيَجِدُوهُ الرَّجَاءُ»⁽¹⁾.

(1) «مدارج السالكين» (2 / 241).



فَالْقَلْبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ - كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ، فَالْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ، فَمَتَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّيْرُ جَيِّدُ الطَّيْرَانِ، وَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ وَمَتَى فُقِدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ وَكَاسِرٍ، لَكِنَّ السَّلْفَ اسْتَحَبُّوا أَنْ يَقْوَى فِي الصَّحَّةِ جَنَاحُ الْخَوْفِ عَلَى جَنَاحِ الرَّجَاءِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا يُقْوَى جَنَاحُ الرَّجَاءِ عَلَى جَنَاحِ الْخَوْفِ»⁽¹⁾.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ «الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّي» - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ «التَّمَنِّي» يَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ، وَلَا يَسْلُكُ بِصَاحِبِهِ طَرِيقَ الْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ، وَ«الرَّجَاءُ» يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجُهْدِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ.

فَالأَوَّلُ - «كَحَالِ مَنْ يَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ لَهُ أَرْضٌ يَبْدُرُهَا وَيَأْخُذُ زَرْعَهَا.

وَالثَّانِي - كَحَالِ مَنْ يَشْتَقُّ أَرْضَهُ وَيُفْلِحُهَا وَيَبْدُرُهَا، وَيَرْجُو طُلُوعَ الزَّرْعِ.

هَذَا أَجْمَعَ الْعَارِضُونَ أَنَّ الرَّجَاءَ لَا يَصْلِحُ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ وَرَدَ الرَّجَاءُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ وَسَأَذْكَرُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ. فَمِنْهَا:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ

وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (الأنبياء: 57).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «فَابْتِغَاءُ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ: طَلَبُ الْقُرْبِ مِنْهُ بِالْعِبُودِيَّةِ

وَالْمَحَبَّةِ، فَذَكَرَ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ الثَّلَاثَةَ الَّتِي عَلَيْهَا بِنَاؤُهُ: الْحُبُّ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ»⁽³⁾.

(1) المرجع السابق (1 / 517).

(2) المرجع السابق (2 / 217 - 218).

(3) «مدارج السالكين» (2 / 35).

— البصريح من الأشرفي بخط ابن التبريزي — 33 —

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - مُخْبِرًا عَنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٥١﴾ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ (تَعْظِيمًا: 44، 45).

فَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَمَّا خَسَنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - وَقَالَ: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ أَيُّ أَسْلَمْتُهُ إِلَى اللَّهِ لِيُعْصِمَنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ كَانَ الْجَوَابُ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾. وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الرَّبِّيزُ: 53).

قَالَ ابْنُ سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «اعْرِفُوا رَبَّكُمْ بِأَسْمَائِهِ الدَّالَّةِ عَلَى كَرَمِهِ وَجُودِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، مِنَ الشَّرْكِ وَالْقَتْلِ، وَالزَّانَا، وَالرَّبَّاءِ، وَالظُّلْمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَيَأَسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ كُلَّهَا، وَلَيْسَ الْخِطَابُ لِمَنْ عِنْدَهُمْ مَعَاصٍ قَلِيلَةٌ بَلْ لِمَنْ أَسْرَفُوا وَكَثُرَتْ مَعَاصِيهِمْ. فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ بِالرَّجَاءِ، وَالْكَرِيمِ إِذَا أَمَرَ بِالرَّجَاءِ لَا يَلِيْقُ بِهِ إِلَّا الْكَرَمُ.

فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَمَا يَرُويهِ عَنْ رَبِّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - أَنَّهُ قَالَ: «يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَايَ، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَايَ، يَا

(1) تفسير ابن سعدي (736).

(2) «حسن» أخرجه الترمذي (2/270)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (4338).



ابن آدم! لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة.

أيها الناس إن الله - سبحانه وتعالى - قد فتح لنا بابا عظيما ألا وهو باب الرجاء. ففي الحديث - بشارة عظيمة، وحلم وكرم عظيم، ومالا يخفى من أنواع الفضل والإحسان، والرافة والرحمة والامتنان.

والرجاء - أيها الناس - أساسه حسن الظن بالله - سبحانه وتعالى - ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي - ﷺ - : «يقول الله - سبحانه وتعالى - أنا عند ظن عبدي بي إذا ذكرني فليظن بي عبدي ما شاء».

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - قوله: «أنا عند ظن عبدي بي أي قادر على أن أعمل به ما ظن أي عامل به»⁽²⁾.

أيها الناس إنه متى عظم الرجاء بالله وأيقن أن الله - سبحانه وتعالى - سيغفر له وعظم ذلك في قلبه فقد حصل له مطلوبه؛ لأنه قام في قلبه إحسان الظن به وإعظام الرغبة إليه، والمراد بالظن هنا العلم لقوله تعالى: ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ كما نبه على ذلك ابن أبي جمرة - رحمه الله -⁽³⁾.

أيها الناس إن أحاديث الرجاء أضعاف أحاديث الخوف وما ذاك إلا لعظم أهميته؛ ولأن اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله كفر بالله العظيم.

(1) «صحيح» رواه أحمد في المسند (3/491)، وابن حبان (633/634)، والحاكم في المستدرک

(340/4) من حديث وائلة بن الأسقع - رضي الله عنه -.

وأخرجه - أيضا - أحمد (2/315، 445)، والبخاري (7505)، ومسلم (7675)، والبعوني في

شرح السنة (1225) وابن حبان (639) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(2) الفتوح (13/385).

(3) فيض القدير (4/642).

— البصريح من الأشرفي بخطه الشريف — 35 —

قَالَ الطَّيْبِيُّ قَالَ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «قَدْ تَبَعْتُ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ فِي الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَوَجَدْتُ أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ أضعافَ أَحَادِيثِ الْخَوْفِ مَعَ ظُهُورِ الرَّجَاءِ فِيهَا قُلْتُ لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا حَدِيثٌ وَاحِدٌ وَهُوَ سَبَقْتُ أَوْ غَلَبْتُ رَحِمَتِي عَلَى غَضَبِي لَكَفَى دَلِيلًا عَلَى تَرْجِيحِ الرَّجَاءِ وَيَعُضُدُهُ آيَةٌ: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأغرافيا : 156). بل هو أمرٌ مشاهدٌ في عالم الوجودِ في غلبة آثارِ الرجاءِ على آثارِ الخوفِ»⁽¹⁾.

وها أنا - أيها الناس - أذكرُ بعضَ أحاديثِ الرجاءِ ترغيبًا للسائرينَ ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديثِ عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أربعونَ خصلةً - أعلامنَّ منحةَ العزْرِ - ما منَ عاملٍ يعملُ بخصلةٍ منها رجاءً ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله اللهُ بها الجنةَ»⁽³⁾.

والمنحةُ - أيها الناس - هي أن الإنسانَ يكونُ عنده غنمٌ وفيها حليبٌ فيمنحُها لفقيرٍ يجلبُها ويستفيدُ منها فإذا انتهى الحليبُ منها أرجعها لصاحبها.

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيما يرويه عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أذنبَ عبدي ذنبًا فعلمَ أن له ربًّا يغفرُ الذنبَ ويأخذُ بالذنبِ، ثُمَّ عادَ فأذنبَ، فقال: أي ربُّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عبدي أذنبَ ذنبًا فعلمَ أن له ربًّا يغفرُ الذنبَ ويأخذُ بالذنبِ - ثم عادَ فأذنبَ. فقال: أي ربُّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أذنبَ عبدي ذنبًا فعلمَ أن له ربًّا يغفرُ الذنبَ ويأخذُ بالذنبِ. اعْمَلْ ما شئتَ فقد غفرتَ لك».

(1) مرتاة المفاتيح (5/ 317).

(2) رواه البخاري (2631).

(3) رواه البخاري (2631).

(4) رواه البخاري (7 - 750)، ومسلم (2758) واللفظ له.



فهذا العبدُ - أيها الناسُ - علمَ بذنبه وعلمَ أنه معاقبٌ عليه من الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - إن شاء وعلمَ أن الله غفارُ الذنبِ وقابلِ التوبِ من عباده رجَعَ إلى الله رجاءَ رحمته وخوفًا من عقابه كانَ ذلك سببًا في قبولِ توبته بخلافِ مَنْ ظنَّ أن الله تخفى عليه خافيةٌ فإنه كافرٌ بلا شكٍ فله ما أعظمَ الرجاء! وما أعظمَ نفعه! وما أحوجَ العبدَ إليه وإلى تعلُّمه وفهمه!

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ. هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ». الْحَدِيثُ..

وفيه: «قَالَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِغْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحْجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مِنْ عِرْقَتُمْ فَتَحْرَمُ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا..... الْحَدِيثُ».

أيها الناس أبشروا فرحمة الله واسعة كل شيء.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الْإِسْرَافِيَّةُ : 156).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْحَوَامِ، فِيهَا يَتَعَاطُونَ وَبِهَا يَتَرَاهُمُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا وَأَخْرَجَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(1) رواه البخاري (7439)، ومسلم (183) واللفظ له.

(2) رواه البخاري (6000)، ومسلم (2752) واللفظ له.

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي».

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ».

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدَخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا».

وفي لفظ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ: هَذَا فَكَأَنَّكَ مِنَ النَّارِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁵⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تَذْنُبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رواه البخاري (2194) واللفظ له، ومسلم (2751).

(2) رواه مسلم (2755).

(3) رواه مسلم (2767).

(4) رواه مسلم (26).

(5) رواه مسلم (2749).



الخطبة الثانية - وصية رسول الله ﷺ قبل موته :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدّم الحديث معكم - أيها الناس - عن الرجاء والآن حديثي معكم عن وصية الرسول ﷺ وقبل أن أذكر لكم وصية رسول الله ﷺ أذكر لكم نقطة مهمة وهي أن الرجاء لا يصح إلا مع الطاعة كما قال شاه الكرماني رحمه الله: «علامة صحة الرجاء حُسن الطاعة»⁽¹⁾.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه. قالت عائشة: يا رسول الله! أتصنع هذا وقد غفر لك مما تقدم من ذنبك وما تأخر؟. فقال: «يا عائشة! أفلا أكون عبداً شكوراً؟».

فها هو رسول الله ﷺ - أيها الناس - لم يزد إلا اجتهاداً في العمل وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وفي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يُقال له عُفَيْرٌ. فقال: «يا معاذ، هل تدري ما حقُّ الله على عباده وما حقُّ العباد على الله؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن حقَّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، وحقُّ العباد على الله أن لا يعذب مَنْ لا يشرك به شيئاً». قلت: يا رسول الله أفلا أُبشِّرُ به الناس؟ قال: «لا تبشروهم فيتكلموا».

(1) «مدارج السالكين» (2/218).

(2) رواه البخاري (19)، ومسلم (81).

(3) رواه البخاري (2856) واللفظ له، ومسلم (30).

39 — البصريح من الأشرفي بِحَبْرٍ مِّنَ الْمَاءِ

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ قَالَ العلماء: «يُؤْخَذُ مِنْ مَنَعٍ مَعَاذَ مَنْ تَبَشِيرِ النَّاسِ لِئَلَّا يَتَكَلَّمُوا أَنْ أَحَادِيثَ الرَّخِصِ لَا تُشَاعُ فِي عَمُومِ النَّاسِ؛ لِئَلَّا يَقْصَرَ فَهْمُهُمْ عَنِ الْمَرَادِ بِهَا».

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وقد سمعها معاذ فلم يزد إلا اجتهادا في العمل، وخشية لله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فأما مَنْ لم يبلغ منزلته فلا يأمن أن يقصر اتكالا على ظاهر الخبر».

أيها الناس قبل أن أودع مقامي هذا أذكركم بوصية رسول الله ﷺ قبل موته.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «لَا يَمُوتُن أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسُنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -».

قال الحافظ المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «أي لا يموتن في حال من الأحوال إلا في هذه الحالة وهو حسن الظن بالله - تعالى - بأن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه لأنه إذا احتضر لم يبق لخوفه معنأ بل يؤدي للقنوط»⁽²⁾.

فهذا - أيها الناس - الذي يجب أن يكون عليه العبد إذا جاءه الموت وانقطع العمل.

ففي سنن الترمذي بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيحه»⁽³⁾ من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟».

قال: «والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي». فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد مثل في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف».

(1) رواه مسلم (2877)، وأبو داود (3113).

(2) التيسير بشرح الجامع الصغير (2/977).

(3) «حسن» أخرجه الترمذي (983) وقال حديث حسن غريب وحسنه الألباني في «الصحيحه» (41/3).



أيها الناس هكذا كان حال السلف عند الموت فكان أحدهم يأمرُ بينه عند الموت أن تقرأ عليه آيات الرحمة⁽¹⁾ حتى تخرج روحه وهو محسن الظن بالله أنه يغفر له ويرحمه ويستقبله بالإنعام فما ظنكم برب العالمين أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين؟!

إذا أمسى فراشي من ترابٍ ○○○ وصرتُ مجاورَ الربِّ الرحيم
فهنوني أحبائي وقولوا ○○○ لك البشري قدمت على كريم

ها هنا وقفة مع الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ فعن فقيرِ بنِ مسكينٍ قال: دخلتُ على الشافعيّ أعودُهُ في مرضٍ موته فقلتُ له: كيف أصبحتَ يا أبا عبدِ الله؟ قال: أصبحتُ من الدنيا راحلاً وإخواني مفارقاً، ولكأسِ المنيةِ شارباً، ولا أدري أروحي تصيرُ إلى الجنةِ فأهنيها أم إلى النارِ فأعزِّيها؟ وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضافتُ مذاهبي ○○○ جعلتُ الرجا مني لعفوك سُلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرئتُهُ ○○○ بعفوك ربي كان عفوك أعظماً⁽²⁾

«ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

(1) روي ذلك عن سليمان التيمي كما في السير (6/199)، وتهذيب الكمال (12/12).

(2) «دليل الفالحين» لابن علان (2/361).

شَطْرُ الْإِيمَانِ

4

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذيات: 102).

- ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاجتهاد: 70 - 71).

أما بعد، فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْوُضُوءِ».

وَالْوُضُوءُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَمْرٌ عَظِيمٌ وَفَضْلُهُ جَلِيلٌ.

فَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ شَطْرُ الْإِيمَانِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ».

(1) رواه مسلم (223).



وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ .

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟». قَالُوا: بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ» .

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ .

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوْ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلِّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرَةِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلِّ خَطِيئَةٍ كَانَتْ بَطَشْتَهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ» .

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ» .

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ .

ففي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ يُقْبَلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» .

(1) رواه مسلم (251).

(2) رواه مسلم (244).

(3) رواه مسلم (245).

(4) رواه مسلم (234).

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ نُورٌ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ خَلِيلِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ، مِنْ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ يَلْبِغُ الْوُضُوءُ».

وَالْحِلْيَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هِيَ النُّورُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَرَادَ بِالْحِلْيَةِ هَاهُنَا التَّخْجِيلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ كَمَا قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْنَهَايَةِ»⁽²⁾.

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ عِلْمٌ تَمَيَّزَ بِهِ الْأُمَّةُ عِنْدَ وَرُودِ الْخَوْصِ.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مَحْجَلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ».

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ لَكِنَّ الْوُضُوءَ الَّذِي جَاءَتْ فِيهِ تِلْكَ الْفَضَائِلُ هُوَ الْوُضُوءُ الْحَسَنُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ». وَتَقَدَّمَ - أَيْضًا - فِي حَدِيثِ عُقْبَةَ قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ».

وَهَا أَنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَذْكَرُ لَكُمْ صِفَاتِ وَضُوءِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا هَذَا أَحْسَنُ مِنْ هَذَا ﷺ.

فَأَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النِّيَّةُ وَهِيَ أَنْ يَنْوِي الْوُضُوءَ بِقَلْبِهِ لِمَا فِي «الصحيحين»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

(1) رواه مسلم (250).

(2) النهاية (1/345).

(3) رواه البخاري (1)، ومسلم (1907).

(4) رواه البخاري (136)، ومسلم (246).

وَلَا يَنْطِقُ بِالنَّبِيِّ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا، وَلِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي الْقَلْبِ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْإِخْبَارِ بِمَا فِيهِ.

ثُمَّ التَّسْمِيَةُ بَعْدَهَا يَقُولُ: بِاسْمِ اللَّهِ لَمَّا فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَةَ وَالتَّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ».

ثُمَّ غَسَلَ الْوَجْهَ كُلَّهُ ثَلَاثًا مِنَ الْأُذُنِ إِلَى الْأُذُنِ عَرَضًا وَمِنْ مَنَابِتِ شَعْرِ الرَّأْسِ إِلَى أَسْفَلِ اللَّحْيَةِ طَوَّلًا.

وَمِنْ الْوَجْهِ الْمَضْمُضَةُ وَهِيَ غَسْلُ الْفَمِ وَتَحْرِيكُ الْمَاءِ فِيهِ، وَالِاسْتِنْشَاقُ وَهُوَ إِيْصَالُ الْمَاءِ إِلَى دَاخِلِ الْأَنْفِ وَجَذْبُهُ بِالنَّفْسِ إِلَى أَقْصَاهُ.

وَالِاسْتِنْشَاقُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْمَاءِ مِنَ الْأَنْفِ بَعْدَ الْاسْتِنْشَاقِ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَفْرَطَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْوَجْهَ بِمَا فِيهِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْوُضُوءِ يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ (التَّائِبَاتُ : 6).

فَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بِغَسْلِ الْوَجْهِ مُطْلَقًا وَفَسْرُهُ النَّبِيُّ ﷺ بِفِعْلِهِ وَتَعْلِيمِهِ فَمَضْمُضٌ وَاسْتِنْشَاقٌ فِي كُلِّ وُضُوءٍ تَوَضَّأَهُ كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ) قَالَ: قِيلَ لَهُ: تَوَضَّأْنَا لَنَا وَضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَكْفَأَ مِنْهَا عَلَى يَدَيْهِ، فَغَسَلَهُمَا ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا، فَمَضْمَضَ وَاسْتِنْشَقَ مِنْ كَفِّ وَاحِدَةٍ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ وَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ يَدَيْهِ

(1) «حسن» أخرجه أبو داود (101)، وابن ماجه (398)، والترمذی (25) وحسنه الألبانی في «الإرواء» (81).

(2) رواه البخاري (185)، ومسلم (235).

45 - الصَّحِيحُ مِنَ الْأَشْيَاءِ جُزْءٌ لَا يُزِيدُ

إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَمَسَحَ رَأْسَهُ، فَأَقْبَلَ بِيَدَيْهِ وَأَدْبَرَ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا كَانَ وُضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ غَسْلُ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا الْيُمْنَى ثُمَّ الْيُسْرَى لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ (لِلثَّلَاثَةِ : 6).

و﴿إِلَى﴾ هُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - بِمَعْنَى «مَعَ» فَيَجِبُ إِدْخَالُ الْمِرْفَقَيْنِ فِي الْغُسْلِ وَيَجِبُ - أَيْضًا - إِدْخَالُ الْكَعْبَيْنِ فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَغْفُلُ عَنْ ذَلِكَ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَفْرَطَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - أَمَرَ بِغَسْلِ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَفَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِفِعْلِهِ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ تَوَضَّأَ فغَسَلَ يَدَيْهِ حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعُضْدَيْنِ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ».

ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ مَسْحُ الرَّأْسِ كُلِّهِ مِنْ مَقْدَمِهِ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْهُ الْأُذُنَانِ فَيُدْخَلُ سَبَاحَتَيْهِ فِي صِمَاخَيْهِمَا، وَيَمْسَحُ بِإِبْهَامَيْهِ ظَاهِرَهُمَا. يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ (لِلثَّلَاثَةِ : 6).

وَالْبَاءُ هُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - لِلْإِلْصَاقِ فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ «أَمْسَحُوا رُءُوسَكُمْ».

وَيُؤَيِّدُ مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْرَجَنَا لَهُ مَاءً فِي تَوْرٍ مِنْ صُفْرِ (أَي قَدَحٍ مِنْ جِيدِ النَّحَّاسِ) فَتَوَضَّأَ فغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَقْبَلَ بِهِ وَأَدْبَرَ بَدَأَ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِمْ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ».

(1) رواه مسلم (246).

(2) رواه البخاري (185)، ومسلم (235).



وَلَا يَعْزُبُ عَنَّا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْأُذُنَيْنِ مِنَ الرَّأْسِ لَأَنْتَهُمَا مِنْهُ. ففِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ
بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأُذُنَانِ مِنَ الرَّأْسِ».

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي غَسْلُ الرَّجْلَيْنِ مَعَ الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مَعَ الْعِنَايَةِ بِالْعَقَبَيْنِ.

يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَرْجِلَكُمُ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (لِلتَّائِيَةِ : 6).

بِنَضْبِ «أَرْجِلِكُمْ» عَطْفًا عَلَى الْمَغْسُولَاتِ.

و﴿إِلَ﴾ هُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - بِمَعْنَى «مَعَ» فَيَجِبُ إِدْخَالَ الْكَعْبَيْنِ فِي الْغُسْلِ وَلَا
يَجُوزُ أَنْ يُفَرِّطَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِغَسْلِ الرَّجْلَيْنِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَفَسَّرَهُ
النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَتَّقِمِ فِيهِ قَوْلُهُ: «وَعَسَلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى
أَشْرَعَ فِي السَّاقَيْنِ».

فَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - وَضُوءُ النَّبِيِّ ﷺ فَمَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ هَذَا الْوُضُوءِ ثُمَّ صَلَّى
رَكَعَتَيْنِ بِخُشُوعٍ وَحُضُورٍ قَلْبٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ حُمُرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ دَعَا بِإِنَاءٍ
فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، فغَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ
(وَاسْتَنْشَر)، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ
غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ
وُضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يُجَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (443)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (84).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (158)، وَمُسْلِمٌ (226).

الخطبة الثانية - ما ينقض الطهور :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْوُضوءِ» وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ
عَنْ نَوَاقِضِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أَذْكَرَ نَوَاقِضَ الْوُضوءِ أَذْكَرُكُمْ بِسُنَّتِهِ.

فَمِنْ سُنَنِ الْوُضوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - السَّوَاكُ فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مَعْلَقًا
مَجْزُومًا بِهِ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقُّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضوءٍ».

وَمِنْ سُنَنِ الْوُضوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - غَسْلُ الْكَفْيَيْنِ فِي أَوَّلِ الْوُضوءِ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صِفَةِ وُضوءِ النَّبِيِّ ﷺ:
«فَأَفْرَغَ عَلَى كَفْيَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ فغَسَلَهُمَا».

إِلَّا إِذَا كَانَ مُسْتَيْقِظًا فَإِنَّهُ يَجِبُ غَسْلُهُمَا عَلَى الصَّحِيحِ لِمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَيْقِظَ أَحَدُكُمْ مِنْ
نَوْمِهِ فَلَا يَغْمَسُ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ».

وَمِنْ سُنَنِ الْوُضوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - غَسْلُ الْأَعْضَاءِ ثَلَاثًا عَدَا الرَّأْسَ فَيَمْسَحُ مَرَّةً
وَاحِدَةً فَقَطْ.

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مَعْلَقًا مَجْزُومًا بِهِ (4 / 158)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (5316).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (159)، وَمُسْلِمٌ (226).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (162)، وَمُسْلِمٌ (278).

لحديث مهران مولى عثمان المتقدم وفيه أنه غسل وجهه ثلاثاً ويديه إلى المرفقين ثلاث مِرَارٍ، ثُمَّ مسح برأسيه، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ⁽¹⁾.
وَبُتَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ تَوَضَّأَ مَرَّةً مَرَّةً كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ تَوَضَّأَ مَرَّةً مَرَّةً».
وَبُتَّ عَنْهُ أَنَّهُ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ: «تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ».
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْبَعْضُ مَرَّتَيْنِ وَالْبَعْضُ ثَلَاثًا لَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَسَلَ بَعْضَ أَعْضَائِهِ مَرَّتَيْنِ وَبَعْضَهَا ثَلَاثًا.

وَمِنْ سُنَنِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَحْلِيلُ أَصَابِعِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ لِمَا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ لَقِيْطِ بْنِ صَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْبِغِ الْوُضُوءَ وَخَلِّ بَيْنَ الْأَصَابِعِ وَتَالِغٌ فِي الْأَسْتِنَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا».

وَمِنْ سُنَنِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ بَعْدَ الْوُضُوءِ لِمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁶⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ

(1) تقدم نخرجه.

(2) رواه البخاري (156).

(3) رواه البخاري (157).

(4) رواه البخاري (185)، ومسلم (191).

(5) «صحيح» أخرجه أبو داود (142)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (129).

(6) رواه البخاري (6433)، ومسلم (226).

فيسبغ، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

وَمِنْ سُنَنِ الْوُضُوءِ صَلَاةُ رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْوُضُوءِ.

لَمَّا فِي «الصحيحين» مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غَيْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ بَعْدَ أَنْ ذَكَرْتُ بَعْضَ سُنَنِ الْوُضُوءِ هَا أَنَا أَذْكَرُ لَكُمْ نَوَاقِضَ الْوُضُوءِ. فَمِنْ نَوَاقِضِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْخَارِجُ مِنَ السَّبِيلَيْنِ كَالْبَوْلِ وَالْغَائِطِ وَالرَّيْحِ. لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾ (الثَّالِثَةُ : 6).

وَلَمَّا فِي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوَاتٍ: مَا الْحَدِيثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: فِسَاءٌ أَوْ ضَرَاطٌ.

وَمِنْ نَوَاقِضِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْمَنِيُّ وَالْوَدْيُ وَالْمَذْيُ.

فَقَدْ أَخْرَجَ «البيهقي»⁽²⁾ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «الْمَنِيُّ، وَالْوَدْيُ، وَالْمَذْيُ: أَمَّا الْمَنِيُّ فِيهِ الْغَسْلُ، وَأَمَّا الْمَذْيُ وَالْوَدْيُ ففِيهِمَا إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ».

وَمِنْ نَوَاقِضِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّوْمُ الْمُسْتَفْرَقُ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ إِدْرَاكٌ وَلَا سَمًّا إِذَا شَكَّ أَنْ رِيحًا خَرَجَ مِنْهُ.

وَكَذَا الْجَنُونُ وَالْإِغْمَاءُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الْمَزِيلَةِ لِلْعَقْلِ.

(1) رواه البخاري (135) واللفظ له، ومسلم (225).

(2) «صحيح» أخرجه البيهقي (1/115).



وَمِنْ نَوَاقِضِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَسُّ الْفَرْجِ بِلَا حَائِلٍ .
 لَمَّا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِزْوَاءِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ
 بُسْرَةَ بِنْتِ صَفْوَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ» .

وَمِنْ نَوَاقِضِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَكْلُ لَحْمِ الْإِبِلِ .
 لَمَّا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «أَتَوَضَّأُ مِنْ لَحْمِ الْغَنَمِ؟» قَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا
 تَتَوَضَّأْ» . قَالَ: «أَتَوَضَّأُ مِنْ لَحْمِ الْإِبِلِ؟» قَالَ: «نَعَمْ، فَتَوَضَّأْ مِنْ لَحْمِ الْإِبِلِ» .
 اللَّهُمَّ فَتَقَهَّنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ يَعْبدُونَكَ عَلَى بَصِيرَةٍ .
 اللَّهُمَّ وَفَقَّنَا لِلْقَوْلِ وَالْعَمَلِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ .

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (181)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِزْوَاءِ» (116) .

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (360) .

الإسراء والمعراج

5

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعنكبوت: 172).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْهَا كَثِيرًا وَمُنَاةً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ قَهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبِّيًا﴾ (النسك: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَقَوُّوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١٠٠﴾ صَٰلِحٌ لَكُمْ تَعْمَلُونَ وَيَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُضِغْ لَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَزَّ قَوْمًا عَظِيمًا﴾ (الاحزاب: 70-71).

أما بعد، فإن أصدق حديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - ﷺ -،
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد - حديسي معكم اليوم - في الناس - عن «الإسراء والمعراج».

في الناس بن الإسراء والمعراج حدثان متلازمان ومترادفتان ثابتان بنص
القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة فنقد نص القرآن الكريم على أن معجزة
الإسراء قد تمت نبلا حين تم تتدُّ برسول ﷺ من المسجد الحرام في مكة المكرمة
و المسجد الأقصى في القدس الشريف بأرض فلسطين.



قال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ، لِزَيْرِهِ، مِنْ ءَايِنِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾ (الأنبياء: 1).

وَمَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾.

السَّبْحُ فِي اللُّغَةِ التَّبَاعُدُ وَالْمَعْنَى يَنْزِعُ اللهُ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ وَيَعْظُمُهَا عَمَّا لَا يَنْبَغِي وَقَوْلُهُ: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ أَيُّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ.

وَنِسْبَةُ النَّبِيِّ إِلَى رَبِّهِ بِوَصْفِ الْعُبُودِيَّةِ غَايَةُ الشَّرَفِ لِلرُّسُولِ ﷺ لِأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ كَثِيرٌ فَلَمْ خَصَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالذِّكْرِ؟ ذَلِكَ لِتَخْصِيصِهِ بِالشَّرَفِ الْعَظِيمِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَيْلًا﴾ إِنَّمَا قَالَ ﴿لَيْلًا﴾ مَعَ أَنَّ الْإِسْرَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ تَأْكِيدَ تَقْلِيلِ مُدَّةِ الْإِسْرَاءِ؛ فَإِنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ لِحُرْمَتِهِ أَيُّ لِشَرَفِهِ عَلَى سَائِرِ الْمَسَاجِدِ؛ لِأَنَّهُ خُصَّ بِأَحْكَامٍ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ.

وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى إِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ﴾ قِيلَ؛ لِأَنَّهُ مَقَرُّ الْأَنْبِيَاءِ وَمَهْبَطُ الْمَلَائِكَةِ، لِذَلِكَ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَبْعِينَ ۝﴾.

أَيُّ إِلَى حَيْثُ وَجَّهَنِي رَبِّي أَيُّ إِلَى بَرِّ الشَّامِ؛ لِأَنَّهُ عَرَفَ بِتَعْرِيفِ اللهِ إِيَّاهُ أَنَّ الشَّامَ مَهْبَطُ الرَّحْمَاتِ وَأَنَّ أَكْثَرَ الْوَجْهِ يَكُونُ بِالشَّامِ وَأَنَّ أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ كَانُوا بِهَا.

وَقَالَ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿لِزَيْرِهِ، مِنْ ءَايِنِنَا﴾ أَيُّ مَا رَأَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْآيَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ.

وَأَمَّا الْمَعْرَاجُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَهُوَ الْإِنْتِقَالُ بِالرُّسُولِ ﷺ إِلَى السَّمَاوَاتِ، لِتَصَلَّ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَلِيَطَّلِعَ بِحَوَاسِيهِ وَدُونَ شَكِّ عَلَى آيَاتِ اللهِ الْكُبْرَى.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١١﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٢﴾ إِذْ يَنْشَى الْمِنَّةَ مَا يَنْشَى ﴿١٥﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ ﴾
(الجنَّة : 13-18).

ومما جاء في تفسير الآيات - أيها الناس - قوله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ . أي رأى رسول الله ﷺ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ مرةً أُخْرَى نازِلاً إِلَيْهِ .

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ . قَالَ : رَأَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جَبْرِيلَ لَهُ سِتْمَانَةَ جَنَاحٍ .

وفي «الصحيحين»⁽³⁾ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَأَيْنَ قَوْلُهُ : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ ﴾ . قَالَتْ : ذَلِكَ جَبْرِيلُ ، كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ ، وَإِنَّ آتَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ فَسَدَّ الْأَفُقَ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ .

هِيَ شَجْرَةٌ عَظِيمَةٌ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ سُمِّيَتْ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ؛ لِأَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يَعْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَيَنْزِلُ إِلَيْهَا مَا يَنْزِلُ مِنَ اللَّهِ - فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - جَبْرِيلَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ .

أَيُّ الْجَنَّةِ الْجَامِعَةُ لِكُلِّ نَعِيمٍ ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ .

(1) رواه مسلم (175).

(2) رواه البخاري (4857)، ومسلم (174).

(3) رواه البخاري (3235)، ومسلم (177).



وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَفْتَنُ الْيَدْرَةَ مَا يَفْتَنُ﴾ .

أَيُّ يَغْشَاهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ شَيْءٍ عَظِيمٍ لَا يَعْلَمُ وَصْفَهُ إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ . أَيُّ: مَا زَاغَ يَمَنَّةً وَلَا يَسْرَةَ عَنْ مَقْصُودِهِ. وَ

﴿وَمَا طَغَى﴾ أَيُّ: مَا تَجَاوَزَ الْبَصَرُ. وَهُوَ كَمَا لِيَ الْأَدَبِ مِنْهُ ﷺ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ .

أَيُّ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي رَأَاهَا ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ ⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ أَدْعَى بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَتْ رُؤْيَا مَنْامِيَّةً وَالَّذِي دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ أَنَّ الْإِسْرَاءَ حَصَلَتْ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّهَا كَانَتْ رُؤْيَا عَيْنٍ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ يَقْظَةُ لَا مَنْامًا».

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ وَقَعَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْيَقْظَةِ بِجَسَدِ النَّبِيِّ ﷺ وَرُوحِهِ بَعْدَ الْبُعْثِ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ، وَلَا يَنْبَغِي الْعُدُولُ عَنْ ذَلِكَ، إِذْ لَيْسَ فِي الْعَقْلِ مَا يُجْبِلُهُ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى تَأْوِيلٍ» ⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ ذَلِكَ مَا أَجْمَلَهُ الْقُرْآنُ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ! وَقَدْ فَصَّلَتْهُ السُّنَّةُ أَعْظَمَ التَّفْصِيلِ وَبَيَّنَّتْهُ أَحْسَنَ الْبَيَانِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ» ⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَرَجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ

(1) انظر «تفسير السَّعْدِي» (819) بتصرفٍ يسيرٍ.

(2) انظر «الفتح» (44 / 15) وزاد المعادن (99 / 1) حيث نصَّ على أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

(3) رواه البخاريُّ (3342، 1636، 349)، ومسلمٌ (163).

بطنت من ذهب ممتليء حكمة وإيماناً فافرغته في صدري ثم أطبقته ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا....».

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق (وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) قال، فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء. قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت. فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة.»

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل، قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعاني بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الحائلة عيسى ابن مريم ويحيى ابن زكريا - صلوات الله عليهما - ، فرحباً ودعوا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف ﷺ، إذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب ودعاني بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث

(1) رواد البخاري عن أبي هريرة (7515)، ومسلم (162) واللفظ له.



إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَمَاذَا أَنَا بِأَنْدَرِسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿وَرَفَعْتَهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝﴾ (مَرْكَبُهُ 57).

ثُمَّ عُرِّجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مِنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَمَاذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِّجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مِنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَمَاذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِّجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مِنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَمَاذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدُ ظَهْرِهِ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى مِئْدَةِ الْمُسْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ، وَإِذَا ثَمْرُهَا كَالْقَلَالِ، قَالَ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشَى تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَكَلِمَةً.

فَنَزَلَتْ إِلَيَّ مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟

قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَلِئَنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ.

قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبُّ خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا.

فَارْجِعْ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

— البصيح من الأشرفي رحمته الله —

57

قَالَ: فَلَمْ أَزَالُ أُرَاجِعُ رَبِّي - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ: إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمَلَهَا كَتَبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تَكْتُبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً.

قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه. وأستغفر الله.



الخطبة الثانية - عظمة الصلاة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ «عِظْمَةِ الصَّلَاةِ».

وَالصَّلَاةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَقَدْرٌ جَلِيلٌ وَمَا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ شَأْنِهَا
وَعُلُوِّ قَدْرِهَا أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَمْ يَفْرَضْهَا فِي الْأَرْضِ بِوَسْطَةِ جَبْرَيْلَ، وَإِنَّمَا
فَرَضَهَا بِدُونِ وَسَاطَةِ لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ الصَّلَاةُ فَرَضَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً، ثُمَّ خَفَّفَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -
عَلَى عِبَادِهِ فَفَرَضَهَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فَهِيَ خَمْسُونَ فِي الْمِيزَانِ وَخَمْسُ
فِي الْعَمَلِ.

جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ قَالَ: «خَفَّفَ عَنَّا أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ حَافِظُوا عَلَى صَلَاتِكُمْ فَإِنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ، وَأَعْظَمُ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ
وَدَعَائِمِهِ الْعِظَامِ وَأَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ مِنْ عَمَلِهِ.

فِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَةُ الْعَلَّامَةِ الْأَلْبَانِيِّ فِي «الإِرْوَاءِ» مِنْ حَدِيثِ
مَعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَفِرْوَةٌ
سِنَامِهِ الْجِهَادُ».

(1) رواه البخاري (7515).

59 - البصريح من الأشرف بخط ابن المنذر

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله، وإِقامِ الصَّلَاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، وصَوْمِ رَمَضَانَ، وحجِّ البَيْتِ».

وأخرج الطبراني في الأوسطِ بِسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألباني في «الإرواء»⁽²⁾ من حديث أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «أولُ ما يُحَاسَبُ به العبدُ يومَ القيامةِ الصَّلَاةُ فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ».

أيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُودَّعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكَرُكُمْ بِأَخْرَ وَصِيَّةٍ أَوْصَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ وَهُوَ يُودَّعُ الدُّنْيَا.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألباني في «الإرواء»⁽³⁾ من حديث أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ مِنْ أَخْرَ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ». حَتَّى جَعَلَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يُجْلِحُهَا فِي صَدْرِهِ وَمَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ. اللَّهُمَّ أَعِنَا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ حَيْثُ ينادى لها على الوجه الذي يُرَضِيكَ، وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ.

(1) رواه البخاري (8)، ومسلم (16).

(2) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (409/1)، وصححه الألباني بمجموع طرقه كما في «الصحيح» (346/3).

(3) «صحيح» أخرجه أحمد (290/6)، وصححه الألباني في «الإرواء» (238/7).



6 الخشوع في الصلاة

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الغَنَابِلَاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَحْزَابُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الْخُشُوعُ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَقَدْرُهُ جَلِيلٌ فَهُوَ سَبَبٌ عَظِيمٌ مِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾

(الْمُقْتَبَاتُ : 1 - 2).

أَي خَائِفُونَ سَاكِنُونَ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «الْخُشُوعُ هُوَ السَّكُونُ وَالطَّمَأْنِينَةُ وَالتَّوَدُّدَةُ وَالتَّوَاضِعُ وَالْحَامِلُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ وَمِرَاقَبَتُهُ»^(١).

(1) تفسير ابن كثير (6/418).

ومحل الخشوع - أيها الناس - في القلب وثمرته على الجوارح.
دل على ذلك ما جاء في سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في
«صحيح الترمذي»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دَعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ
لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَوْلَاءِ الْأَرْبَعِ».

فدل هذا الدعاء على أن الخشوع محلّه القلب وهو يزيد وينقص فمنهم من يبلغ
خشوعه عنان السماء ومنهم من يخرج من صلاته لم يعقل شيئاً كما في مسند أحمد بسند
حسن حسنه الألباني في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث عمّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ مَا يَكْتُبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عَشْرَهَا، تَسْعَاهَا،
ثَمْنَهَا، سُبْعَهَا، سِدْسَهَا، خَمْسَهَا، رِبْعَهَا، ثَلَاثَهَا، نَصْفَهَا».

فدل الحديث - أيها الناس - على أن الأجر حاصل بحسب الخشوع.
وحكم الخشوع - أيها الناس - أنه واجب على الصحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَأَسْتَعِينُوا
بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (التكوا: ٤٥).

وهذا يقتضي ذم غير الخاشعين والذم لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محرم.
وإن كان غير الخاشعين مذمومين دل ذلك على وجوب الخشوع.

ويدل على وجوب الخشوع فيها - أيضاً - قوله تعالى - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ
هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ (المؤمنون: 1-2). إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ ﴿١٣﴾

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (3729)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (2769).

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (321/4)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (1626).



الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴿المؤمنون: 10-11﴾. أخبر - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -
أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَرِثُونَ فِرْدَوْسَ الْجَنَّةِ وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَرِثُهَا غَيْرُهُمْ^(١).

ومما جاء في فضل الخشوع ووعيد من تركه - أيها الناس - :

ما أخرجه أبو داود في سننه بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ، مَنْ أَحْسَنَ وَضُوءَهُنَّ، وَصَلَاهُنَّ لَوْ قَتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ؛ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفَرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مَقْبَلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَمَعَ ﷺ بَهَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ أَنْوَاعَ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ؛ لِأَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْأَعْضَاءِ وَالْخُشُوعَ فِي الْقَلْبِ عَلَى مَا قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ»^(٤).

وفي «صحيح مسلم»^(٥) من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ تَحَضَّرَهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يَأْتِ بِذَنْبٍ كَبِيرٍ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ».

(1) الفتاوى (22/553).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (425)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (3242).

(3) رواه مسلم (234).

(4) عون المعبود (1/198).

(5) رواه مسلم (228).

والخشوع في الصلاة - أيها الناس - إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرّة عين كما جاء في مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُبِّبَ لِي مِنَ النِّسَاءِ وَالطُّيْبِ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»⁽²⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (3/128)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (3124).

(2) انظر «تفسير ابن كثير» (5/456).



الخطبة الثانية - أسباب الخشوع :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «أهمية الخشوع» والآن حديثي
مَعَكُمْ عَنِ الْأَسْبَابِ الْمَوْصَلَةِ إِلَيْهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْخُشُوعَ هُوَ السَّبَبُ الْأَهْمُ لِقَبُولِ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ أَرْكَانِ
الدِّينِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، بَلْ إِنَّهُ لَيْسَهُلْهَا وَيَجِبُّهَا إِلَى النُّفُوسِ.

قَالَ ابْنُ سَعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٥١﴾﴾ .
«أَيُّ فِائْتَهَا سَهْلَةٌ عَلَيْهِمْ خَفِيفَةٌ؛ لِأَنَّ الْخُشُوعَ وَخَشْيَةَ اللَّهِ وَرَجَاءَهُ مَا عِنْدَهُ يُوْجِبُ لَهُ
فَعْلَةً مَنشُرْحًا بِهَا صَدْرُهُ لَتَرْقِيهِ لِلثَّوَابِ وَخَشْيَتِهِ مِنَ الْعِقَابِ، كَمَا أَنَّ الْخُشُوعَ هُوَ
الْعِلْمُ الْحَقِيقِيُّ»^(١).

وَلَنْ يَصِلَ الْعَبْدُ إِلَى الْخُشُوعِ الْحَقِيقِيِّ إِلَّا إِذَا أَخَذَ بِالْأَسْبَابِ الْمَوْصَلَةِ إِلَيْهِ.

فَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِيمَانُ الصَّادِقُ بِمَا يَتَرْتَبُ عَلَى الْخُشُوعِ مِنْ
فَضْلِ عَظِيمٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنَ الْإِحْسَاسِ بِالسُّكُونِ وَالطَّمَأِينَةِ وَالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مِنْ أَمْرِ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيَحْسُنُ وَضَوْعًا وَخُشُوعًا
وَرُكُوعًا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يَأْتِ بِذَنْبٍ كَبِيرٍ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ».

(1) تفسیر ابن سعدي (51).

(2) رواه مسلم (228).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِسْتِعْدَادُ لِلصَّلَاةِ وَيَحْضُلُ بِأَمْرِ مِنْهَا التَّرْدِيدُ مَعَ الْمُؤَذِّنِ وَالْإِتْيَانُ بِالدُّعَاءِ الْمَشْرُوعِ بَعْدَهُ، وَإِحْسَانُ الْوُضُوءِ وَالْإِعْتِنَاءُ بِالسَّوَالِكِ وَأَخْذُ الزَّيْنَةِ بِاللِّبَاسِ الْحَسَنِ الطَّيِّبِ الرَّائِحَةِ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ ﴿يَبْتِغِي آدَمَ خُدُوعًا وَيَنْتَكِرُ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الْإِسْرَافِيُّ : ٣١).

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَلْبَسْ ثَوْبِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ مَنْ تَزِينُ لَهُ».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الصَّلَاةُ إِلَى سِتْرَةٍ وَالذُّنُوبُ مِنْهَا فَذَلِكَ أَحْفَظُ لَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمِنْ مَرُورِ النَّاسِ وَلَيْلًا يَشُوشُ عَلَى نَفْسِهِ.

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ سَهِيلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَصِلْ إِلَى سِتْرَةٍ، وَلْيَكُنْ مِنْ سِتْرَتِهِ لَا يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْحِكْمَةُ مِنَ السُّتْرَةِ كَفُّ الْبَصَرِ عَمَّا وَرَاءَهُ وَمَنْعُ مَنْ يَجْتَازُ بِقُرْبِهِ وَتَمْنَعُ الشَّيْطَانَ الْمُرُورَ، وَالتَّعَرُّضُ لِإِفْسَادِ صَلَاتِهِ»^(٣).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّظَرُ إِلَى مَوْضِعِ السُّجُودِ.

فَفِي مُسْتَدْرِكِ الْحَاكِمِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَوَافِقَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صِفَةِ الصَّلَاةِ»^(٤) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى طَاطَأَ رَأْسَهُ وَرَمَى بَبَصَرِهِ نَحْوَ الْأَرْضِ».

(١) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٢٨ / ١)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٣٦٩).

(٢) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٦٩٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٦٥٠).

(٣) شَرَحَ النَّوَوِيُّ عَلَى مُسْلِمَ (٢١٦ / ٤).

(٤) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٤٧٩ / ١)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صِفَةِ الصَّلَاةِ» (ص ٨٩).



وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الطُّمَأْنِينَةُ فِي الصَّلَاةِ وَفِي جَمِيعِ الْأَرْكَانِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا عَلَّمَ الْمَسِيءَ صَلَاتَهُ كَانَ يَقُولُ لَهُ فِي كُلِّ رُكْنٍ: «حَتَّى تَطْمِئِنَّ». كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثٍ

وَالطُّمَأْنِينَةُ: هِيَ السُّكُونُ بِقَدْرِ الذِّكْرِ الْوَاجِبِ، فَلَوْ لَمْ يَسْكُنْ لَمْ يَطْمِئِنَّ⁽²⁾.
وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْوَأُ النَّاسِ سَرَقَةُ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ، لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا وَلَا خُشُوعَهَا».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَذَكَرَ الْمُصَلِّيُ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ.
فَفِي «مَسْنَدِ الْفَرْدَوْسِ» لِلدَّيْلَمِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اذْكَرَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِكَ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ لَحْرِيٌّ أَنْ يَحْسُنَ صَلَاتَهُ وَصَلَّ صَلَاةَ رَجُلٍ لَا يَظُنُّ أَنْ يَصَلِّيَ صَلَاةَ غَيْرِهَا، وَإِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَذَرُ مِنْهُ».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَرْتِيلُ الْقُرْآنِ وَتَحْسِينُ الصَّوْتِ بِهَا.
لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ (الْبَقَرَةُ: 4).

وَفِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (757)، وَمُسْلِمٌ (392).

(2) انظُرْ «حَاشِيَةَ ابْنِ قَاسِمٍ عَلَى الرَّوْضِ» (2/126)، وَ«الشَّرْحَ الْمَتَّعَ» (3/421).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (11549)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (986).

(4) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ فِي «مَسْنَدِ الْفَرْدَوْسِ» (1/51) وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1421).

(5) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (1/575) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (771).

- البصريح من الأشرفي بخطه المعتبر - 67

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَعْلَمَ الْمُصَلِّي أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يُجِيبُهُ فِي صَلَاتِهِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللَّهُ: حَمَدِي عَبْدِي فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، قَالَ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ قَالَ اللَّهُ مَجْدِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ اللَّهُ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

وهذا - أَيُّهَا النَّاسُ - حديثٌ عظيمٌ لو استحضره كلُّ مُصَلٍّ لحصل له خشوعٌ بالغٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - . ولا شك أن المصلي يُناجي رَبَّهُ فليُنظِرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ؟

ففي مستدرِكِ الحاكم بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّيْ إِنَّهَا يُنَاجِي رَبَّهُ، فليُنظِرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. فالعبدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ غَارَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ قَامَ فِي أَعْظَمِ مَقَامٍ فَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فَإِنْ عَجَزَ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ فَيَذْكُرُهُ الضَّيْعَةَ وَالْأَوْلَادَ وَالْمَالَ وَالْعَقَارَ فَيَقُومُ مِنْ صَلَاتِهِ كَمَا دَخَلَ فِيهَا وَقَدْ عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ الْقَلْبَ مَحَلُّ نَظَرِ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ دَعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٍ لَاهٍ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (395).

(2) «صحيح» أخرجه الحاكم في «مستدرِكِهِ» (1/236)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (1538).



وَلِمَا جَهَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْعِلَاجِ.
فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْعَاصِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبَسُهَا عَلَيَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ حَتْرَبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتْفَلَّ عَنْ يَسَارِكِ ثَلَاثًا». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَرْكُ الْإِلْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ.
فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فَإِذَا التَفَتَ انْصَرَفَ عَنْهُ».

وَالْإِلْتِفَاتُ فِي الصَّلَاةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَى قِسْمَيْنِ الْأَوَّلُ التَّفَاتُ الْقَلْبِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - .

وَالثَّانِي التَّفَاتُ الْبَصَرِ، وَكِلَاهُمَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ وَيُنْقِصُ مِنْ أَجْرِ الْمَصَلِيِّ.
فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَحْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ».

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْخَاشِعِينَ فِي صَلَاتِهِمْ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خُشُوعَ الْقُلُوبِ وَخُضُوعَ الْجَوَارِحِ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكِرَّةً إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِضْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2203).

(2) «حَسَنٌ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (909)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ» (1/360-361).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (751).

7 سنن قل العمل بها

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذاتنا: 102).

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساة: 1).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الانجراتنا: 70 - 71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - ﷺ - ،

وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد - حديثي معكم اليوم - أيها الناس - عن «سنن قل العمل بها».

أيها الناس ألا ما أكثر السنن المهجورة الثابتة عن رسول الله ﷺ من قول أو

فعل أو تقرير!

والله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

(التغذاتنا: 31).

قال ابن كثير رحمه الله: «هذه الآية حاكم على كل من ادعى محبة الله وليس على

الطريقة المحمدية. فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي

والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ...



ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. أَي: بِاتِّبَاعِكُمْ الرَّسُولَ يَخْصُلُ لَكُمْ هَذَا كُلُّهُ بِبَرَكَاتِهِ سَفَارَتِهِ⁽¹⁾.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الْأَنْبِيَاءُ: 21).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: «هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَضَلُّ كَبِيرٌ فِي النَّاسِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ»⁽²⁾.

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ الْعَرَبْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مَوْدِعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟

فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

قَالَ الْعَلَامَةُ الْعَبَّادُ حَفِظَهُ اللَّهُ لَمَّا أَخْبَرَ بِحُصُولِ التَّفَرُّقِ وَكَثْرَتِهِ أَرْشَدَ إِلَى طَرِيقِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ وَذَلِكَ بِالتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ وَخُلَفَاؤِهِ الرَّاشِدُونَ هُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَقَدْ وَصَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خِلَافَتَهُمْ بِأَنَّهَا خِلَافَةٌ نُبُوَّةٌ.

(1) تفسیر ابن کثیر (1/319).

(2) تفسیر ابن کثیر (4/211).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4607)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (937).

ففي سنن أبي دود بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيحه»⁽¹⁾ من حديث
سفيانة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خِلاَقَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ
الْمَلِكَ أَوْ مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ».

وَقَدْ انْتَهَتْ تِلْكَ الثَّلَاثُونَ بِمَوْتِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ حَثَّ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى التَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ بِقَوْلِهِ:
«فَعَلَيْكُمْ». وَهِيَ اسْمٌ فَعَلٍ أَمْرٌ ثُمَّ أُرْشِدَ إِلَى شِدَّةِ التَّمَسُّكِ بِقَوْلِهِ: «وَعَضُّوا عَلَيْهَا
بِالنَّوَاجِدِ». وَالنَّوَاجِدُ هِيَ الْأَضْرَاسُ، وَذَلِكَ مُبَالِغَةٌ فِي شِدَّةِ التَّمَسُّكِ بِهَا⁽²⁾.

أَرَأَيْتُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى أَيِّ مَدَى بَلَغَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْوَصِيَّةِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ
خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ.

فَانْتَبَهُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - لِلدُّخْلَاءِ عَلَى الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ يُقَسِّمُونَ الدِّينَ إِلَى
قَشُورٍ وَلِبَابٍ فَيَصِفُونَ السُّنَنَ بِأَنَّهَا قَشُورٌ وَالْقَشُورُ كَمَا تَعْلَمُونَ يُرْمَى بِهَا مِثْلَ قَشْرِ
الرَّمَانِ وَلَيْسَ فِي دِينِ اللَّهِ شَيْءٌ يُرْمَى بِهِ بَلْ فِيهِ مُهِمٌّ وَأَهَمُّ وَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ يُعْطَى كُلَّ
حَقٍّ حَقَّهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ فِي الْعَمَلِ بِالسُّنَّةِ ثَوَابًا عَظِيمًا وَفِي الدَّعْوَةِ إِلَيْهَا أَجْرًا جَزِيلًا.

ففي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله
ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ
أُجُورِهِمْ شَيْئًا».

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (4646)، وصححه الألباني في «الصحيحه» (460).

(2) فتح القوي المتين شرح الأربعة للعباد (83).

(3) رواه مسلم (2674).



وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث المنذر بن جبر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ خَيْرٍ أَنْ يَتَمَّصَ مِنْ أَجورِهِمْ شَيْءٌ».

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «فِيهِ الْحُثُّ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ بِالْخَيْرَاتِ، وَسُنُّ السُّنَنِ الْمُسْتَحَبَاتِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ اخْتِرَاعِ الْأَبَاطِيلِ وَالْمُسْتَقْبَحَاتِ»⁽²⁾.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «السُّنَّةُ الَّتِي تَرَكْتُ، ثُمَّ فَعَلَهَا الْإِنْسَانُ فَأَحْيَاهَا، فَهَذَا يُقَالُ عَنْهُ أَسَنَّهَا، بِمَعْنَى أَحْيَاهَا، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَشْرَعْهَا مِنْ عِنْدِهِ»⁽³⁾.

وَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - قِلَّةُ الْعِنَايَةِ بِالسُّوَاكِ وَالِاهْتِمَامِ بِهِ⁽⁴⁾، فَهَذَا السُّوَاكُ وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا السُّوَاكُ؟! السُّوَاكُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ الصَّنْعَانِيُّ فِي «سُبُلِ السَّلَامِ»: قَالَ فِي «الْبَدْرِ الْمُنِيرِ»: ذُكِرَ فِي السُّوَاكِ زِيَادَةٌ عَلَى مِائَةِ حَدِيثٍ، فَوَاعَجِبًا لِسُنَّةٍ تَأْتِي فِيهَا الْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ ثُمَّ يُهْمَلُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ فَهَذِهِ خَبِيَّةٌ عَظِيمَةٌ»⁽⁵⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لَوْلَا أَنَّ الْمَقَامَ لَا يَتَسَعُّ لِسِرِّ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ لِأَلْقِيَتُهَا عَلَى مَسَامِعِكُمْ! لَكِنْ يَكْفِي أَنْ أَسْمَعَكُمْ حَدِيثًا وَاحِدًا كَمَا قِيلَ يَكْفِي مِنَ الزَّادِ مَا يُبْلِغُ الْمَحَلَّ.

ففي «الصحيحين»⁽⁶⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسُّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ».

(1) رواه مسلم (1017).

(2) شرح النووي على مسلم (4/113).

(3) فتاوى ابن عثيمين (7/360).

(4) انظر كتاب الوصية ببعض السنن النبوية خيفاء بنت عبد الله الرشيد (ص 41)، وقد استندت منه في إعداد هذه الخطبة.

(5) «سبل السلام» (1/40).

(6) رواه البخاري (887)، ومسلم (252).

والسواك - أيها الناس - لا يستحب في أوقات الصلاة فقط بل كما قال النووي رحمه الله: «السواك مستحب في جميع الأوقات ولكن في خمسة أوقات أشد استحباباً، إحداهما: عند الصلاة، والثاني: عند الوضوء، والثالث: عند قراءة القرآن، والرابع: عند الاستيقاظ من النوم، والخامس: عند تغير الفم. وتغيره يكون بأشياء: منها الأكل والشرب، ومنها أكل ماله رائحة كريهة، ومنها طول السكوت، ومنها كثرة الكلام»⁽¹⁾.

ومن تلك السنن التي قل العمل بها - أيها الناس - المبالغة في الاستنشاق عند الوضوء، وكذلك التخليل بين الأصابع.

ففي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً».

ففي الحديث - أيها الناس - دليل على التخليل بين الأصابع والمبالغة في الاستنشاق لغير الصائم لئلا ينزل إلى حلقه ما يقطره.

ومن تلك السنن التي قل العمل بها - أيها الناس - الوضوء قبل الغسل من الجنابة. ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث ميمونة رضي الله عنها أنها قالت: «أذنت لرسول الله ﷺ غسله من الجنابة، فغسل كفيه مرتين أو ثلاثاً، ثم أدخل يده في الإناء ثم أفرغ به على فرجه وغسله بشماله، ثم ضرب بشماله الأرض فذنكها ذكاً شديداً، ثم

(1) شرح النووي على مسلم (2/146).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (142)، والترمذي (38) وقال: (هذا حديث حسن صحيح). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (927).

(3) رواه البخاري (274)، ومسلم (317) واللفظ له.



تَوْضُأً وَضَوْءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ حَفَنَاتٍ مَلءَ كَفَّهُ ثُمَّ غَسَلَ سَائِرَ جَسَدِهِ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنْ مَقَامِهِ ذَلِكَ فَغَسَلَ رِجْلَيْهِ».

وَمِنَ السُّنَنِ الْمُنْسِيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صَلَاةُ النَّافِلَةِ عَلَى الرَّاحِلَةِ فِي السَّفَرِ وَلَوْ إِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عامر بن ربيعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي عَلَى رَأْسِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ».

وفي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي التَّطَوُّعَ وَهُوَ رَاكِبٌ فِي غَيْرِ الْقِبْلَةِ.

وفي لَفْظٍ «لِلْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عَلَى رَأْسِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ فَإِذَا أَرَادَ الْفَرِيضَةَ نَزَلَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ.

أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا قَدْ تَيَسَّرَتْ لَنَا وَسَائِلُ السَّفَرِ الْمَرِيحَاتِ كَالسِّيَارَاتِ وَالطَّائِرَاتِ فَمَا أَجْمَلَ أَنْ نُطَبِّقَ السُّنَّةَ حَيْثُ تَوَجَّهْنَا فَإِذَا حَدَّثَ لَنَا حَدِيثٌ تَكُونُ خَاتِمَةً حَسَنَةً - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - .

وَمِنَ السُّنَنِ الْمُنْسِيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - رَدُّ الْمُصَلِّي السَّلَامَ بِالْإِشَارَةِ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽⁴⁾ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنِي لِحَاجَةٍ ثُمَّ أَذْرَكَتُهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَأَشَارَ إِلَيَّ.

(1) رواه البخاري (1093).

(2) رواه البخاري (1094).

(3) رواه البخاري (400).

(4) رواه البخاري (1217)، ومسلم (540).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَتَحْرِيمُ رَدِّ السَّلَامِ فِيهَا بِاللَّفْظِ، وَأَنَّهُ لَا تَضُرُّ الْإِشَارَةَ بَلْ يُسْتَحَبُّ رَدُّ السَّلَامِ بِالْإِشَارَةِ»⁽¹⁾.

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : «مَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ إِشَارَةً وَقَالَ : وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ : إِشَارَةٌ بِأَصْبِعِهِ».

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قُلْتُ لِبَلَالٍ كَيْفَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ حِينَ كَانُوا يُسَلِّمُونَ. قَالَ : يُشِيرُ بِيَدِهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَلَمْ يَكُنْ - أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَرُدُّ بِيَدِهِ وَلَا بِرَأْسِهِ وَلَا بِإِصْبَعِهِ إِلَّا فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ كَانَ يَرُدُّ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ إِشَارَةً».

وَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - مُتَابِعَةُ الْمُؤَذِّنِ وَالتَّقِيمِ وَقَوْلُ مِثْلَ مَا يَقُولُ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ

(1) شرح النووي على مسلم (31/3).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (925)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (858).

(3) «صحيح» أخرجه أبو داود (927)، والتِّرْمِذِيُّ (368) وصحَّحه الألباني في «الصحيح» (185).

(4) رواه البخاري (611)، ومسلم (383)، وأبو داود (522)، والتِّرْمِذِيُّ (208)، وابن ماجه (820).

(5) رواه مسلم (385)، وأبو داود (527).



قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ .»

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ ذَهَبَ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ فِي الْإِقَامَةِ مُتَابَعَةُ الْمُقِيمِ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُقِيمُ كَمَا يُتَابَعُ فِي أَذَانِهِ.

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ فِي الْإِقَامَةِ مِثْلَ مَا يَقُولُ»⁽¹⁾.

وَمِنَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَقِبَ الْأَذَانِ وَسؤالُ الْوَسِيلَةِ لَهُ وَقَوْلُ رَضِيَتْ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مِنْ صَلَى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُوا أَنْ أَكُونَ أَنَا، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَأَبْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(1) «المغنى» (2/87).

(2) رواه مسلم (384)، وأبو داود (523)، والترمذي (3614).

(3) رواه البخاري (614)، وأبو داود (529)، والترمذي (211)، والنسائي (680)، وابن ماجه (722).

— الصحيح من الأشرفي بخط ابن كثير —

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث سعد بن أبي وقاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ».

وَأَسْتَغْفِرُ الله.

(1) رواه مسلم (386)، وأحمد (1565)، وأبو داود (525)، والترمذي (210)، والنسائي (679)، وابن ماجه (721).



الخطبة الثانية - سنن شعبة منسية :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «سُنَنِ قَلِّ الْعَمَلِ بِهَا» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ سُنَنِ مَنْسِيَةٍ.

فَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الْمَنْسِيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صَلَاةُ النَّوَافِلِ فِي الْبَيْتِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ النَّوَافِلِ الرَّائِبَةِ مَعَ الْفَرَائِضِ وَالْمُطْلَقَةِ إِلَّا
فِي النَّوَافِلِ الَّتِي هِيَ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ وَهِيَ الْعِيدُ وَالْكَسُوفُ وَالِاسْتِسْقَاءُ وَكَذَا
التَّرَاوِیْحُ عَلَى الْأَصْحَحِ فَإِنَّهَا مَشْرُوعَةٌ فِي جَمَاعَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَالِاسْتِسْقَاءِ فِي الصَّخْرَاءِ»⁽²⁾.

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا
قَضَى أَحَدُكُمْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِيَتِيهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ
مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّمَا حَثَّ عَلَى النَّوَافِلِ فِي الْبَيْتِ لِكَوْنِهِ أَخْفَى وَأَبْعَدَ مِنَ
الرِّيَاءِ وَأَضْوَنَ مِنَ الْمُحِيطَاتِ، وَلِيَتَبَرَّكَ الْبَيْتُ بِذَلِكَ، وَتَنْزَلُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَالْمَلَائِكَةُ
وَيَنْفَرُ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»⁽⁴⁾.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (731)، وَمُسْلِمٌ (781).

(2) شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ (328 / 3).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (432)، وَمُسْلِمٌ (777).

(4) شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ (326 / 3، 327).

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَدَاءُ السُّنَّةِ فِي الْبَيْتِ أَفْضَلُ مِنْ أَدَائِهَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَفْضَلُ صَلَاةٍ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ» يَقُولُ ذَلِكَ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ، وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الصَّلَاةِ فِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَكَانَ هُوَ نَفْسُهُ يُصَلِّي النَّافِلَةَ فِي بَيْتِهِ»⁽¹⁾.

ثَبَّتَ ذَلِكَ عَنْهُ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ تِلْكَ سُنَّةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فَالزُّمُوهَا فَإِنَّهُ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : «إِنَّمَا يَرْفَعُ اللَّهُ الْعَبْدَ بِقَدْرِ تَمَسُّكِهِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

اللَّهُمَّ فَفَقِّهْنَا فِي الدِّينِ وَوَفِّقْنَا لِاتِّبَاعِ نَبِيِّكَ وَالْإِهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ.

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا وَانْفَعْنَا بِنَا وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ.

(1) فَتَاوَى ابْنِ عُثَيْمِينَ (14/355، 356).

(2) زَادُ الْمَعَادِ (2/419).



القلب السليم

8

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأنعام: 70 - 71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - ﷺ - ،
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد - حديثي معكم اليوم - أيها الناس - عن «القلب السليم».

أيها الناس إن إصلاح القلوب من المطالب العالية، والمقاصد السامية، لأن القلب محل نظر الله - سبحانه - وتعالى - قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾

(الأنعام: 51).

في «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

— البصیح من الأشرفی بخط ابن الخطیر — ﴿ ٨١ ﴾

وَصَلَاحُ الْجَوَارِحِ بِصَلَاحِ الْقَلْبِ كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) مِنْ حَدِيثِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ».

وَلَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ».

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَاضِلُ الْإِسْتِقَامَةِ اسْتِقَامَةُ الْقَلْبِ عَلَى التَّوْحِيدِ، فَتَمَى اسْتِقَامَ الْقَلْبِ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَعَلَى خَشْيَتِهِ، وَإِجْلَالِهِ، وَمَهَابَتِهِ، وَإِزَادَتِهِ، وَرَجَائِهِ وَدُعَائِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ اسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ كُلُّهَا»^(٣).

وَالْقَلْبُ كَثِيرُ التَّقَلُّبِ فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»^(٤) مِنْ حَدِيثِ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّى أَنْظَرَ بِهَا يُخْتَمُ لَهُ - يَعْنِي بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قِيلَ: وَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقَدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلِيَانَا».

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْأَمْثَالِ وَأَبْلَغِهَا وَأَعْظَمِهَا تَقْرِيْبًا لِلْأَفْهَامِ»^(٥).

(١) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثِ رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (٥٢)، وَمُسْنَدُ (١٥٩٩).

(٢) «حَسَنٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (١٩٨/٣) وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (٢٥٥٤).

(٣) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ» (٥١١/١ - ٥١٢).

(٤) «صَحِيحٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (٤/٦) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ بِطَرِيقِهِ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٧٧٢).

(٥) «أَعْلَامُ الْمَوْقِعِينَ» (٢٩٥/١).



وقال الشاعر:

مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقْلِبِهِ ○○○ فَاخْتَزَعَلَ الْقَلْبُ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيلِ

وَيُصَوِّرُ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ الْقَلْبَ كَرِيشَةٍ فِي مَهَبِ الرِّيحِ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْقَلْبَ كَرِيشَةٍ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يُقِيمُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِيَطْنِ».

وَلَمَّا كَانَ الْقَلْبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِهَذِهِ الْحَالَةِ كَانَ عُرْضَةً لِلْفِتَنِ.

ففي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَعُرْضِ الْحَصِيرِ عُرُودًا عُرُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نَكَّتْ فِيهِ نُكْتَةً سَوْدَاءَ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نَكَّتْ فِيهِ نُكْتَةً بِيضَاءَ، حَتَّى تَعُودَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: قَلْبٍ أَسْوَدَ مِرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًا (أَيُّ: كَالْإِنَاءِ مَكْبُوتًا مَنكُوسًا) لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ، وَقَلْبٍ أَيْضًا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ».

فَالْقَلْبُ السَّالِمُ مِنْ تِلْكَ الْفِتَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي يَنْفَعُ صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

(الشَّعْرَاءُ: 88-89).

وَلِلْقَلْبِ السَّلِيمِ عِلَامَاتٌ يُعْرَفُ بِهَا.

(1) «صَحِيحٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (4/419)، وَابْنُ مَاجَهَ (88) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَهَ» (71).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (144).

— البصريح من الأشرفي بخط ابن كثير —

فَمِنْ عَلاماتِ القَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّها النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ سَالمًا مِنْ حَبيَّةِ ما يَكْرَهُهُ اللهُ، فَدخَلَ فِي ذلكَ سَلامَتُهُ مِنَ الشُّرْكِ الجَلِيِّ والحَفِيِّ، وَمِنَ الأَهْواءِ والبِدَعِ، وَمِنَ الفُسُوقِ والمَعاصِي - كَبائِرِها وصَغائِرِها الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ، كالرِّياءِ والعُجْبِ، والغِلِّ والحَقْدِ، والحَسَدِ، وَغَيرِ ذلكَ⁽¹⁾.

فَفِي سُنَنِ ابنِ مَاجَهَ بِسَنَدِ صَحيحِ صَحَّحَهُ الألبانِيُّ فِي «الصَّحيحينِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَحْمُومِ القَلْبِ صَدُوقِ اللِّسانِ» قالوا: صادِقونَ اللِّسانَ نَعرفُهُ، فَمَا مَحْمُومُ القَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّيْمِيُّ التَّيْمِيُّ لا إِثْمَ فِيهِ، وَلا بَغْيَ وَلا غِلَّ وَلا حَسَدَ».

قالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «هَذا القَلْبُ أَحَبُّ القُلُوبِ إِلى اللهِ وَأَكثَرُها خَيرًا، تَنبُعُ مِنْهُ عِيونُ الخَيرِ، وَتَنفَجِرُ مِنْهُ بِنائِبِ العِبرِ، وَمبارُ اللهِ وَنِعْمَةُ تَغشاها عَلى الدَّوامِ»⁽³⁾.

وَمِنْ عَلامَةِ القَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّها النَّاسُ - أَنْ يَرْتَحِلَ عَنِ الدُّنيا حَتَّى يَنزِلَ بِالأخِرَةِ، وَيَجَلَّ فِيها حَتَّى يَبقى كَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِها وَأَبنائِها جَاءَ إِلى هَذا الدَّارِ غَريبًا ياأخُذُ مِنْها حَاجَتَهُ وَيَعُودُ إِلى وَطَنِه.

فَفِي «صَحيحِ البُخارِيِّ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنيا كَأَنَّكَ غَريبٌ أَوْ عابِرُ سَبيِلٍ».

وَمِنْ عَلاماتِ القَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّها النَّاسُ - أَنَّهُ لا يَزالُ يَضربُ عَلى صَاحِبِهِ حَتَّى يَعُودَ إِلى اللهِ وَيُجِبتَ إِليه وَيَتعلَقُ بِهِ تَعلَقَ المَحَبِّ المَضطَرِ إِلى مَحبُوبِهِ، الَّذِي لا حَياةَ لَهُ

(1) شرح حديث شداد بن أوس (ص 14) لابن رجب رحمه الله.

(2) «صحيح» رواه ابن ماجه (4216)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (3397).

(3) «طريق الهجرتين» (ص 606).

(4) رواه البخاري (6416).



وَلَا نَعِيمَ وَلَا سُورَرَ إِلَّا بِرِضَاهُ وَقُرْبِهِ وَالْأَنْسِ بِهِ فِيهِ يَطْمَئِنُّ، وَإِلَيْهِ يَسْكُنُ وَإِلَيْهِ
يَأْوِي، وَبِهِ يَفْرَحُ، وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَبِهِ يَثِقُ وَإِيَّاهُ يَرْجُو، وَلَهُ يَخَافُ⁽¹⁾.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِيَالَهُ مِنْ قَلْبٍ، مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ!، وَمِنْ قُرْبِهِ مَا أَخْطَاهُ!»⁽²⁾.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ نَالَ غِذَاءَهُ وَدَوَاءَهُ، وَشِفَاءَهُ، وَنُورَهُ وَقُوَّتَهُ، وَلَذَّتَّهُ وَنَعِيمَهُ مَا
هُوَ أَجْلُ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ، وَأَطْيَبُ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْظَمُ اللَّذَّاتِ».

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ
حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ (التَّحْلُوكَ : 97)⁽³⁾.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ لَا يَفْتَرُّ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ وَلَا يَسْأَمُ مِنْ
خِدْمَتِهِ، وَلَا يَأْنَسُ بغيرِهِ إِلَّا بِمَنْ يَدُلُّهُ عَلَيْهِ، وَيَذْكُرُهُ بِهِ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْقَبَائِحُ نَفَرَ مِنْهَا
بِطَبْعِهِ، وَأَبْغَضَهَا وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا⁽⁴⁾.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّهُ إِذَا
فَاتَتْهُ طَاعَةٌ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَجَدَ لِفَوَاتِهَا أَلْمًا أَعْظَمَ مِنْ تَأَلُّمِ الْحَرِيصِ بِفَوَاتِ مَالِهِ»⁽⁵⁾.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَشْتَأِقُ لِطَاعَةِ رَبِّهِ كَمَا يَشْتَأِقُ
الْجَائِعُ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.

(1) انظر «إصلاح القلوب» لعبد الهادي بن حسن وهبي (ص 24) وقد استفدت منه في إعداد هذه
الخطبة - جزاه الله خيرًا - .

(2) «طريق الهجرتين» (379).

(3) «مفتاح دار السعادة» (182/1).

(4) «موارد الأمان» (ص 55).

(5) «إغاثة اللهفان» (ص 79).

85 - البصريح من الأشعري بخط الألباني

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ ذَهَبَ عَنْهُ هَمُّهُ وَغَمُّهُ بِالْدُّنْيَا.

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «مِشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ»⁽¹⁾ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنْ خُرَاعَةَ: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَقِمِ الصَّلَاةَ يَا بِلَالُ أَرِحْنَا بِهَا».

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ هَمُّهُ وَاحِدًا وَأَنْ يَكُونَ فِي اللَّهِ - تَعَالَى - فَيَصْبِحُ وَيَمْسِي وَلَيْسَ لَهُ هَمٌّ غَيْرُ رِضَا رَبِّهِ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ أَشْحَ بوقته من أن يذهب ضائعًا لِأَنَّ إِضَاعَةَ الْوَقْتِ تَقْطَعُهُ عَنِ الْخَالِقِ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصُّحَّةُ وَالْفِرَاعُ».

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ اهْتِمَامُهُ بِتَصْحِيحِ الْعَمَلِ أَعْظَمَ مِنْ اهْتِمَامِهِ بِالْعَمَلِ فَيَكُونُ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى الطَّاعَةِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى فَيَقُومُ بِهَا عَلَى أَحْسَنِ الْوَجُوهِ قَدْ حَقَّقَ فِيهَا الْمَتَابَعَةَ وَالْإِقْتِدَاءَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَلَ مِنْهُ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ؟ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءًا تَرَاءَوْا قُلُوبُهُمْ وَجِلَةً﴾ (الْمُؤْتُونَكَ : 60).

(1) «صَحِيحٌ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (4985) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (278/1).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6412).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3175)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (787/3).



قَالَتْ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا يَتَقَبَلَ مِنْهُمْ أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ».

فهذه - أيها الناس - عَلاماتُ القلبِ السَّليمِ فلهُ النِّعِيمُ المقيمُ والعيشُ السَّليمُ في جوارِ ربِّ العالمين.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشُّعْرَاءُ : 88-89).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَنْتَ مِنْ شَيْعَتِهِ، لِأَنْزِهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ، بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾

(الصَّافَّاتِ : 83-84).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

— البصيح من الأشرفي بخط ابن تيمية — 87

الخطبة الثانية - صور مشرقة لأصحاب القلوب السليمة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الْقَلْبِ السَّلِيمِ وَعَلَامَتِهِ» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ سُنَنِ «صُورٍ مَشْرُقَةٍ لِأَصْحَابِ الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ».

فَمِنْ تِلْكَ الصُّورِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ
سَعْدٍ قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي إِبْلِهِ فَجَاءَهُ ابْنُهُ عَمْرٌ فَلَمَّا رَأَاهُ سَعْدٌ
قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ. فَتَزَلَّ، فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبْلِكَ وَعَنَمِكَ
وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمَلِكَ بَيْنَهُمْ؟

فَضْرَبُ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: أَسْكُتُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيِّ الْحَقِيَّ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْحَقِيُّ: مَعْنَاهُ الْخَامِلُ الْمُنْقَطِعُ إِلَى الْعِبَادَةِ، وَالِاشْتِغَالِ
بِأُمُورِ نَفْسِهِ»⁽²⁾.

فَتَأَمَّلُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - كَيْفَ أَنَّ صَاحِبَ الْقَلْبِ السَّلِيمِ لَا يُحِبُّ الظُّهُورَ وَلَا
يَتَصَدَّرُ لشيءٍ؛ لِأَنَّ أَهَمَّ مَا عِنْدَهُ هُوَ مَحَبَّةُ اللَّهِ لَهُ وَرِضَا اللَّهِ عَنْهُ.

وهكذا أصحاب رسول الله لا يحبون أن يُشارَ لهم بين الناس بالبَّتانِ أو يتحدثَ
النَّاسُ عَنْهُمْ لِسَلَامَةِ قُلُوبِهِمْ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2965).

(2) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (1001/18 - 1002).



أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»⁽¹⁾ عن علي بن أرطاة قال: كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا زُكِّي قال: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون.

وفي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث عمرو بن ميمون الطويل (لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه) جاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة قال: وددت أن ذلك كفافاً لا علي ولا لي فلما أذبر إذ إزاره يمس الأرض قال: زدوا علي الغلام، قال: ابن أخي! ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك.

فعمرو الفاروق رضي الله عنه - أيها الناس - صاحب القلب السليم لم يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في هذا الوطن، إمثالاً لقول النبي ﷺ كما في «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

وفي هذا الحديث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن لم يكن في القلب إنكاراً ما يكرهه (الله) ويُبغضه لم يكن فيه إيمان»⁽⁴⁾.

ومن تلك الصور - أيها الناس - ما جاء في «صحيح البخاري» عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي (علي بن أبي طالب): أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟

(1) «صحيح» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (761) وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (589).

(2) رواه البخاري (3700) في حديث طويل.

(3) رواه مسلم (49).

(4) «الاستقامة» (36/2).

— البصريح من الأشراف في خطب النبي ﷺ

قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر - وخشيت أن يقول عثمان - قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

ومن تلك الصور - أيها الناس - ما جاء في «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أسير بن جابر، قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أفيكم أويس ابن عامر؟ حتى أتى على أويس قال: أنت أويس ابن عامر؟ قال: نعم. قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم.

قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هوبها بر، لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن تستغفرك فافعل». فاستغفرت لي فاستغفر له. فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة.

قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي.

فانظروا - أيها الناس - إلى قول صاحب القلب السليم أويس القرني رضي الله عنه أكون في غبراء الناس أحب إلي.

وغبراء الناس هم ضعفاؤهم وصعاليكهم وأخلاطهم الذين لا يؤبه لهم وهذا من إشار الخمول وكنم حاله كما قال النووي رحمه الله⁽²⁾.

اللهم تولنا بلطفك ومن علينا بقلوب سليمة طاهرة خاشعة لينة رقيقة نقيّة.

(1) رواه البخاري (3671).

(2) «شرح النووي على مسلم» (77/16 - 78).



الْفَرْجُ بَعْدَ الشَّدَّةِ

9

الْخُطْبَةُ الْأُولَى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿بَيِّنَاتٍ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَاتُ : 102).

- ﴿بَيِّنَاتٍ النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النَّبَاتَةُ : 1).

- ﴿بَيِّنَاتٍ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْاِحْتِبَاتِيُّ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْفَرْجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لَا يَجْلُو مِنَ الْإِبْتِلَاءِ، وَالْاِحْتِبَارِ إِمَّا فِي نَفْسِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ وَلَدِهِ، أَوْ مَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا

يَفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ (الْمُنَافِقُونَ : 1-2).

وَمَعْنَى الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ هَلْ ظَنَّ النَّاسُ أَنْ تَرَكَهُمْ وَشَأْنَهُمْ بِمَجْرَدِ النُّطْقِ

بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَقَوْلِهِمْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، دُونَ أَنْ يَبْتَلِيَهُمُ اللَّهُ وَيَخْتَبِرَ صِدْقَ إِيمَانِهِمْ،

بِالْهَجْرَةِ وَالتَّكْلِيفِ الدِّيْنِيَّةِ الْأُخْرَى، وَالْجِهَادِ وَالْمَصَائِبِ؟

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ﴾ (التينج : 5-6).

والمعنى - أيها الناس - : إنَّ مع العُسْرِ يسْرينِ.

أيها الناس لقد قرَن الله الشدة بالفرج في أكثر من آية.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ يُسْرًا مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ

وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَّابِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ۗ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٧﴾ أُولَئِكَ

عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ (التكوة : 155-157).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَد جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَظْتَهُمْ

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۗ﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(التغذبات : 173-174).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامِ ۗ﴾

اللَّهُ سَيَجْعَلُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أُمَّةً مَّكْرُومًا ﴿٤٤﴾﴾ (عقلا : 44-45).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ آلَا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي

أَمْرِنَا وَنَجِّنَا أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۗ﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ (التغذبات : 147-148).

أيها الناس كم لتفريج الكرب بعد الشدة من صور ماثورة في الكتاب والسنة

وسوف أذكر طرفاً منها.

فمن صور الفرج بعد الشدة تفريج الله كرب نبيه أيوب عليه السلام بعد شدة شديدة.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَأذْكَرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۗ أَنِّ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ

﴿١١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿١٢﴾ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِنْهُمْ مَعَهُمْ رَجْمَةٌ وَذَكَرْنَا لِأُولَى الْأَنْبِيَاءِ ﴿١٣﴾

وَخُذْ بِيَدِكَ ضَعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ، وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٤﴾﴾ (ص : 41-44).

— البصيح من الأشرف بخط ابن كثير —

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَفْرِجُ اللهُ كَرْبَ نَبِيِّهِ ﷺ وَصَاحِبِهِ فِي الْغَارِ

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ، لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللهِ هِيَ الْفَلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ (البقرة: 40).

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ تَفْرِجُ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : كَرْبَ نَبِيِّهِ ﷺ وَصَاحِبِهِ فِي أُمَّتِهِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنِّهِنَّ أَضَلَّنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (إبراهيم: 36).

وَقَالَ عِيسَى ﷺ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ (المائدة: 118).

فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي». وَبَكَى

فَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبِّكَ أَعْلَمُ - فَسَلَّهُ مَا يُبْكِيكَ؟

فَأَنَّهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللهُ: يَا جَبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ. وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ تَفْرِجُ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - كَرْبَ رَسُولِهِ يَوْمَ بَدْرٍ.

(1) زوَاهُ مُسْلِمٌ (202).



ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَصِلِي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيَكُمُ يَجِيءُ بَسْلَى جَذُورِ بَنِي فَلَانَ فَيَضَعُهَا عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟

فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره، بين كتفيه وأنا أنظر لا أغني شيئاً لو كانت لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعضٍ ورسول الله ﷺ ساجداً لا يرفع رأسه، حتى جاءت فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع رسول الله ﷺ رأسه ثم قال: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقَرِيشٍ» ثلاثِ مرَّاتٍ، فشقَّ عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أنَّ الدَّعوةَ في ذلك البلدِ مستجابة.

ثم سمي: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ يَا جَهْلِي، وَعَلَيْكَ بَعْتِ بْنِ رَيْعَةَ، وَشِيَةَ بْنِ رَيْعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عَتْبَةَ، وَأَمِيَةَ بْنَ خَلْفٍ، وَعَقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيظٍ» وعد السابع فلم نحفظه.

قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صَرَعى في القليبِ قليبِ بدر.

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَفْرِيجُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - كَرَبَ بِلَالِ بْنِ رِبَاحٍ مُؤَذِّنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ففي سنن أبي داود بسندٍ صحيحٍ صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» والوادعي في «الجامع الصحيح»⁽²⁾ من حديث عبد الله الهوزاني قال: لقيتُ بلالاً مؤذناً رسول الله ﷺ بحلب، فقلتُ: يا بلالُ، حدثني كيفَ كانت نفقةُ رسولِ الله ﷺ؟

(1) زوَاهُ الْبُخَارِيُّ (240)، وَمُسْلِمٌ (1794).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (3055)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (2628)، وَالْوَادِعِيُّ

فِي «الْجَامِعِ الصَّحِيحِ» (95/4).

— البصيح من الأشرفي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ — 95

قال: ما كان له شيء، كنت أنا الذي ألي ذلك منه منذ بعثه الله حتى توفي رسول الله ﷺ، وكان إذا أتاه الإنسان مسلماً فراه عارياً يأمرني فأنتقل فاستقرض، فاشترى له البردة فأكسوه وأطعمه حتى اعترضني رجل من المشركين، فقال: يا بلال، إن عندي سعة فلا تستقرض من أحد إلا مني، ففعلت فلما أن كان ذات يوم توضأت ثم قمت لإذن بالصلاة، فإذا المشرك قد أقبل في عصاية من التُّجَّارِ، فلما أن رأني قال: يا حبشي، قلت: يا لبَّاهُ، فتجهمني وقال لي قولاً غليظاً، وقال لي: أتدري كم بينك وبين الشهر؟ قال: قلت: قريب، قال: إنما بينك وبينه أربع فأخذك بالذي عليك، فأردك ترعى الغنم كما كنت قبل ذلك، فأخذ في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس، حتى إذا صليت العتمة رجعت رسول الله ﷺ إلى أهله، فاستأذنت عليه فأذن لي، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي إن المشرك الذي كنت أتدين منه قال لي: كذا وكذا وليس عندك ما تقضي عني ولا عندي، وهو فاضحي فأذن لي أن أبتى إلى بعض هؤلاء الأحياء الذين أسلموا حتى يرزق الله رسوله ﷺ ما يقضي عني، فخرجت حتى إذا أتيت منزلي فجعلت سيفي وجراي ونعلي ومجني عند رأسي، حتى إذا نشق عمود الصبح الأول، أردت أن أنطلق فإذا إنسان يسعى يدعو: يا بلال، أجب رسول الله ﷺ، فانطلقت حتى أتته فإذا أربع ركائب مناخات عليهن أحاهن، فاستأذنت فقال لي رسول الله ﷺ: «أبشِرْ فَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ بِقَضَائِكَ» ثم قال: «الم تر الركائب المناخات الأربع؟». فقلت: بلى، فقال: «إن لك رقابهن وما عليهن، فإن عليهن كسوة وطعاماً أهداهن إلي عظيم، فذك فاقبضهن واقض دينك». ففعلت فذكر الحديث، ثم انطلقت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قاعد في المسجد، فسلمت عليه فقال: «ما فعل ما قبلك؟»، قلت: قد قضى الله كل شيء كان على رسول الله، فلم يبق شيء، قال: «أفضل شيء؟» قلت: نعم، قال: «انظر أن تريحتي منه فإنني لست بداخل على أحد من



أهلي؛ حتى تُرِيحَنِي مِنْهُ» فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَتَمَةَ دَعَانِي، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ الَّذِي قَبْلَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: هُوَ مَعِي، لَمْ يَأْتِنَا أَحَدٌ فَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، وَقَصَى الْحَدِيثَ حَتَّى إِذَا صَلَّى الْعَتَمَةَ - يَعْنِي مِنَ الْغَدِ - دَعَانِي قَالَ: «مَا فَعَلَ الَّذِي قَبْلَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ أَرَاكَ اللَّهُ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَبَّرَ وَحَمِدَ اللَّهُ شَفَقًا مِنْ أَنْ يَدْرَكَهُ الْمَوْتُ وَعِنْدَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتْبَعْتُهُ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَزْوَاجُهُ فَسَلَّمَ عَلَيَّ امْرَأَةً، حَتَّى أَتَى مَبِيَّتَهُ؛ فَهَذَا الَّذِي سَأَلْتَنِي عَنْهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ تِلْكَ الصُّورُ مَا هِيَ إِلَّا قَطْرَةٌ مِنْ مَطْرَةٍ وَإِلَّا فَالْصُّورُ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ أَقُومَ فِيكُمْ مَقَامِي الْعُمَرَ كُلَّهُ وَقَدْ يَأْتِي الْمَوْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْتَهِيَ مِنْهُ.

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكَمْ قَصَصٌ - سُبْحَنَهُ - قَصَصَ تَفْرِيجِ كُرْبَاتِ أَنْبِيَائِهِ عِنْدَ تَنَاهِي الْكُرُوبِ كِإِنْجَاءِ نُوحٍ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ، وَإِبْرَاهِيمَ مِنَ النَّارِ، وَفِدَائِهِ لَوْلَدِهِ الَّذِي أَمَرَ بِذَنْبِهِ، وَإِنْجَاءِ مُوسَى مِنَ الْيَمِّ، وَإِغْرَاقِ عَدُوِّهِمْ، وَقِصَّةِ أَيُّوبَ، وَيُونُسَ، وَقِصَصِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَعَ أَعْدَائِهِ، وَإِنْجَائِهِ مِنْهُمْ كَقِصَّتِهِ فِي الْغَارِ، وَيَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ أُحُدٍ وَيَوْمَ الْأَحْزَابِ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ»⁽¹⁾.

يا صاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ منفرجٌ ○●○ أبشِرْ بخيرٍ فإنَّ الفارحَ اللهُ
 اليأسَ يقطعُ أحيانًا بصاحبه ○●○ لا تيأسَنَّ فإنَّ الكافيَ اللهُ
 اللهُ يُحدثُ بعدَ العسرِ ميسرةً ○●○ لا تجزعَنَّ فإنَّ الصَّانعَ اللهُ
 إذا بليتَ فشقْ باللهِ وارضْ بهِ ○●○ إنَّ الَّذِي يَكْشِفُ الْبَلْوَى هو اللهُ
 واللهِ مالِكٌ غيرُ اللهِ من أحدٍ ○●○ فحيِّك اللهُ في كلِّ لك اللهُ

وأستغفر الله.

(1) «جامع العلوم والحكم» (186).

الخطبة الثانية - أسباب الفرج بعد الشدة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «الفرج بعد الشدة» والآن حديثي معكم عن «أسباب الفرج بعد الشدة».

أيها الناس إذا كان الله - سبحانه وتعالى - قد وعد بالفرج بعد الشدة وباليسر مع العسر وبعده فلا يتنافى ذلك مع الأخذ بالأسباب التي نرجو بها تعجيل اليسر بعد العسر، والفرج بعد الشدة فالله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: 22). ومع ذلك نأخذ بأسباب الرزق وكذلك أسباب الرحمة التي نرجو بها دخول الجنة

بل قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: 6).

ومع ذلك قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿فَاتَسَوَّاهُ مَنَاجِبَهَا كُلًّا مِنْ رِزْقِهِ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الأنعام: 115) (1).

فمن أسباب الفرج بعد الشدة - أيها الناس - تقوى الله - عز وجل - .

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٣٧﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: 2-3).

قال ابن كثير رحمه الله : «أي من يتق الله فيما أمره، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي من جهة لا تحظر بياله» (2).

(1) انظر «الفرج بعد الشدة» لأحمد فريد (ص 37).

(2) «تفسير ابن كثير» (8/146).



وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق : 4).
قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَيُّ: يُسَهِّلُ أَمْرَهُ، وَيُسِّرُهُ عَلَيْهِ، وَيَجْعَلُ لَهُ فَرَجًا
وَمُخْرَجًا عَاجِلًا»⁽¹⁾.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّعَرُّفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ.
فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي «ظِلَالِ الْجَنَّةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ
ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ لِي: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ
كَلِمَاتٍ، إِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدُهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ
مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ،
وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ : «قَوْلُهُ: «تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ»
لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْمَعْرِفَةِ الْمَعْرِفَةُ الْعَامَّةُ الَّتِي هِيَ الْإِقْرَارُ وَالتَّصْدِيقُ وَالْإِيْمَانُ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ
الْمَعْرِفَةُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَقْتَضِي مِيلَ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالانْقِطَاعَ إِلَيْهِ، وَالْأُنْسَ
بِهِ وَالطَّمَأِينَةَ بِذِكْرِهِ، وَالْحَيَاءَ مِنْهُ، وَالْهَيْبَةَ لَهُ»⁽³⁾.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ.
قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق : 3).
قال ابن عَجِيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَيُّ يَكِلُ أَمْرَهُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّقٍ بِغَيْرٍ وَلَا تَدْبِيرِ نَفْسٍ
﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. كَافِيهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ»⁽⁴⁾.

(1) «تفسير ابن كثير» (146/8).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (84/2) وصححه الألباني في «المشكاة» (5302).

(3) «جامع العلوم والحكم» (179).

(4) «البحر المديد» (99/8).

— ابيضح من الاشرف بخطه المنير — 99 —

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَ شَرْحِهِ لِجَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ الْمَتَقَدِّمِ: «وَمِنْ لَطَائِفِ
أَسْرَارِ اقْتِرَانِ الْفَرْجِ بِالْكَرْبِ وَالْيُسْرِ بِالْعُسْرِ أَنَّ الْكَرْبَ إِذَا اشْتَدَّ وَعَظُمَ وَتَنَاهَى،
وَخَصَلَ لِلْعَبِيدِ الْيَأْسُ مِنْ كَشْفِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَخْلُوقِينَ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِاللَّهِ وَخَذَهُ، وَهَذَا هُوَ
حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُطَلَّبُ بِهَا الْحَوَائِجُ فَإِنَّ اللَّهَ
يَكْفِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾⁽¹⁾.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْفَرْجِ بَعْدَ الشَّدَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ مَعَ الْإِضْطِرَارِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (الْبَقَرَةُ: 62).

وَالْمُضْطَرُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ مَنْ نَزَلَتْ بِهِ شِدَّةٌ مِنْ شِدَائِدِ الزَّمَانِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «ضَمِنَ اللَّهُ إِجَابَةَ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ،
وَالسَّبَبُ أَنَّ الضَّرُورَةَ إِلَيْهِ بِاللَّجَأِ، مَنْشَأً عَنِ الْإِخْلَاصِ، وَقَطْعِ الْقَلْبِ عَمَّنْ سِوَاهُ»⁽²⁾.
اللَّهُمَّ فَفَقِّهْنَا فِي دِينِنَا وَزِدْنَا عِلْمًا وَهَدَى وَصَلَاحًا وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ.

(1) «جامع العلوم والحكم»، (187).

(2) «تفسير القرطبي»، (222/13).



10 الاعتداء في الدعاء

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذاتنا : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسأة : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأختباتنا : 70 - 71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - ﷺ - ،
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد - حديثي معكم اليوم - أيها الناس - عن «الاعتداء في الدعاء».

أيها الناس الدعاء أعظم أنواع العبادات لا بَلْ هُوَ الْعِبَادَةُ لِمَا فِي سُنَنِ التَّرْمِذِيِّ
بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْمِذِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ
بِشْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ». ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ

أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ﴿١٠﴾

(عَنْظُرْ : 60).

(1) انظر «الاعتداء في الدعاء» لهيثم حيدر فقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة جزاءه الله خيرا.

— البصيح من الأشرفي بخط ابن الأثير —

101

قال الشوكاني رحمه الله: «دلت الآية الكريمة على أن الدعاء من العبادة فإنه - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - أمر عبادة أن يدعوهُ ثُمَّ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾؟ فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة وأن ترك دعاء الرب استكبار ولا أقبَح من هذا الاستكبار».

أيها الناس لما كان الدعاء بهذه المنزلة العظيمة حرص الشيطان الرجيم على إفساده إما بالزيادة فيه أو النقص منه فإنه توعد بالعود للمسلم في طريق الحق كما قال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - حاكياً عنه: ﴿فِيمَا أَعْرَبْتَنِي لَأَقُودَنَّ لَمْ يَمْرُطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ (الأعراف: 16).

وقال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - حاكياً عنه: ﴿وَقَالَ لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١٨﴾﴾ (النساء: 118).

ولم يكن الله لِيَسْلُطَ علينا الشيطان لولا أننا أطعناه واستجبنا له كما قال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (سجدة: 20).

والمعنى - أيها الناس - لقد ظن إبليس ظناً غير يقين أنه سيظلم بني آدم وأتتهم سيطعونته في معصيته الله، فصدق ظنه عليهم، فأطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقاً من المؤمنين بالله، فإنهم ثبتوا على طاعة الله⁽¹⁾.

أيها الناس من مصائد الشيطان التي ينصبها للناس الاعتداء في الدعاء إما بتجاوز الحد أو الغلو فيه.

كما قال أحد السلف: «ما أمر الله بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفریط أو تقصير وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي الشيطان بأيها ظفر»⁽²⁾.

أيها الناس لقد أمرنا الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - بالدعاء وأخبرنا أنه لا يحب المعتدين فيه.

(1) «التفسير الميسر» (396/7).

(2) انظر «الاعتداء في الدعاء» (ص5).



قال الله - سُبْحَانَهُ، وَنَعْلَانُ - : ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأنعام: 55).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ : «وَأَمَّا قَوْلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ . معناه : إنَّ رَبَّكُمْ لَا يُحِبُّ مَنْ اعْتَدَى فَتَجَاوَزَ حَدَّهُ الَّذِي حَدَّهُ لِعِبَادِهِ فِي دُعَائِهِ وَمَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ»⁽¹⁾ .
وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالِدُّعَاءِ .

ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي نُعَامَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَغْفَلٍ سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَضْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا . فَقَالَ : أَيُّ بَنِي سَلِّ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَتَعَوَّذُ بِهِ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالِدُّعَاءِ» .

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ عَنْ مَوْلَى لَسْعِدٍ أَنَّ سَعْدًا سَمِعَ ابْنَهُ لَهُ يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَإِسْتَبْرَقَهَا وَنَحْوًا مِنْ هَذَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَسُلَاسِلِهَا وَأَغْلَالِهَا ، فَقَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَتَعَوَّذْتَ بِاللَّهِ مِنْ شَرٍّ كَثِيرٍ . وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ . وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ، وَإِنَّ حَسْبَكَ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ» .
وَالِاعْتِدَاءُ فِي الدُّعَاءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَمْنَعُ مِنَ الْإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ .

(1) «تفسير الطبري» (الأعراف: 55).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (86) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (2396).

(3) «صحيح» أخرجه أحمد (172/1) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (3671).

— الفصحى من الأشراف بخط ابن الخطيب —

103

أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»⁽¹⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو، لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا بِقَطِيعَةٍ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَذْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا». قَالَ: إِذَا نُكِّثُ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْرَمُ».

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ تَعْلِيْقًا عَلَى الْحَدِيثِ: «وَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ وَإِنْ كَانَ إِذْنَا بِالْإِجَابَةِ فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ فَقَدْ ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ اجْتِنَابِ الْإِعْتِدَاءِ الْمَانِعِ مِنَ الْإِجَابَةِ حَيْثُ قَالَ فِيهِ: «لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا بِقَطِيعَةٍ رَحِمٍ»⁽²⁾.

فَمِنْ صُورِ الْإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يَدْعُو الْمُسْلِمُ بِمَا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَيَتَخَيَّرُ أَلْفَاظًا مَفْقَرَةً وَكَلِمَاتٍ مَسْجَعَةً قَدْ وَجَدَهَا فِي كَرَارِيسَ لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا مَعْمُولَ عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُهَا شِعَارَهُ وَيَتْرَكَ مَا دَعَا بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُلُّ هَذَا يَمْنَعُ مِنَ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ كَمَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ⁽³⁾.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: «الْمَشْرُوعُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَدْعُوَ بِالْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ فَإِنَّ الدُّعَاءَ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ، وَقَدْ نَهَانَا اللهُ عَنِ الْإِعْتِدَاءِ فِيهِ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّبِعَ مَا شَرَّعَ وَسُنَّ، كَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي لَنَا ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالَّذِي يَغْدُلُ عَنِ الدُّعَاءِ الْمَشْرُوعِ إِلَى غَيْرِهِ الْأَخْسَنُ لَهُ أَنْ لَا يَقُوْتَهُ الْأَكْمَلُ وَالْأَفْضَلُ وَهِيَ الْأَدْعِيَةُ النَّبَوِيَّةُ، فَإِنَّهَا أَكْمَلُ وَأَفْضَلُ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الَّتِي لَيْسَتْ

(1) «صحيح» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (710)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (550).

(2) «تفسير القرطبي» (البقرة: 186).

(3) «تفسير القرطبي» (الأعراف: 55).



كَذَلِكَ وَإِنْ قَالَهَا بَعْضُ الشُّيُوخِ، فَكَيْفَ وَقَدْ يَكُونُ فِي عَيْنِ الْأَدْعِيَةِ مَا هُوَ خَطَأٌ أَوْ
إِسْمٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ؟!

وَمِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَيْبًا مَنْ يَتَّخِذُ حِزْبًا لَيْسَ بِمَأْثُورٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَدْعُ
الْأَحْزَابَ النَّبَوِيَّةَ الَّتِي كَانَ يَقُولُهَا سَيِّدُ بَنِي آدَمَ وَإِمَامُ الْخَلْقِ وَحِجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ⁽¹⁾.
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي لِلْخَلْقِ أَنْ يَدْعُوا بِالْأَدْعِيَةِ الْمَشْرُوعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْكِتَابُ
وَالسُّنَّةُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا رَبَّ فِي فَضْلِهِ وَحُسْنِهِ، وَأَنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ
أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصُّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا»⁽²⁾.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَذِنَ اللَّهُ فِي دُعَائِهِ وَعَلَّمَ الدُّعَاءَ فِي كِتَابِهِ
لِخَلْقِيَّتِهِ، وَعَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ الدُّعَاءَ لِأُمَّتِهِ، وَاجْتَمَعَتْ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: الْعِلْمُ بِالتَّوْحِيدِ،
وَالْعِلْمُ بِاللُّغَةِ، وَالنَّصِيحَةُ لِلْأُمَّةِ، فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَغْدِلَ عَنِ دُعَائِهِ ﷺ وَقَدْ
اِحْتَالَ الشَّيْطَانُ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْمَقَامِ فَفِيضَ هُمْ قَوْمٌ سُوءٍ يَخْتَرِعُونَ هُمْ أَدْعِيَةَ
يَسْتَعْمِلُونَ بِهَا عَنِ الْإِقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَشَدُّ مَا فِي الْإِحَالَةِ أَنَّهُمْ يَنْسِبُونَهَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ
وَالصَّالِحِينَ، فَيَقُولُونَ: دُعَاءُ نُوحٍ، دُعَاءُ يُونُسَ، دُعَاءُ أَبِي بَكْرٍ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ،
لَا تَسْتَعْمِلُوا مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا بِالصَّحِيحِ»⁽³⁾.

وَمِنْ صُورِ الْإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتِبْدَالُ لَفْظٍ وَارِدٍ (مَأْثُورٍ) بِغَيْرِهِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، وَ«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا آتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ
ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي، وَفَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ،

(1) انظر «تجموع الفتاوى» (308/22).

(2) انظر «تجموع الفتاوى» (336/1).

(3) «الفتوحات الربانية» (17/1).

— البصيح من الأشراف بخط ابن كثير —

وَالجَاتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ أَمَنْتُ
بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنْ مِتُّ مِتُّ عَلَى الْفِطْرَةِ فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ
مَا تَقُولُ». فَقُلْتُ أَسْتَذَكِرُهُنَّ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، قَالَ: «لَا وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي
أَرْسَلْتَ»، وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ فَقُلْتُ: أَمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَقَالَ: «قُلْ:
أَمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ سَبَبَ الْإِنْكَارِ إِنْ هَذَا ذِكْرٌ وَدُعَاءٌ فَيَنْبَغِي
فِيهِ الْاِقْتِصَارُ عَلَى اللَّفْظِ الْوَارِدِ بِحُرُوفِهِ، وَقَدْ يَتَعَلَّقُ الْجُزْءُ بِتِلْكَ الْحُرُوفِ وَلَعَلَّهُ أُوحِيَ
إِلَيْهِ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَيَتَعَيَّنُ أَدَاؤُهَا بِحُرُوفِهَا، ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا الْقَوْلُ: حَسَنٌ»⁽¹⁾.

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْحِكْمَةُ فِي رَدِّهِ عَلَى مَنْ قَالَ (الرَّسُولُ) بَدَلِ
(النَّبِيِّ) أَنَّ الْأَفَاطَ الْأَذْكَارَ تَوْقِيفِيَّةٌ، وَلَهَا خَصَائِصٌ وَأَسْرَارٌ لَا يَدْخُلُهَا الْقِيَاسُ فَتَجِبُ
الْمُحَافَظَةُ عَلَى اللَّفْظِ الَّذِي وَرَدَتْ بِهِ»⁽²⁾.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي جَهْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: «التَّشْبِيهُ (أَيْ تَشْبِيهُ جَابِرِ الدُّعَاءِ
بِالْقُرْآنِ فِي الْحِفْظِ وَالتَّعْلِيمِ) فِي تَحْفُظِ حُرُوفِهِ وَتَرْتِيبِ كَلِمَاتِهِ وَضَعِ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ
مِنْهُ وَالدَّرْسِ لَهُ وَالمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ الْإِهْتِمَامِ بِهِ وَالتَّحْقُوقِ
لِبَرَكَتِهِ، وَالاِحْتِرَامِ لَهُ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ كَوْنِ كُلِّ مِنْهُمَا عَلِيمًا بِالْوَحْيِ»⁽⁴⁾.

(1) «شرح النووي على مسلم» (33/17).

(2) «فتح الباري» (11/112).

(3) رواه البخاري (1166).

(4) «فتح الباري» (11/184).



وَمِنْ صُورِ الْإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ بِتَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا.
فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ
رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ (أَيَّ ضَعُفَ) فَصَارَ مِثْلَ الْفَرِخِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِيَنِي أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟».

قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ
آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».
قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفَاهُ.
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - أسباب الضج بعد الشدة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «الإعتداء في الدعاء» والآن حديثي معكم عن «تكلف السجع في الدعاء».

والسجع - أيها الناس - هو الكلام المستوي على نسي واحد كقول أحدهم اللهم ازحميني فوق الأرض وازحميني تحت الأرض وارحميني يوم العرض، وهو مكروه في الدعاء إن تعمده وتكلفه الداعي؛ لأنه يشغل عقله، ويشتت قلبه عن الخشوع والتدبر والتفكير.

وقد بوب البخاري في «صحيحه»⁽¹⁾ باب: ما يكره من السجع في الدعاء ثم أورد حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: فانظر السجع فاجتنبه فإنني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب.

قال الحافظ رحمه الله: «قوله: (وانظر السجع في الدعاء فاجتنبه) أي: لا تقصد إليه، ولا تشغل فكرك به لما فيه من التكلف المانع للخشوع المطلوب في الدعاء وقوله: (لا يفعلون إلا ذلك) أي: ترك السجع.

ثم نقل عن الإمام الغزالي أنه قال: المكروه من السجع هو المتكلف؛ لأنه لا يلائم الصراحة والدلة، وإلا ففي الأذعية المأثورة كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة»⁽²⁾

(1) رواه البخاري (6337).

(2) «فتح الباري» (11/139).



وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «إِنَّ السَّجْعَ الْمَذْمُومَ فِي الدُّعَاءِ هُوَ الْمُتَكَلِّفُ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ الْحُشُوعَ وَالْخُضُوعَ وَالْإِخْلَاصَ، وَيُلْهِمِي عَنِ الضَّرَاعَةِ وَالْإِفْتِقَارِ، وَفَرَاغِ الْقَلْبِ، فَأَمَّا مَا حَصَلَ بِلَا تَكْلُفٍ، وَلَا إِعْمَالٍ فِكْرٍ لِكِمَالِ الْفَصَاحَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، أَوْ كَانَ مُحْفُوظًا فَلَا بَأْسَ بِهِ، بَلْ هُوَ حَسَنٌ»⁽¹⁾.

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «الْإِعْتِدَاءُ فِي الدُّعَاءِ يَقَعُ بِزِيَادَةِ الرَّفْعِ فَوْقَ الْحَاجَةِ أَوْ بِطَلَبِ مَا يَسْتَجِيبُ حُصُولَهُ شَرْعًا أَوْ بِطَلَبِ مَعْصِيَةٍ أَوْ يَدْعُو بِهَا لَمْ يُؤْثِرْ خُصُوصًا مَا وَرَدَتْ كَرَاهَتُهُ كَالسَّجْعِ الْمُتَكَلِّفِ»⁽²⁾.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قِضَاءٍ قِضِيَّتَهُ لَنَا خَيْرًا⁽³⁾.

(1) «شرح النووي على مسلم» (41/17).

(2) «فتح الباري» (298/8).

(3) «صحيح» أخرجه ابن ماجه (3836)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (3102).

الاستقامة

[11]

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْكَرَاتِ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءَ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْاِحْتِزَابِ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الاستقامة».

أَيُّهَا النَّاسُ - الاستقامة على أمر الله سبب السعادة والفلاح.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَحْسَبُ أَجْنَتَهُ خَلِيدِينَ فِيهَا جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (الْاِحْقَافِ : 13-14).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (فُضِّلَاتِ : 30).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَاسْتَقِمُّوا كَمَا أَمَرْتُمْ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ (هُودِ : 112).



فالأمر هنا - أيها الناس - للنبي ﷺ ثم لاتباعه ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾. أي ومن آمن معك؛ بأن تابوا من الشرك فآمنوا بالله ورسوله، وصاروا مع النبي ﷺ مؤمنين به، وبها جاء به.

وأصل الاستقامة - أيها الناس - في القلب - فإذا استقام القلب على أمر الله استقامت سائر الجوارح.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسْنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَأْتِقَهُ». فَمَتَى اسْتَقَامَ الْقَلْبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَى الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ خَوْفًا، وَرَجَاءً، وَتَوَكُّلًا وَإِنَابَةً، اسْتَقَامَتْ بَعْدَ ذَلِكَ اللِّسَانُ فَإِنَّهَا رَأْسُ الْجَوَارِحِ بَعْدَ الْقَلْبِ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسْنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ فَنَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ فَإِنِ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اغْوَجَّتْ اغْوَجَجْنَا».

فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ حَالُ اللِّسَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَلْيَنْظُرْ أَحَدُنَا فِيمَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ وَلْيَحْذَرْ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ كَالْكَذِبِ، وَالغِيْبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَالسَّبِّ، وَالْبِدْءِ وَالْقَذْفِ، وَالْخُصُومَاتِ وَالْجِدَالِ، وَشَهَادَةِ الزُّورِ، وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَالْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ﴿١٨﴾ (نور: 18).

(1) «حسن» أخرجه أحمد (3/198)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (2841).

(2) «حسن» رواه أحمد (3/96)، والترمذي (2407)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (351).

— الصحيح من الأثر في تحصيل النية —

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ فِيهَا يَزُلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مَا يَبِينُ الْمَشْرِقُ».

ومتى استقامت اللسان - أيها الناس - استقامت الجوارح.
وأهم ما في الجوارح العين، فإنها أسرع المنافذ إلى القلب، وأقصر الطرق إليه، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿٣١﴾ (النور: 30-31).

فغض البصر يكون بالكف عن المحارم وأن يستعمل العبد نظره في طاعة الله بالنظر في كتاب الله متدبراً وينظر في ملكوت الله معتبراً.
ثم يأتي بعد ذلك استقامة الأذن فهي من أقصر الطرق إلى القلب فهي باب مفتوح لسماع الأغاني المعروفة والمعازيف الفاسدة وغير ذلك من الكلام المحرم وما لا خير فيه، والعبد مسؤول عن ذلك يوم القيامة لقول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الأنفال: 36).

ثم لا بد من استقامة باقي الجوارح من اليد والرجل والبطن، والفرج فإن كلاً منها له أثره في استقامة القلب وصلاحه.

وتتحقق الاستقامة - أيها الناس - بأمرين فمنها:

- أداء الفرائض والواجبات وهي على مراتب:

1 - فمنها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

(1) رواه البخاري (6477)، ومسلم (2988).



فَالْتَوْحِيدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَوْجِبُ الْوَجِبَاتِ، وَأَعْظُمُ الْحَسَنَاتِ، وَأَفْضَلُ الطَّاعَاتِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْهِمْ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ تَحْقِيقُ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ.

2- وَمِنْهَا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فَهِيَ قَرِينَةُ التَّوْحِيدِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

3- وَمِنْهَا الزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْحَجُّ وَذَلِكَ هُوَ أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ.

وَمِمَّا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْاسْتِقَامَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَحُقُوقُ الْعِبَادِ كُلِّهَا تَدْخُلُ فِي الْفَرَائِضِ

وَمِمَّا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْاسْتِقَامَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّوَافِلُ فَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا مِنْ كَمَالِ الْاسْتِقَامَةِ.

وَمِمَّا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْاسْتِقَامَةُ تَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ وَامْتِنَالُ الْمَأْمُورَاتِ وَاتَّقَاءُ الشُّبُهَاتِ

وَاجْتِنَابُ الذَّرَائِعِ وَمَا يَقْرَبُ إِلَى الْحَرَامِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ».

وَمِمَّا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْاسْتِقَامَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ الْأَنْجِرَافِ.

وَالْأَنْجِرَافُ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِذَا أَنْ يَكُونُ إِلَى إِفْرَاطٍ أَوْ إِلَى تَفْرِيطٍ.

فَالْإِفْرَاطُ يَكُونُ بِتَعَدِّي حُدُودِ اللَّهِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا

تَعْتَدُوهَا﴾ (البقرة: 229).

وَالْتَفْرِيطُ يَكُونُ بِالْقُرْبِ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ الَّتِي نَهَانَا اللَّهُ عَنْهَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ (البقرة: 187).

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (52)، وَمُسْلِمٌ (1599) وَاللَّفْظُ لَهُ.

— البصيح من الأشرفي بخط ابن أبي عمير —

فَلَا بُدَّ لِسَالِكِ الْإِسْتِقَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَقْضِيَ الطَّرِيقَ الْوَسْطَ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ.
 فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «تَحْقِيقِ الطَّحَاوِيَّةِ»⁽¹⁾ مِنْ
 حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ:
 «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ. ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ
 (مُتَفَرِّقَةٌ) عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا
 فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: 153).
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (435/1)، وصححه الألباني في «شرح الطحاوية» (ص 587).



الخطبة الثانية - أسباب الاستقامة :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الاستقامة» وَالْآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنِ «أسباب الاستقامة».

فَمِنْ أَسْبَابِ الاستقامة - أَيُّهَا النَّاسُ - اليقينُ بِوَعْدِ اللَّهِ لِأَنَّ الانحرافَ عَنِ
الاستقامةِ إِنَّمَا يَنْشَأُ عَنِ ضَعْفِ اليقينِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ (البقرة : 60).

وَمِنْ أَسْبَابِ الاستقامة - أَيُّهَا النَّاسُ - العِلْمُ.

فَمَتَى عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِتِلْكَ الطَّاعَةِ وَرَغَّبَهُ فِيهَا وَرَتَّبَ عَلَيْهَا الْجَزَاءَ
الْحَسَنَ وَعَلِمَ عَاقِبَةَ الْمُعْصِيَةِ وَعَاقِبَةَ تَرْكِهَا كَانَ ذَلِكَ بَاعِثًا لَهُ عَلَى الْإِزْدِيَادِ مِنَ الْخَيْرِ
وَالثَّبَاتِ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ الاستقامة - أَيُّهَا النَّاسُ - الرُّفْقَةُ الصَّالِحَةُ.

فَالرَّفِيقُ قَبْلَ الطَّرِيقِ فَمَنْ أَرَادَ سُلوكَ طَرِيقِ الاستقامةِ فَلابُدَّ لَهُ مِنْ رُفْقَاءِ
صَالِحِينَ يَذْكُرُونَهُ إِذَا اعْوَجَّ عَنِ طَرِيقِ الاستقامةِ أَوْ حَادَ عَنْهَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، ﴾ (التكوير : 28).

قَالَ الشَّنَقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَمَرَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - نَبِيَّهُ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ

أَنْ يَصْبِرَ نَفْسَهُ، أَيَّ يَحْسِبَهَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ، لَا يُرِيدُونَ بِدَعَائِهِمْ إِلَّا رِضَاهُ - جَلَّ وَعَلَا»⁽¹⁾.

— الصحيح من الأشراف في حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ —

115

وَمِنْ أَسْبَابِ الْإِسْتِقَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ.

فَنَسْأَلُ اللَّهَ الثَّبَاتَ وَالْهُدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَلِزُومِ طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ، لِأَنَّهُ بَدُونَ هِدَايَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ لَنَا لَنْ نَصِلَ إِلَى شَيْءٍ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالغِنَى».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادَ، سَدَادَ السَّهْمِ».

وَفِي سُنَنِ آلِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجِبُكَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ: بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ، قَالَ: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3517)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (7987).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2721).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2725).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (1522)، وَالنَّسَائِيُّ (1303) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ

الْجَامِعِ» (81969).



فَتَأْمَلُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى عَظَمَةِ هَذَا الدُّعَاءِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَلَا حَوْلَ
لَنَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا قُوَّةَ لَنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.
اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا.

– البصيح من الأشرف بخط ابن كثير – 117

12 : فَضْلُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

– ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

– ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَلَسَّوْنَ بِهٖ ۖ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسأة: 1).

– ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الجناب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،

وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عَنِ «الْحَوْقَلَةَ» وَهِيَ قَوْلٌ: «لَا حَوْلَ وَلَا

قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، فَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الْعَظِيمَةَ لَهَا مِنْ الْفَضَائِلِ وَالْفَوَائِدِ وَالشَّارِ مَا لَا يُحْصِيهِ

إِلَّا اللَّهُ، وَفِيهَا مِنَ الْمَعَانِي الْعَمِيقَةِ وَالِدَّلَالَاتِ الْمَفِيدَةِ مَا يُثَبِّتُ الْإِيمَانَ وَيُقَوِّي الْيَقِينَ

وَيَزِيدُ صِلَةَ الْعَبْدِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ⁽¹⁾.

وَمَعْنَاهَا - أيها الناس - كَمَا ذَكَرَ - ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «لَا حَوْلَ بِنَا عَلَى الْعَمَلِ

بِالطَّاعَةِ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا عَلَى تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا بِاللَّهِ».

(1) انظر «الحوقلة مفهومها ودلالاتها العقديّة» لعبد الرزاق البدر (ص 3).



وفضائلها - أيها الناس - لجمّة غزيرة.

فَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّهَا وَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمَّتِهِ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْبَرُوا مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ: «بِسَبْعٍ يَحُبُّ الْمَسَاكِينَ وَأَنْ أَوْجَدَ مِنْهُمْ وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنِّي وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي وَأَنْ أَصِلَ رَجِيمِي وَإِنْ جَفَانِي وَأَنْ أَكْثِرَ مِنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَأَنْ أَتَكَلَّمَ بِمَرٍّ الْحَقُّ وَأَنْ لَا تَأْخُذْنِي بِاللَّهِ لَوْمَةً لَأَيِّمٍ، وَأَنْ لَا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ حَازِمِ بْنِ حَزْمَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَرْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا حَازِمُ أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِخْبَارُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ لِنَبِينَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِفَضْلِهَا، وَأَنَّهَا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ قَالَ فِيهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽⁴⁾ صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ:

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (333/2)، وَالتِّرْمِذِيُّ (280/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (1214).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (159/5)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (199/1).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (323/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (7907).

(4) «صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (418/5)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (116/2) صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.

— البصيحُ من الأشرافِ بخطِ ابنِ كثيرٍ — 119 —

«مَنْ مَعَكَ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ! فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيَكْثُرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ وَأَرْضُهَا وَاسِعَةٌ. قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَنَّهَا مَكْتُوبَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ.

ففي مُسْتَدْرِكِ الْحَاكِمِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَعْلَمُكَ - أَوْ قَالَ - أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مِنْ كَثْرِ الْجَنَّةِ؟ تَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسَلَّمَ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهَا كَلِمَةٌ اسْتِسْلَامٌ وَتَقْوِيضٌ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - ، وَاعْتِرَافٌ بِالْإِذْعَانِ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا صَانِعَ غَيْرُهُ، وَلَا رَادًّا لِأَمْرِهِ وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ، وَمَعْنَى الْكَثْرِ هُنَا: أَنَّهُ ثَوَابٌ مُدْخَرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ ثَوَابٌ نَفِيسٌ، كَمَا أَنَّ الْكَثْرَ أَنْفَسُ أَمْوَالِكُمْ»⁽²⁾.

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ. ففِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ». قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽⁴⁾ عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَبَاهُ دَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخِدْمَتِهِ

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (21/1)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (2614).

(2) شَرْحُ «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِلنَّوَوِيِّ (26/17).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (244/5)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (1581).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (3581)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (1582).



فأتى عليَّ النبيُّ ﷺ وقد صليتُ ركعتينِ. قال: فَضْرَبَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ». قُلْتُ: بَلَى قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَتَهَا كَثْرٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فَإِنَّمَا مِنْ كَثْرِ الْجَنَّةِ».

وفي سنن ابن ماجه بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽²⁾ من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَثْرٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ». قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وأخرج الطبراني بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽³⁾ من حديث أبي أيوب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فَإِنَّمَا مِنْ كَثْرِ الْجَنَّةِ».

قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «كَثْرٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ بِحَيْثُ أَنَّهُ يُدْخَرُ لِصَاحِبِهَا مِنَ الثَّوَابِ مَا يَقَعُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مَوْجَعِ الْكَثْرِ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْكَانِزِ أَنْ يَعِدَّ كَثْرَهُ لِخَلَاصِهِ فِيهَا يَنْوِبُهُ وَالتَّمَتُّعُ بِهِ فِيهَا يُلَاثِمُهُ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَتَهَا تَكْفَرُ الذُّنُوبَ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنْدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع»⁽⁴⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا عَلَى الأَرْضِ

(1) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (6384)، وَمُسْلِمٌ (2704).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابنُ ماجَةَ (3825)، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب» (1585).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الطبراني في «الأوسط» (266/2)، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» (1205).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (158/2)، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» (5636).

— بَصِيحُ مِنَ الْأَشْرَفِ بِحُطْبِ الْمَنَابِرِ —

رَجُلٌ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَيْدِ الْبَحْرِ،
وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مَنْ رَزَقَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ.

ففي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْرَبِيِّ أَبِي مُسْلِمٍ أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ. قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي».

ثُمَّ قَالَ الْأَعْرَبِيُّ: سَيِّئًا لَمْ أَفْهَمُهُ قُلْتُ: لِأَبِي جَعْفَرٍ: مَاذَا قَالَ؟ قَالَ: «مَنْ رَزَقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُا حِرْزٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

ففي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2/253)، وَابْنُ مَاجَةَ (3794)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (713).

(2) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3426)، وَالنَّسَائِيُّ (26/6)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (1605).



مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ لِيَهْتَمَّ لَكَ: حَسْبُكَ
قَدْ هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِفْتَ لِيَكْتَسِحِيَ لَهُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ
قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِفَ؟

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ خَيْرَهَا لِعَظِيمٍ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قال: جاء
أعرابيٌّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: علِّمْنِي كَلِمَةً أَقُولُهَا. قال: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ
وَخُدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ». قال: فهؤلاء لربِّهم نعماء. قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْجُرْ لِي
وَأَرْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَأَرْزُقْنِي».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ بَعْدَ الْحَيْعَلَتَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال
رسولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَدَّنُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ فَقَالَ أَحَدُكُمْ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ
أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيٌّ عَلَى الصَّلَاةِ قَالَ:
لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: حَيٌّ عَلَى الْفَلَاحِ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ
قَالَ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ قَالَ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ
مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَنَّهَا سَبَبٌ فِي مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ.

(1) أخرجه مسلم (2696).

(2) أخرجه مسلم (385).

ففي سنن ابن ماجه بسند حسن الألباني في صحيح الجامع¹ من حديث معاذ بن أنس الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِي مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ غَيْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَنِيهِ، وَمَنْ لَيْسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِي مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ غَيْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَنِيهِ».

وأخرج النسائي بسند صحيح صححه الألباني في (الصحيحه)² من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ غَفَرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ أَوْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَنَّهُ مِنْ أَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ.

أخرج البخاري في (الأدب المفرد) بسند صحيح صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد³ من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، سُبْحَانَ اللهِ وَيَحْمَدُهُ». وَأَسْتَغْفِرُ الله.

(1) (حسن) أخرجه ابن ماجه (5255)، وحثه الألباني في صحيح جامع (6036).

(2) (صحيح) أخرجه النسائي في عمد نوره ونبيه (470)، وحثه الألباني في الصحيحه (3414).

(3) (صحيح) أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (633)، وحثه الألباني في صحيح الأدب

المفرد (ص 219).



الخطبة الثانية - البعد العقدي لهذه الكلمة العظيمة:

« لا حول ولا قوة إلا بالله » :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن فضل « لا حول ولا قوة إلا بالله » وأنها كلمة عظيمة جليلة ينبغي على المسلمين أن يُعْنُوا بها وأن يُكثِرُوا من قولها، وأن يَعْمُرُوا أوقاتهم بكثرة تردادها لعظيم فضلها عند الله والآن حديثي معكم عن البعد العقدي لهذه الكلمة العظيمة « لا حول ولا قوة إلا بالله ».

فمقتضى هذه الكلمة العظيمة - أيها الناس - أن العبد لا يملك من أمره شيئاً، وليس له حيلة في دفع شرٍّ، ولا قوة في جلب خيرٍ إلا بإرادة الله - سبحانه وتعالى - فلا تحوّل للعبد من معصية إلى طاعة، ولا من مرضٍ إلى صحة، ولا من وهنٍ إلى قوة، ولا من نقصانٍ إلى كمالٍ وزيادةٍ إلا بالله، ولا قوة له على القيام في شأنٍ من شؤونِهِ، أو تحقيق هدفٍ من أهدافِهِ أو غايةٍ من غاياته إلا بالله العظيم، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فأزمنة الأمور بيده سبحانه، وأمور الخلائق معقودة بقضائه وقدره يُصرّفها كيف يشاء ويقضي فيها بما يريد، ولا راداً لقضائه، ولا معقبَ لحكمه فما شاء كان كما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، ولا تقدّمٍ ولا تأخر، له الخلق والأمر وله الملك والحمد، وله الدنيا والآخرة وله النعمة والفضل وله الثناء الحسن شملت قدرته كل شيء .

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (يسر: 82).

وقال تبارك وتعالى : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ

بعده. ﴿ (نظر: 2).

— البصيح من الأشرفي جُزء ١٢٥ —

وبما أن هذا الشأن العظيم لا ينبغي لغيره - سُبْحَتَهُ - فإنه من الوجوب الإسلام لألوهيته والاستسلام لعظمته، وتفويض الأمور كلها إليه، والتبرؤ من الحول والقوة إلا به، ولهذا تعبد الله عباده بذكره بهذه الكلمة العظيمة التي هي باب عظمة من أبواب الجنة وكثر من كنوزها.

فهي كلمة عظيمة تعني الإخلاص لله وحده بالاستعانة، كما أن كلمة التوحيد (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تعني الإخلاص لله في العبادة، فلا تتحقق (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) إلا بإخلاص العبادة كلها لله، ولا تتحقق (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) إلا بإخلاص الاستعانة كلها لله وقد جمع الله بين هذين الأمرين في سورة الفاتحة أفضل سورة في القرآن وذلك في قوله: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .

فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة وتفويض إلى الله - عز وجل - والعبادة متعلقة بألوهية الله سبحانه، والاستعانة متعلقة برؤيته، العبادة غاية والاستعانة وسيلة، فلا سبيل إلى تحقيق تلك الغاية العظيمة إلا بهذه الوسيلة الاستعانة بالله الذي لا حول ولا قوة إلا به⁽¹⁾.

اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضَدْنَا وَنَصِرْنَا بِكَ نَحْوُلُ وَبِكَ نَصُولُ وَبِكَ نَسْتَعِينُ عَلَى أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ.

(1) انظر «الحقولة مفهومها ودلالاتها العقديّة» لعبد الرزاق البدر (11-12).



السعادة 13

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابرة: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسأة: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاجتراء: 70 - 71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - ﷺ - ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «السعادة».

السعادة - أيها الناس - وما أذراكم ما السعادة إنها الشعور المستمر بالغبطة والطمانينة والأريحية والبهجة، فهي ضد الشقاوة.

والسعادة - أيها الناس - ليست في المال ولا في الملك ولا في الاستمتاع بما أودع الله في الحياة، إنما السعادة جعلها الله من نصيب من اتبع هداة.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ

حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ (الجنك: 97).

قَالَ الشَّنْفِئِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذَكَرَ - جَلَّ وَعَلَا - فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ كُلَّ عَامِلٍ سِوَاءٍ أَكَانَ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَإِنَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يُقَسِّمُ لِنُحَيْبَتِهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَيَجْزِيَنَّهُ أَجْرَهُ بِأَحْسَنِ مَا كَانَ يَعْمَلُ.

وقال: وفي الآية الكريمة قرينة تدلُّ على أنَّ المراد بالحياة الطَّيِّبَةِ في الآية حيلته في الدُّنيا حياةً طَيِّبَةً وتلك القرينة هي أَنَّا لَوْ قَدَّرْنَا أَنَّ المراد بالحياة الطَّيِّبَةِ حَيَاتُهُ فِي الْجَنَّةِ فِي قَوْلِهِ ﴿ فَلْنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ صَارَ قَوْلُهُ: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، تَكَرَّرًا مَعَهُ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ هِيَ أَجْرُ عَمَلِهِمْ بِخِلَافِ مَا لَوْ قَدَّرْنَا أَنَّهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهُ يَصِيرُ الْمَعْنَى: فَلْنُحْيِيَنَّهُ فِي الدُّنْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ بِأَحْسَنِ مَا كَانَ يَعْمَلُ»⁽¹⁾.

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (طَلْحَتَا: 123).

قال في نواذر الأُصول: «تابع القرآن قد أُجِيزَ مِنْ شَقَاءِ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا، لِرَاحَةِ قَلْبِهِ مِنْ عُمُومِ الدُّنْيَا وَظُلُمَاتِهَا، وَسِيرِهِ فِي الْأُمُورِ بِقَلْبِهِ فِي رَاحَةٍ؛ لِأَنَّهُ مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ وَاسِعُهُ وَبَدَنُهُ فِي رَاحَةٍ؛ لِأَنَّهُ مُيَسَّرٌ عَلَيْهِ؛ لِظَهَانِ اللَّهِ وَاجْتِنَافِهِ لَهُ؛ وَكَذَا يُجَارُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ شَقَاءِ الْعَيْشِ فِي سُجُونِ النَّيْرَانِ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ كَمَا قَضَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنَّ السَّعَادَةَ مِنْ نَصِيبِ مَنْ اتَّبَعَ هُدَاهُ؛ فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - جَعَلَ الشَّقَاوَةَ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَتِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - سُنَّةُ اللَّهِ ﴿ وَلَنْ نَجْدِلِسُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ (طَلْحَتَا: 124).

(1) «أضواء البيان» (222/17).

(2) «البحر المديد» لابن عجيبة (3/336).



أني عَيْشًا ضَيْقًا؛ لِأَنَّ مَجَامِعَ هَمَّتِهِ، وَمَطَامِعَ نَظَرِهِ مَقْصُورَةٌ عَلَى أَعْرَاضِ الدُّنْيَا، وَهُوَ مُتَهَالِكٌ عَلَى ازْدِيَادِهَا خَائِفًا مِنْ انْتِقَاصِهَا، بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِ الطَّالِبِ لِلْآخِرَةِ، فَإِنَّ نُورَ الْإِيمَانِ يُوجِبُ لَهُ الْقَنَاعَةَ الَّتِي هِيَ رَأْسُ الْغِنَى وَسَبَبُ الرَّاحَةِ، فَيَحْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً⁽¹⁾.

فَتَبَيَّنَ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ السَّعَادَةَ الْحَقَّةَ إِنَّمَا هِيَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالقُرْبِ مِنْهُ، فَلَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ يُحِبُّ لِذَاتِهِ إِلَّا اللَّهَ وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَإِنَّهَا يُحِبُّ تَبَعًا لِمَحَبَّتِهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَاحْضِرْ أَنْ يَكُونَ هَمُّكَ وَاحِدًا وَأَنْ يَكُونَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَذَا غَايَةُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ، وَصَاحِبُ هَذَا الْحَالِ فِي جَنَّةٍ مُعَجَّلَةٍ قَبْلَ جَنَّةِ الْآخِرَةِ وَفِي نَعِيمٍ عَاجِلٍ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْوَاحِدِينَ إِنَّهُ لَيَمُرُّ عَلَى الْقَلْبِ أَوْقَاتٌ أَقُولُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِتْمَمَ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ. وَقَالَ آخَرُ: إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ يَرْقُصُ فِيهَا طَرَبًا، وَقَالَ آخَرُ: مَسَاكِينُ أَهْلِ الدُّنْيَا خَرَجُوا مِنْهَا وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا قَبْلَ لَهُ: وَمَا أَطْيَبَ مَا فِيهَا؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَحَبَّتُهُ وَالْأُنْسُ بِقُرْبِهِ وَالشُّوقُ إِلَى لِقَائِهِ»⁽²⁾.

وَلِلسَّعَادَةِ أَسْبَابٌ، فَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ

حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (الْمُحْتَلِكُ: 97).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَاتَّبِعُوا مِثْلَ مَا يُرْسِلُ فَلَا يَضِلُّ وَلَا

يَسْتَفْتِي﴾ (طَلْحَةَ: 123).

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

(1) «البحر المديد» لابن عجيبة (4/465).

(2) «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه» (ص 30).

الجمعي من الأشهر الحرامين

129

فَالْمُؤْمِنُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ سَعِيدٌ؛ لِعَلِّمِهِ بِشَأْنِ اللَّهِ لَا يَقْضِي قَضَاءَ إِلَّا وَفِيهِ تَمَامُ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ.

كما قال ابنُ ناصِرِ الدِّينِ الدَّمَشْقِيُّ:

يَجْرِي الْقَضَاءُ وَفِيهِ الْحَيْرُ نَائِلَةٌ ○○○ لِمُؤْمِنٍ وَاتَّقِ بِاللَّهِ لَا لِأَمِي
إِنْ جَاءَهُ فَرَحٌ أَوْ نَابَهُ تَرْحٌ ○○○ فِي الْحَالَتَيْنِ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ؛ فَالْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ هُمُ السَّعْدَاءُ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مُطْمَئِنَّةٌ رَاضِيَةٌ.

قال اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنْ قَارُونَ: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٨٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (القصص: 79-80).

فَتَأَمَّلُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْمُتَهَالِكِينَ عَلَى الدُّنْيَا: ﴿وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

فَلِلَّهِ تِلْكَ الْعِزَّةُ وَتِلْكَ الْقَنَاعَةُ وَتِلْكَ الطَّمَأِينَةُ الَّتِي تَحَلَّى بِهَا الْعُلَمَاءُ؛ فَمَنْ رَامَ السَّعَادَةَ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَأَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ لَهَا رَأْيِي عَيْنٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ الَّذِينَ يَخْشَوْنَهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِكْتِثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

قال اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ (التعالى: 28).

وقال اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾

(طه: 124).

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِصْرُ الْأَمَلِ وَعَدَمُ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا وَاتِّخَاذُهَا

مَعْبَرًا لَا مَقْرًا.



ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

فَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ غَرِيبًا فَإِنَّهُ لَنْ يُنَازِعَ أَهْلَهَا وَلَنْ يُقَاتِلَهُمْ عَلَى حُطَامِهَا قَدْ خَلَا قَلْبُهُ مِنْ هُمُومِهَا وَأَكْدَارِهَا فَهُوَ مِنْ أَسْعَدِ النَّاسِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - سَلَامَةُ الصَّدْرِ لِلْمُسْلِمِينَ وَمَتَى اضْطَرَّ لِلرَّدِّ عَلَى غَيْرِهِ كَانَ رَدُّهُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ مَوْلَى حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أَلَاذِرُ حَظِي عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (فُضِّلَتْ : 34-35).

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَنْظُرَ الْمَرْءُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَإِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣٦﴾﴾ (طَلْحَتَا : 136).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ⁽³⁾: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ».

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6416).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2963).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6125).

— البصيح من الأشرف بخط ابن كثير —

131

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حِفْظُ اللِّسَانِ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ .
فَمَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ سَعِدَتْ نَفْسُهُ وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ وَفَازَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ؛
ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بِالْأَيْتُونِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» .
وفي رواية: «يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» .
وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» .
وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِذْخَالُ الشُّرُورِ عَلَى قُلُوبِ النَّاسِ .

وهذه الأعمال مُتَعَةٌ وَلَذَّةٌ وَسَعَادَةٌ يَجِدُهَا الْعَبْدُ فِي الدُّنْيَا، فَضْلًا عَنِ الْأَجْرِ
الْعَظِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ : «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» . قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ
بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» . قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ
وَالْمَلْهُوفَ» .

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْيَقِينُ بِأَنَّ سَعَادَةَ الْمُؤْمِنِ الْحَقِيقِيَّةَ فِي الْآخِرَةِ
لَا فِي الدُّنْيَا؛ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (مُؤَلَّف: ١٠٨) .

وَمَعْنَى غَيْرِ مَجْدُودٍ: أَيُّ غَيْرِ مَقْطُوعٍ وَلَا تَمْنُوعٍ .

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6478) .

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6018)، وَمُسْلِمٌ (47) .

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1445)، وَمُسْلِمٌ (1008) .



وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر».

ومما جاء في شرح هذا الحديث ما ذكره ابن عثيمين رحمه الله قال: «ذكرُوا عن ابن حجر العسقلاني شارح البخاري بالشرح الذي سماه «فتح الباري» وكان قاضي القضاة بمصر، أنه ما رُدت ذات يوم وهو على عربته تجرُّه البغال والناس حوله، مرَّ برجل يهوديٍّ سمانٍ يعني يبيع السمن والزيت، ومن المعلوم أن الذي يبيع السمن والزيت ثيابه وسخة وحاله سيئة فأوقف العربته وقال لابن حجر: إن نبيكم يقول: «الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر» فكيف أنا أكون بهذه الحال وأنت بهذه الحال؟

فقال له ابن حجر على البدئية: أنا بالنسبة لما أعدَّ الله للمؤمنين من الثواب والنعيم؛ لأن الدنيا بالنسبة للآخرة ليست بشيء كما قال النبي ﷺ: «إن موضع سوط في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها» (أخرجه الترمذي وذكره الألباني في «صحيح الترغيب»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال حسن صحيح).

وأما أنت أيها اليهوديُّ: فأنت في جنة بالنسبة لما أعدَّ لك من العذاب إن متَّ على الكفر فافتتح ذلك اليهوديُّ وصار ذلك سبباً في إسلامه وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله»⁽³⁾.

وأستغفرُ الله.

(1) رواه مسلم (2956).

(2) «حسن صحيح» أخرجه الترمذي (3017)، وذكره الألباني في «صحيح الترغيب» (3767) وقال: حسن صحيح.

(3) تفسير ابن عثيمين (2/30) تفسير سورة الليل.

الخطبة الثانية - موانع السعادة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «السَّعَادَةِ وَأَسْبَابِ الْخُصُولِ
عَلَيْهَا» وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «مَوَانِعِ السَّعَادَةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ هُنَاكَ مَوَانِعٌ كَثِيرَةٌ لِلسَّعَادَةِ تَحْوُلُ دُونَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا⁽¹⁾.

فَمِنْ تِلْكَ الْمَوَانِعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْكُفْرُ بِاللَّهِ. قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ يُرِدْ
أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام : 125).

فَالْمَعْنَى - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْكَافِرَ مِثْلَهُ فِي الضِّيْقِ وَالضَّنْكِ مِثْلَ مَنْ يَصْعَدُ إِلَى
الطَّبَقَاتِ الْعُلْيَا مِنَ السَّمَاءِ إِذْ يَشْعُرُ بِضِيْقٍ فِي التَّنَفُّسِ وَكُلَّمَا تَزَايَدَ صُعُودُهُ تَزَايَدَ
شُعُورُهُ بِضِيْقٍ فِي التَّنَفُّسِ، وَمَعْلُومٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الطَّبَقَاتِ الْعُلْيَا مِنَ السَّمَاءِ لَا
أَكْسُجِينَ فِيهَا فَهَكَذَا حَالُ الْكَافِرِ فِي ضِيْقٍ وَكَرْبٍ وَهَمٍّ وَعَمٍّ.

وَمِنْ مَوَانِعِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْخَوْفُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ يُورِثُ الشَّقَاءَ
وَالذَّلَّةَ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ - .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّمَا ذِكْرُ الشَّيْطَانِ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾ (التغابن : 175).

وَأَضَلَّ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عِبَادَةً عَظِيمَةً لَا تَسْتَقِيمُ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِهَا وَلَا
يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْخَوْفِ.

(1) انظر «السعادة بين الوهم والحقيقة» (ص 12) وقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة جزى الله
مؤلفه خيراً.



والخوف - أيها الناس - ينقسمُ إلى ثلاثة أقسام: -
القِسْمُ الأوَّلُ: الخوفُ من الله - عزَّ وجلَّ - وهو أوجبها وأعظمها، وهذا صرْفُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكَ فَمَنْ خَافَ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَالْأَشْجَارِ وَغَيْرِهَا وَيَعْتَقِدُ فِيهَا أَنَّهَا تَضُرُّ أَوْ تَنْفَعُ فَهَذَا مِنَ الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ.
- والقِسْمُ الثَّانِي: خَوْفٌ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى فِعْلِ مَعْصِيَةٍ أَوْ تَرْكِ وَاجِبٍ مِنْ خَوْفِ الْمَخْلُوقِينَ فَهَذَا مُحَرَّمٌ.

- والقِسْمُ الثَّالِثُ: الخوفُ الطَّبِيعِيُّ كَخَوْفِهِ مِنَ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ وَاللُّصُوصِ فَهَذَا الخوفُ جَائِزٌ لَا مَحْذُورَ فِيهِ ⁽¹⁾.

ومن موانع السَّعَادَةِ - أيها النَّاسُ - الغَضَبُ.
فَمَنْ تَحَكَّمَ فِيهِ غَضَبُهُ لَنْ يَجِدَ طَعْمَ السَّعَادَةِ وَمَنْ تَحَكَّمَ فِي غَضَبِهِ سَاعَدَهُ عَلَى مُوَاجَهَةِ الصَّعَابِ وَالتَّغَلُّبِ عَلَى الْعَقَابِ.
وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَلَى الَّذِينَ يَتَحَكَّمُونَ بِأَنْفُسِهِمْ عِنْدَ الْغَضَبِ.
فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: 134).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فِي وَصْفِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ وَإِذَا مَا عَضُوا مُمْ يُغْفِرُونَ ﴾ (الشورى: 37).

كَمَا بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ قُوَّةَ النَّفْسِ لَيْسَتْ بِالْبَطْشِ وَإِنَّمَا بِالتَّحَكُّمِ بِهَا وَالْأَخْذِ بِزَمَامِهَا فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» ⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

(1) انظر «التعليقات البازية على كتاب التوحيد» (52/1).

(2) رواه البخاري (5763)، ومسلم (2609).

— البصريحُ من الأشرفِ في حُطِّبِ النَّبِيِّ — 135 —

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ».

قال ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ أَعْظَمَ مَا يَنْشَأُ عَنِ الْغَضَبِ الْكِبْرُ؛ لِكَوْنِهِ يَقَعُ عِنْدَ مُخَالَفَةِ أَمْرِ يُرِيدُهُ فَيَحْمِلُهُ الْكِبْرُ عَلَى الْغَضَبِ، فَالَّذِي يَتَوَاضَعُ حَتَّى تَذْهَبَ عَنْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ يَسْلَمُ مِنْ شَرِّ الْغَضَبِ»⁽²⁾.

ومن موانع السَّعادةِ - أَيْهَا النَّاسُ - الظُّلْمُ. فَإِنَّ الظُّلْمَ مَرْتَعُهُ وَخِيَمٌ وَعَاقِبَتُهُ سَيِّئَةٌ. ففي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاحَسُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَجْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ».

قال ابن رجبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِذَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً أَمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِمَا يُوجِبُ تَأَلُّفَ الْقُلُوبِ وَاجْتِمَاعَهَا، وَنَهَوْا عَمَّا يُوجِبُ تَنَافُرَ الْقُلُوبِ وَاجْتِمَاعَهَا»⁽⁵⁾.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5765).

(2) «فَتْحُ الْبَارِيِّ» (520/10).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2447) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2578) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(4) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2564).

(5) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ» (336/1).



اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِنَا وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا،
وَأَصْلِحْ آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَالْمَوْتَ رَاحَةً
لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ نَرْجُو فَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

14 فضائل اليمن في الكتاب والسنة (1)

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَجَدَكُمْ مِنْ زَوْجِهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسأة: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأنفال: 70 - 71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - ﷺ - ،
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد - فحديثي معكم - أيها الناس - عن فضائل اليمن وأهلها.

أيها الناس إن لأهل اليمن منة على كثير من أهل بلاد الله فمنهم المجاهدون
والفاتحون ومنهم القادة المصلحون، ومنهم العلماء الربانيون، ومنهم الدعاة العاملون.

فمن حفظ الجميل - أيها الناس - أن نذكر ما جاء في فضل هذا البلد الطيب
الطيب أهلها في الكتاب وصحيح السنة.

فمن فضائل اليمن - أيها الناس - :

(1) انظر كتابنا «بلدة طيبة» ففيه تفصيل ما أجمل منا وهذه الخطبة منه.



قَوْلُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ (سَبَأٌ: 15).

فَسَبَأٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - قَبِيلَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْيَمَنِ سَمَّتِ الْيَمَنَ بِاسْمِهَا وَهِيَ «بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ» وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ مِيزَاتِ كَلَامِ اللَّهِ الْخُلُودَ فَيُؤَخَذُ مِنْهُ أَنَّ طَيِّبَةٌ هَذَا الْبَلَدِ أَمْرٌ مُسْتَمِرٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَأَهْلُ هَذَا الْبَلَدِ الطَّيِّبِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَنَاقِبٌ.

فَمِنْ مَنَاقِبِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ وَصَفَهُمْ بِأوصافٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَرَدٍ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ (الْمَائِدَةُ: 54).

وَهَذِهِ الْآيَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْيَمَنِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ جَرِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عِيَاضِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَرَدٍ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. أَوْ مَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي مُوسَى بِشَيْءٍ كَانَ مَعَهُ، فَقَالَ: «هُمُ قَوْمٌ هَذَا».

وَمِنْ مَنَاقِبِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ وَصَفَهُمْ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ (التَّحْرُكُ: 1-2).

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (313/2)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» (125/12)، وَابْنُ جَرِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (12193)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (371/17)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (3368).

139 - المصنوع من الأسماء بحرف الهمزة

وهذه الآية - أيها الناس - نزلت في أهل اليمن.

فقد أخرج عبد الرزاق الصنعاني في «تفسيره» وتلميذه الإمام أحمد في «مسنده» من طريق عبد الرزاق بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ؛ هُمْ أَرْقُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٌ، وَالْفِقْهُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ».

وأخرج الطبراني في «الكبير» والنسائي في «الكبرى» والبخاري في «التاريخ» بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَتَزَلَّتْ: ﴿إِذَا جَاءَ﴾ فَقَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ».

وأخرج ابن حبان في «موارده» بسند صحيح لغيره قاله الألباني في «التعليقات الحسان»⁽³⁾ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ إِذْ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، قَوْمٌ نَقِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ، لَيْتَهُ طَبَاعُهُمُ الْإِيمَانُ يَمَانٌ وَالْفِقْهُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ».

أيها الناس سنة النبي ﷺ حافلة بالشأن الحسن على أهل اليمن وذكري فضائلهم. فمن فضائل اليمن - أيها الناس - ما جاء في «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، أَرْقُ أَفئِدَةً وَالْيَمَنُ

(1) «صحيح» أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (2/404)، وأحمد في «مسنده» (7709) من طريق عبد الرزاق - أيضا -، وصححه الألباني في «الصحيح» (3369)

(2) «حسن» أخرجه الطبراني في «الكبير» (11903)، والنسائي في «الكبرى» (5/172)، والبخاري في «التاريخ» (3/195)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (3369).

(3) «صحيح لغيره» أخرجه ابن حبان في «موارده» (2299) وقال الألباني في «صحيح موارد الظمان» (1957) صحيح لغيره.

(4) زوَاهُ الْبُخَارِيُّ (4390)، ومسلم (52).

قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٌ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، وَالْفَخْرُ وَالْحَيْلَاءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ».

وَفِي لَفْظِ آخَرَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ - أَيْضًا - مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، أَضَعَفُ قُلُوبًا، وَأَرْقُ أَفئِدَةً الْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ».

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْ حَوْضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ غَيْرِهِمْ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ثُوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَبِعُفْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ (أَيُّ اطْرُدُ النَّاسَ عَنْهُ غَيْرَ أَهْلِ الْيَمَنِ) حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ (أَيُّ: حَتَّى يَسْبِلَ عَلَيْهِمْ)» فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بِيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغْتُ فِيهِ مِيزَابَانُ يَمُدُّانِيهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا كَرَامَةٌ لِأَهْلِ الْيَمَنِ فِي تَقْدِيمِهِمْ فِي الشَّرْبِ مِنْهُ؛ مُجَازَاةً لَهُمْ بِحُسْنِ صَنِيعِهِمْ، وَتَقْدِيمُهُمْ فِي الإِسْلَامِ، وَالْأَنْصَارُ مِنَ الْيَمَنِ، فَيَدْفَعُ غَيْرُهُمْ حَتَّى يَشْرَبُوا كَمَا دَفَعُوا فِي الدُّنْيَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْدَاءَهُ وَالْمَكْرُوهَاتِ»⁽³⁾.

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - سُرْعَةُ انْقِيَادِهِمْ لِلْحَقِّ وَقَبُولُهُمْ لَهُ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ». قَالُوا: بَشَّرْتَنَا

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (4390)، وَمُسْلِمٌ (52).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (3301).

(3) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (62/15، 63).

(4) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7418).

— الصحيحُ من الأَشْرَفِ فِي حُجَّتِ الْبُرْجَانِ ————— ﴿ 141 ﴾ —

فَأَعِطْنَا، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ». قَالُوا: قَبَلْنَا.

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُمْ أَهْلُ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ.
فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ
بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَهْلُ الْيَمَنِ أَرْقُ قُلُوبًا، وَأَلْيَنُ أَفْئِدَةً،
وَأَنْجَعُ طَاعَةً».

وَمِنْ فَضَائِلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا مُبَارَكَةٌ بِدَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ.
فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا». قَالُوا: وَنَجِدْنَا، قَالَ: «اللَّهُمَّ
بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجِدِنَا، فَأَظَنَّهُ قَالَ
فِي الثَّلَاثَةِ: «هَنَّاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يُطْلَعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ رِجَالَ الْيَمَنِ مِنْ خَيْرِ الرِّجَالِ.
فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ
عَمْرُو بْنِ عَبْسَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْرِضُ يَوْمًا خَيْلًا
وَعِنْدَهُ عَيْيَنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ بَدْرِ الْغَزَارِيُّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَفْرَسُ بِالْحَيْلِ
مِنْكَ». فَقَالَ عَيْيَنَةُ: وَأَنَا أَفْرَسُ بِالرِّجَالِ مِنْكَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَكَيْفَ ذَلِكَ؟».
قَالَ: خَيْرُ الرِّجَالِ رِجَالٌ يَحْمِلُونَ سُيُوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، جَاعِلِينَ رِمَاحَهُمْ عَلَى

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (154/4) وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1775): حَسَنٌ.

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1037).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (1945، 1946)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2606)، (3127).



مناسج خيولهم، لا يسوا البرود من أهل نجد. فقال رسول الله ﷺ: «كذبت، بل خير الرجال رجال أهل اليمن».

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُمْ خِيَارُ مَنْ فِي الْأَرْضِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ وَحَسَّنَهُ الْوَادِعِيُّ فِي «الْجَامِعِ الصَّحِيحِ» مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِطَرِيقِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «يُوشِكُ أَنْ يَطَّلُعَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ؛ كَأَنَّهمُ السَّحَابُ، هُمْ خِيَارُ مَنْ فِي الْأَرْضِ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: وَلَا نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ. قَالَ: وَلَا نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ. قَالَ: وَلَا نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ فِي الثَّلَاثَةِ كَلِمَةً ضَعِيفَةً: «إِلَّا أَنْتُمْ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (16724)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (3437)، وحسنه شيخنا الوداعي في «الجامع الصحيح» (84/4).

— الصحيح من الأشرف في خطبة الألباني —

143

الخطبة الثانية - فضائل بعض القبائل اليمانية :

الحمدُ لله ربَّ العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «فَضَائِلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «فَضَائِلِ بَعْضِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ إِنَّهَا هُوَ مِنْ بَابِ حِفْظِ الْجَمِيلِ؛ فَلَهَا الْقَدْحُ الْمَعْلَى فِي الْجِهَادِ كَمَا لَهَا الدَّوْرُ الْعَظِيمُ فِي الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ. فَمَنْ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ هَمْدَانَ.

ففي سنن البيهقي بسند صحيح صححه الألباني في «الصَّحِيحَةَ»⁽¹⁾ من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقِفَلَ خَالِدًا وَمَنْ كَانَ مَعَهُ إِلَّا رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ مَعَ خَالِدٍ أَحَبَّ أَنْ يَبْقَى مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَلْيَعْقُبْ مَعَهُ.

قال البراء: فَكُنْتُ مِمَّنْ عَقِبَ مَعَهُ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْقَوْمِ خَرَجُوا إِلَيْنَا فَصَلَّى بِنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَصَفَّنَا صَفًّا وَاحِدًا ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمَتِ هَمْدَانُ جَمِيعًا، فَكَتَبَ عَلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِإِسْلَامِهِمْ فَلَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِتَابَ خَرَّ سَاجِدًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ».

(1) «صحيح» أخرجه البيهقي (369/2) بإسناد صحيح على شرط البخاري، وأخرج البخاري صدر هذا الحديث في «صحيحه» (4349)، وصححه المنذري في «مختصر السنة» (86/4)، وابن أثير في «فتح القدير» (425/1)، وصححه الألباني في «الإرواء» (474).



وَمَهْدَانُ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ أُمَّهَاتِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ بَلْ إِنَّمَا لَتَشْكُلُ أَكْثَرَ مِنْ ثُلُثِ
سَكَّانِ الْيَمَنِ الْيَوْمَ وَيَتَفَرَّغُ مِنْهَا حَاشِدٌ وَبَكِيْلٌ.

وَمِنْ فِضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ حِمَيْرَ.

فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ذِي
تَخْبَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي حِمَيْرٍ فَتَرَعَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ،
وَجَعَلَهُ فِي قُرَيْشٍ وَسِعُودَ إِلَيْهِمْ».

وَحِمَيْرٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ أُمَّهَاتِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيْضًا - .

وَمِنْ فِضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْأَشْعَرِيِّينَ.

فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا
كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ بِالسُّوِيَّةِ، فَهَمَّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ».

وَمِنْ فِضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّخَعُ.

فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَّنَهُ الْأَرْنَازُوطُ فِي «تَعْلِيْقِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ»⁽³⁾ مِنْ
حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو لِهَذَا الْحَيِّ
مِنَ النَّخَعِ، أَوْ قَالَ: يُثَنِّبُنِي عَلَيْهِمْ، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي رَجُلٌ مِنْهُمْ.

وَمِنْ فِضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ مَذْحَجٍ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (91/4)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2022).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2486)، وَمُسْلِمٌ (2500).

(3) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (3826) وَقَالَ الْأَرْنَازُوطُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ (376/6) حَسَنٌ.

— الصحيح من الأشراف بخط ابن كثير —

145

ما جاء في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شَرُّ قَبِيلَتَيْنِ فِي الْعَرَبِ: نَجْرَانُ، وَبَنُو تَغْلِبٍ، وَأَكْثَرُ الْقَبَائِلِ فِي الْجَنَّةِ مَذْحِجٌ».

وَمَذْحِجٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ أُمَّهَاتِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ وَتَشْكَلُ قَرِيبًا مِنْ رُبْعِ سُكَّانِ الْيَمَنِ.

وَمِنْ فِصَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْأَزْدِ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعْمَ الْقَوْمُ الْأَزْدُ، طَيِّبَةٌ أَفْوَاهُهُمْ، بَرَّةٌ أَيْمَانُهُمْ، نَقِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ».

وَقَبِيلَةُ الْأَزْدِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ أُمَّهَاتِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ وَتَفَرَّعَ عَنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ الْأَوْسُ وَالْحَزْرَجُ وَهُمْ الْأَنْصَارُ.

وَلَا يُوجَدُ قَبِيلَةٌ نَالَتْ مِنَ الشَّرَفِ الْعَظِيمِ، وَالثَّنَاءِ الْبَالِغِ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَمِنَ الرَّسُولِ ﷺ كَقَبِيلَةِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ مِنْ أَزْدِ شَنْوَاءَ، وَتَسْمِيَّتُهُمْ فِي الْأَصْلِ: الْأَوْسُ وَالْحَزْرَجُ، فَسَمَّاهُمُ اللَّهُ الْأَنْصَارَ؛ لِضَرَّتِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿وَالسَّيْفُوكَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التَّوْبَةُ: 100).

وَقَدْ أَمْتَدَحَهُمُ اللَّهُ وَأَثَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الْمُنْفِقِينَ: 9).

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (1945) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2606)، (3127).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (351/2) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1039).



وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّ الْأَنْصَارَ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ».

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
لِلَّذِينَ آمَنُوا

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا

اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ وَغَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ سُوءًا فَأَشْغَلْهُ بِنَفْسِهِ وَرَدَّ
كَيْدَهُ فِي تَخْرِيهِ إِنَّكَ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3783)، وَمُسْلِمٌ (75).

- موضوع من اشهد بحمد النبي - (147)

15: الثبات على دين الله

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَارِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التوبة: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْكُمْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي فَتَنَ لُونَكُمْ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسالة: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الثبات على دين الله».

أَيُّهَا النَّاسُ الثبات هو الاستقامة على الجادة ولزوم الصراط المستقيم من غير

عوج ولا انحراف.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الثبات على دين الله هو رأس المال الذي لا يَحْتَمِلُ الخسارة وهو

وصية الأولين والآخرين من النبيين والصالحين.

قال يعقوب لبيبي: ﴿يَبْقَى إِنْ اللَّهُ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٣٣﴾

(التوبة: 132).



وَمَا كَانَ الْمُسْلِمُ عُرْضَةً لِلِابْتِلَاءِ وَالْمِحْنِ حَتَّى فِي إِيمَانِهِ.

كما في مُسْتَدْرِكِ الْحَاكِمِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبُ، فَسَلُوا اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ».

كَانَ لَزَامًا عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَ لَكُمْ مَوَانِعَ الثَّبَاتِ عَلَى دِينِ اللَّهِ ثُمَّ بَعْدَهُ نَذَكُرُ أَسْبَابَ الثَّبَاتِ. فَمِنْ مَوَانِعِ الثَّبَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - طَوْلُ الْأَمَلِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

(الْمُحْتَضَبُ: 16).

فَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - تَحْذِيرٌ مِنَ اللَّهِ لَنَا مِنْ طَوْلِ الْأَمَلِ حَيْثُ يَتَوْلَدُ عَنْهُ الْكَسَلُ عَنِ الطَّاعَةِ، وَالتَّسْوِيفُ بِالتَّوْبَةِ، وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالنَّسْيَانُ لِلْآخِرَةِ وَالْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ ذَرَهُمْ يَا كُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾

(الْمُخْتَصَرُ: 3).

وَالْمَعْنَى - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ دَعْوَاهُمْ يَعْيشُوا كَالْأَنْعَامِ وَلَا يَهْتَمُّوا بِغَيْرِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالشَّهَوَاتِ وَالتَّبَاهِي فِي زِينَةِ الدُّنْيَا مِنَ السَّكَنِ وَالمَرْكُوبِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

وَمَعْنَى ﴿ وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ ﴾ : أَيُّ يَشْغَلُهُمْ طَوْلُ الْأَمَلِ وَالعُمُرِ عَنِ اسْتِقَامَةِ الْحَالِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَالأَخْذِ بِطَاعَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - .

وَمِنْ مَوَانِعِ الثَّبَاتِ التَّوَسُّعُ فِي الْمُبَاحَاتِ تَوْسَعًا يُخْرِجُهُ عَنِ حُدِّ الْعُتْدَالِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾ (ظَنَنَّا: ٨١).

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (4/1)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (1590).

فأمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَنَهَى عَنِ الطُّغْيَانِ لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْبَطَالَةِ
وَالْكَسَلِ وَكُلُّ شَيْءٍ تَجَاوَزَ حَدَّهُ انْقَلَبَ إِلَى ضِدِّهِ حَتَّى فِي الْمُبَاحَاتِ .
وَمِنْ مَوَانِعِ الثَّبَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِبْتِعَادُ عَنِ الْأَجْوَاءِ الْإِيمَانِيَّةِ .
فَمَنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ كَمَا أَنَّ النَّفْسَ إِذَا لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْحَقِّ وَالطَّاعَةِ
شَغَلْتِكَ بِالْمَعْصِيَةِ .

فَالْإِيمَانُ يَضْعُفُ وَيَضْمَجِلُ إِذَا تَعَرَّضَ الْعَبْدُ لِأَجْوَاءِ الْإِبَاحِيَّةِ وَالْفُجُورِ وَالتَّبَرُّجِ
وَالسُّفُورِ أَوْ خَالَطَ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي أَسْوَاقِهِمْ وَأَطَالَ فِيهَا الْبَقَاءَ وَأَجَالَ فِيهَا النَّظَرَ
وَهَجَرَ الْجَمَاعَةَ فِي الْمَسَاجِدِ وَاکْتَفَى بِالصَّلَاةِ فِي الْبُيُوتِ .

لِذَلِكَ جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
قَالَ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا» .

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنِ صَحِيحِ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾
مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
اللَّهُ الْمَسَاجِدُ وَأَبْغَضُ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ الْأَسْوَاقُ» .

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ مَوَانِعِ الثَّبَاتِ، وَسَاعِرَجُ بِكُمْ الْآنَ عَلَى وَسَائِلِ الثَّبَاتِ
عَلَى دِينِ اللَّهِ .

فَمِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ عَلَى دِينِ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتِشْعَارُ عَظَمَةِ اللَّهِ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ ﴿٨﴾ (الْأَنْعَامُ : 59) .

(1) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (671) .

(2) «حَسَنُ صَحِيحٍ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (18/4)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (78/1) حَسَنٌ صَحِيحٌ .



وقال الله - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرُوهُ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَالسَّمٰوٰتُ مَطْوِيٰتٌ يَمِيْنِهِ، سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ ﴾ (الْبُرُجُ : 67).

وَمِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْاِلْتِمَامُ بِالذِّمَنِ.

قال الله - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَلَوْ اَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُوْنَ بِهِ، لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاَشَدَّ تَنْبِيْهُنَا ﴾ (الْبُرُجُ : 66-68).

وَمِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْمُسَارَعَاتُ فِي الْحَيْرَاتِ.

قال الله - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَسَارِعُوْا اِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالْاَرْضُ ﴾ (الْمَغْفِرَاتُ : 133).

وقال الله - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ سَابِقُوْا اِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ ﴾ (الْمَجٰلِدُ : 21).

والمسارعات إلى الطاعة - أَيُّهَا النَّاسُ - بحاجة إلى الاستمرار عليها.

ففي «صحیح مسلم»⁽¹⁾ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ».

وَمِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ.

قال الله - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَّجِدَةً كَذٰلِكَ لِيُنزِلَ بِهِ، فُوَادِكُمْ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيْلًا ﴾ (الْبُرُجَاتُ : 32).

وقال الله - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوْحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُنزِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِيْنَ ﴾ (الْفَتْحُ : 102).

— البصريح من الأشرف في حجة الإسلام — (151)

ومن أسباب الثبات - أيها الناس - الشعور بالافتقار إلى تثبيت الله؛ لأنه من فقد الله ماذا وجد ومن وجد الله ماذا فقد؟

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ نَبْنِيَنَّكَ لَفَدَاكَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۝۳۱ ﴾ إذا أدقناك ضعف الحيوة وضعف السمات ثم لا نجد لك علينا نصيراً ﴿ (الأحزاب : 74-75).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِ مَعَكُمْ فَتُنزِلُوا إِلَيْهَا أَسْمَاءَ ۝۱۲ ﴾ (الأنشغال : 12).

ومن أسباب الثبات - أيها الناس - الإيمان بالله وصدق التوكل عليه والالتجاء إليه والشعور الدائم بمعنيته والاعتقاد الجازم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك والإيمان باسماء الله وصفاته وتحقيق العبودية لله وحده لا شريك له والبراءة من الشرك وأهليه، والنفاق وأهليه فذلك وغيره من الإيمان سبب عظيم من أسباب الثبات.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۝۲۷ ﴾ (الأنفال : 27).

ومن أسباب الثبات - أيها الناس - قصر الأمل؛ لأنه كلما قصر الأمل جد العمل؛ لأن العبد يقدر أنه يموت اليوم فيستعد استعداد مسافر توشك الرحلة أن تفوته.

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

وفي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

(1) رواه البخاري (6416).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (60/2)، و صححه الألباني في «الصحيح» (438).



ومن أسباب الثبات - أيها الناس - التعلق بالمسجد وأهله.
ففي التعلق بالمسجد وأهله ما يُعين على الثبات حيث المحافظة على صلاة
الجماعة والصُحبة الصالحة ودعاء الملائكة وحلق العلم.

قال الله - سبحانه وتعالى - في وصف الملازمين للمساجد المنشغلين بها عن الدنيا:
﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾
(النجم: 37-38).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بِيوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا
نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».
وَجَلَسَ الصَّالِحِينَ يَنْدَرُجُ مَعَهُمْ فِي جَمِيعٍ مَا يَنْفَضُّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ إِكْرَامًا لَهُمْ،
وَلَوْ لَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي أَصْلِ الذِّكْرِ

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فَضُلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا
مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ - قَالَ - : فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -
وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ، فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يَسْبَحُونَكَ
وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَهَلِّلُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونَنِي، قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ
جِسَّتَكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جِسَّتِي، قَالُوا: لَا أَيْ رَبِّ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جِسَّتِي، قَالُوا:

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (60/2)، وصححه الألباني في «الصحيح» (438).

(2) رواه البخاري (640) واللفظ له، ومسلم (2689).

— البصيح من الأشرف جِبْتِ الْبَصِيحِ —

وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قال: وما يَسْتَجِيرُونَني. قالوا: من نارك يا رب، قال: وهل رأوا ناري، قالوا: لا قالوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قال: فيقول: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبدٌ خطاءٌ إنما جَلَسَ مَعَهُمْ، قال: فيقول: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

وَيَبَيِّنُ ﷺ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَدْعُو لِمَنْ جَلَسَ بَعْدَ الصَّلَاةِ لِلذِّكْرِ.

كما في «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَاةِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحَدِّثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَاللَّهُمَّ ارْحَمْهُ».

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ أَنَّ مَنْ جَلَسَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَهُوَ فِي رِبَاطٍ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ».

وَالرِّبَاطُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ مَرَابِطَةُ العَدُوِّ وَمَلَازِمَتُهُمْ. وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) زَوَاهُ البُخَارِيُّ (445)، وَمُسْلِمٌ (362).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (251).



الخطبة الثانية - من اسباب الثبات :

اَحْمَدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلٰى اَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلٰى اٰلِهِ
وَصَحْبِهِ اَجْمَعِينَ.

أما بعد، أيها الناس لازنا وديناكم مع «اسباب الثبات».

فمن أسباب الثبات - أيها الناس - الرجوع إلى أهل العلم عند ورود الشبهات
وحلول الفتن.

قَالَ اللهُ - مَبْحَثُهُ وَقَعَلَى - : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
الرَّسُولِ وَالْيَأْتِ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَشِيطُونَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ
الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٣﴾ (النسفة : 33).

فَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - تَأْدِيبٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ وَأَنَّهُ يَنْبَغِي هُمْ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ
الْأُمُورِ الْمُهَيْمَةِ وَالْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَمْنِ وَسُرُورِ الْمُؤْمِنِينَ أَوِ الْخَوْفِ الَّذِي فِيهِ
مُصِيبَةٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَبْتُوا وَلَا يَسْتَعْجِلُوا فِي إِشَاعَةِ الْخَبَرِ بَلْ يَرُدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَالْيَأْتِ
أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالنُّصْحِ ۝

وذلك لأن أهل العلم يعرفون الفتن عند إقباها والناس يعرفون الفتن عند إذارها.

قَالَ اللهُ - مَبْحَثُهُ وَقَعَلَى - مُخْبِرًا عَنْ مَوْقِفِ عَامَّةِ النَّاسِ مِنْ قَارُونَ: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى
قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ
عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ (القصص : 79).

وقال في موقف أهل العلم من قارون: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ

خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَىٰهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ (القصص : 80).

— البصيح من الأشرفي بخط ابن التبريزي — 155 —

ثُمَّ تَغَيَّرَ مَوْقِفُ عَامَّةِ النَّاسِ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ أَهْلَكَ اللهُ قَارُونَ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافُكُ اللهُ

يَسْطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَافُكُنَا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾
(القصص: 82).

فَتَأَمَّلُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى مَوْقِفِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَثَبَاتِهِمْ أَمَامَ الْفِتَنِ إِنَّهُ مَوْقِفٌ ثَابِتٌ لَا يَتَزَعَّزَعُ بِخِلَافِ الْعَامَّةِ وَهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : « الْعِلْمُ يَرَى الْفِتْنَةَ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ وَالنَّاسُ لَا يَرَوْنَهَا إِلَّا وَهِيَ مُدْبِرَةٌ ».

وَمِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّطَلُّعُ إِلَى مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ فَمَا هَذِهِ حَيَاةٌ إِلَّا دَارُ ابْتِلَاءٍ وَبَحْنٍ وَمُنَافَسَةٍ عَلَى أَحْسَنِ الْعَمَلِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ

وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ (المالك: 1-2).

وَتَبَقَى الْآخِرَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هِيَ دَارُ الْقَرَارِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنْ مُؤْمِنٍ آلِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ : ﴿ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٧﴾ (العنكبوت: 39).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ

ﷺ قَالَ : «سَأَلَ مُوسَى ﷺ رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ: رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا

أَدْخَلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: أَدْخِلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ

النَّاسُ مَنَازِحَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ

مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ

(1) رواه مسلم (189) (312).



فيقول في الخَامِسَةِ: رَضِيْتُ رَبًّا. فيقول: هذا لك وعشرة أمثالها، ولك ما اشتَهتَ نَفْسُكَ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ. فيقول: رَضِيْتُ، قال: رَبُّ فَأَخْلَاهُمْ مَنزِلَةً؟ قال: أولئك الذين أَرَدْتُ غَرَسْتُ كرامَتهم بيدي، وختمتُ عليها لم تر عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر على قلبٍ بشرٍ.

ومُضدَّاقُهُ في كتابِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (التَّجْوِيدُ : 17).

وَمِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ.

فمِنْ صِفَاتِ عِبَادِ اللهِ أَنَّهُمْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى اللهِ بِالدُّعَاءِ أَنْ يُثَبِّتَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - حَاكِيًا عَنْهُمْ قَوْلَهُمْ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ

لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَلْوَمَاءُ ﴿٨﴾ (التَّغْوِينُ : ٨).

وَلَمَّا كَانَتْ قُلُوبُ بَنِي آدَمَ كُلِّهَا بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ أَدْمِي إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ شَاءَ أَرَاغَ»

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(١) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا.

اللَّهُمَّ يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2792) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (4801).

غزوة بدر

16

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْاِحْتِزَابِيَّ : 102).

- ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّوْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (التَّسْبِيحُ : 1).

- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْاِحْتِزَابِيَّ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،
وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عَنِ «غَزْوَةِ بَدْرِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ غَزْوَةَ بَدْرِ مَلْحَمَةٌ مِنْ مَلَاحِمِ الْإِسْلَامِ وَيَوْمٌ مِنْ أَيَّامِهِ الْجَلِيلَةِ الْعِظَامِ يَوْمٌ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ جُنْدَهُ وَنَصَرَ فِيهِ عَبْدَهُ وَأَذَلَّ فِيهِ مَنْ عَادَاهُ، وَرَفَعَ الْمَنَارَ لِمَنْ وَالَاهُ، يَوْمَ الْفِرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ.

يَوْمٌ خَاصَهُ رَسُولُ اللَّهِ مَعَ ثَلَاثِ مِائَةٍ وَأَرْبَعَةِ عَشَرَ رَجُلًا هُمْ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ كُتِبَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ وَهُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ وَنَادَى عَلَيْهِمْ مُنَادِي اللَّهِ: يَا أَهْلَ بَدْرِ اعْمَلُوا مَا سِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ⁽¹⁾.

(1) انظر «غزوة بدر» للشنقيطي (ص 1).



كما في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ (وَفِي لَفْظٍ: لَعَلَّ اللَّهُ) أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّوِيلِ فِي قِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ بَلْتَعَةَ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَعَلَّ اللَّهُ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ رَافِعَةَ بْنِ رَافِعِ الرَّزْقِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جَبْرِئِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ - وَكَلِمَةٌ نَحْوَهَا -». قَالَ: وَكَذَلِكَ مَا شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحَدِيثِيَّةَ».

وَكَانَتْ غَوَاةُ بَدْرٍ - أُيُّهَا النَّاسُ - فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ.

وَسَبَّبَهَا مَا ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «فِيهِ السِّيَرَةِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبْنِ سُفْيَانَ مُقْبِلًا مِنَ الشَّامِ نَدَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «هَذِهِ عَيْرٌ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَأَخْرَجُوا لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُنْفِلَكُمْ مَوَاهِمَهَا».

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2/295)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (6/521).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6279)، وَمُسْلِمٌ (2494).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3992).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (3/396)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (5227).

(5) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» (5/261)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «فِيهِ السِّيَرَةِ» (ص 218).

— المصحح من الأشرف بخط ابن كثير — 159 —

ولم يعزّم على أحدٍ بالخروج فسار رسول الله ﷺ بالجيش فيه ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً بفرسين وسبعين بعيراً يتعاقبونها وكان النبي ﷺ وعليّ ومزئذ بن أبي مزئذ يعتقبون بعيراً واحداً ودفع لواء القيادة لمصعب بن عمير وكان أبيضاً وقسم الجيش إلى كيبتين كيبية المهاجرين وأعطى علمها عليّ بن أبي طالب، وكتبية الأنصار وأعطى علمها سعد بن معاذ، وجعل على قيادة الميمنة الزبير بن العوام وعلى اليسرة المقداد بن عمرو، وعلى الساقة قيس بن أبي صغصعة، وهو القائد الأعلى للجيش وعلم أبو سفيان بجوايسيه مسير عسكر المؤمنين فأرسل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة، فصر بطن الوادي واقفاً على بعيره، وقد جدع أنفه وحوّل رخله، وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة، اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تذرّكوها الغوث الغوث. فتحفّز الناس سراعاً وتجمّع نحو ألف وثلاثمائة مقاتل في مائة فرس وستمائة درع وجمال كثيرة لا يعرف عددها بقيادة أبي جهل وقد أفلت أبو سفيان بالبعير فسار باتجاه الساحل، وأرسل رسالة إلى جيش قريش وهم في الجحفة: إنكم خرّجتم لتخرّزوا غيركم ورجالكم وأموالكم، وقد نجّاهم الله فأرجعوا، فهم الجيش بالرجوع، عندها قام أبو جهل وقال: والله لا ترجع حتى نردّ بذرّاً فنقيم بها ثلاثاً فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الحنم وتعرف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فرجعت بنو زهرة وكانوا حوالي ثلاثمائة رجل، وقدّر الله - سبحانه وتعالى - تذييره بنجاة أبي سفيان ومن معه ليحق الحق ويبتطل الباطل ويقطع دابر الكافرين.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِذْ يَبْعَثُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنهَآلَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيَّرَ ذَاتَ الشُّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ (الأنفال: 7).



فسارَ الجيشُ من ألفٍ مُقاتِلٍ حتَّى نَزَلَ قَرِيبًا من بَدْرِ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى.
 قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِذَا أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ
 أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْيَعْتَدِ وَلَكِنْ لِيَقْضَى اللهُ أَمْرًا كَاتَمَفُولا
 لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنِنَا وَيَبْعَثَ مَنْ حَمَى عَن بَيْنِنَا وَإِنَّ اللهُ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الْأَنْتَكَ : 42).

وَلَمَّا تَبَيَّنَ رَسولُ اللهِ ﷺ إِفْلَاتَ العَيْرِ وَأَتَاهُ خَبْرُ خُرُوجِ قَرِيشٍ بِسِلَاحِهَا
 وَقِيَانِهَا وَخَمْرِهَا وَجَيْشٍ يَفُوقُ أَصْحَابَهُ عَدَدًا وَعُدَّةً لَمْ يُبَادِرْهُ بِمَالِهِ مِنْ مَقَامِ النُّبُوَّةِ يَأْمُرُ
 وَيَنْهَى يَنْبَغِي المُواجَهَةَ بَلْ جَمَعَ مَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَنْصَارٍ وَمُهَاجِرِينَ يُشَاوِرُهُمْ - إِعْمَالًا لِأَمْرِ
 اللهِ - ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (الْعَنْقَبَاتِ : 159).

وَإِخْتَذَ النَّبِيُّ ﷺ عَرِيشًا عَلَى تَلٍّ مُرْتَفِعٍ فِي الشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ لِمَيْدَانِ الْقِتَالِ، ثُمَّ
 عَبَّأَ رَسولُ اللهِ ﷺ جَيْشَهُ، وَمَشَى فِي مَوْضِعِ المَعْرَكَةِ وَجَعَلَ يُشِيرُ بِيَدِهِ: «هَذَا
 مَضْرَعُ فَلَانٍ غَدًا - إِنْ شَاءَ اللهُ - وَهَذَا مَضْرَعُ فَلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ». كَمَا فِي
 «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرِ نَظَرَ
 رَسولُ اللهِ ﷺ إِلَى المُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا،
 فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ القِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي،
 اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهَلَّكَ هَذِهِ العِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبِدْ فِي
 الأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ، مَا دَامَ يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِداؤُهُ عَن مُنْكَبَيْهِ.

فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِداؤَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مُنْكَبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: «يَا نَبِيَّ
 اللهُ، كَفَاكَ مُنَاشِدَتَكَ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ»، فَأَنْزَلَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿إِذَا

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1779).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1763).

— النصيح من الأشرفي بخطه الشريف —

161

تَسْتَفِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَكِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿١٠﴾ (الأنفال : 9).
فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ.

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُنشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبِدْ». فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ يَدَيْهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ (الفتن : 45).

وَبَدَأَتْ الْمَعْرَكَةُ بِالْمُبَارَزَةِ كَمَا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَقَدَّمَ - يَعْنِي عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ - وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ، فَنَادَى مَنْ يُبَارِزُ فَاثْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ، إِنَّمَا أُرُونَا بَنِي عَمَّنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُمْ يَا حَمْرَةَ! قُمْ يَا عَلِيُّ! قُمْ يَا عُيَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ!».

فَأَقْبَلَ حَمْرَةَ عَلَى عُتْبَةَ وَأَقْبَلَتْ إِلَى شَيْبَةَ، وَاخْتَلَفَ بَيْنَ عُيَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ فَأُتِخِنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبُهُ، ثُمَّ مِلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ وَاحْتَمَلْنَا عُيَيْدَةَ. ثُمَّ مَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَقَدْ اخْتَلَطَتِ الصُّفُوفُ، وَتَلَاقَتِ السُّيُوفُ وَحَسَمَ أَمْرُ اللَّهِ لِلْمَلَائِكَةِ اللَّقَاءَ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ (الأنفال : 12).

وَتَتَابَعُ السُّيُوفُ وَالرَّمَاخُ مَغْلَهَا فِي الْقَوْمِ حَتَّىٰ أَذَلَّ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ فَوَقَعُوا بَيْنَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3953).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (2392)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (417/7).



واستجاب الله دعاء نبيّه كما جاء في سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيحه»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما . «اللهم إهم حفاة فاحملهم، اللهم إهم عراة فاكسهم، اللهم إهم جياع فأشبعهم». ففتح الله له يوم بدر، فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بحمل أو حملين واكتسوا وشبعوا.
وأستغفر الله.

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (2747)، وصححه الألباني في «الصحيحه» (4/3).

الخطبة الثانية - فوائد من غزوة بدر :
الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «غَزْوَةِ بَدْرِ» وَالْآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنْ «فَوَائِدَ مِنْ تِلْكَ الْغَزْوَةِ».

فمن فوائد غزوة بدر - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْإِسْتِغَاثَةَ بِاللَّهِ سَبَبٌ عَظِيمٌ مِنْ أَسْبَابِ النَّصْرِ.
قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَيْ مُيَدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (الأنفال : 9).

ومن فوائد غزوة بدر - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ نُزُولَ الْمَلَائِكَةِ لِلْبُشْرَى وَالطَّمَأْنِينَةَ.
قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِنَطْمِئَنَ قُلُوبُكُمْ بِهِ. وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٣﴾ ﴾ (التغوى : 126).

ومن فوائد غزوة بدر - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْمَاءَ وَالنُّعَاسَ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ.
قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِذْ يُغِيثُكُمُ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
لِيَطْهَرَكُمْ بِهِ، وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيُرِيطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (الأنفال : 11).
ومن فوائد غزوة بدر - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يُدِيرُ الْمَعْرَكَةَ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أِنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا
سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ
فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ (الأنفال : 12-14).

ومن فوائد غزوة بدر - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ
رَسُولَهُ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْمَعْرَكَةِ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ.



قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴾ ﴿١﴾ يُجِدُّونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٢﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَاءِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلِتُزَكَّرَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴿

(الافتتاح : 5-8).

وَأَسْأَلُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْنَا إِسْلَامَنَا ذَلِكَ الْإِسْلَامَ الَّذِي جَاهَدَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَقَّ الْجِهَادِ حَتَّى أُخْرِجَ بِهِ الدُّنْيَا مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ.

اللَّهُمَّ أَلْهَمْنَا رُشْدَنَا وَاهْدِنَا سِوَاءَ السَّبِيلِ وَثَبِّتْنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَلْقَاكَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَلَا مُبَدِّلِينَ وَلَا مُغَيِّرِينَ.

عَلُّوْهُمَّةٍ

17

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْكَرَاتِ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدِّهِ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءِ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامِ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ،

وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «عَلُّوْهُمَّةٍ».

عَلُّوْهُمَّةٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - «هُوَ اسْتِصْغَارُ مَا دُونَ النِّهَايَةِ مِنْ مَعَالِي الْأُمُورِ، وَطَلْبُ

الْمَرَاتِبِ السَّامِيَةِ، وَاسْتِحْقَارُ مَا يَجُودُ بِهِ الْإِنْسَانُ عِنْدَ الْعَطِيَّةِ، وَالاسْتِخْفَافُ بِأَوْسَاطِ

الْأُمُورِ، وَطَلْبُ الْغَايَاتِ، وَالتَّهَاقُوتُ بِهَا يَمْلِكُهَا، وَبِذَلِكَ مَا يُمَكِّنُهُ لِمَنْ يَسْأَلُهُ مِنْ غَيْرِ

اِمْتِنَانٍ وَلَا اعْتِدَادٍ بِهِ» كَمَا قَالَ الْجَاحِظُ فِي كِتَابِهِ «تَهْذِيبُ الْأَخْلَاقِ»⁽¹⁾.

(1) «تهذيب الأخلاق» للجاحظ (28).



وقال في «دُنُوْهُ هِمَّةٌ»: «هو ضعفُ النَّفْسِ عن طلبِ المراتبِ العاليةِ، وقصورُ الأملِ عن بلوغِ الغاياتِ، واستكثارُ اليَسِيرِ من الفضائلِ، واستِعْظَامُ القليلِ من العطايا والاعتدادُ بِهِ، والرَّضَى بأوساطِ الأمورِ وصِغارِها»⁽¹⁾.

وقال الحَضْرُ حُسينَ رَحِمَهُ اللهُ: «عُلُوُّ هِمَّةٍ: هو استصغارُ ما دونَ النَّهايةِ من معالي الأمورِ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ الإِسْلَامُ دِينُ العِزَّةِ والكَرَامَةِ، ودينُ السَّمْوِ والارْتِفَاعِ، ودينُ الجِدِّ والاجْتِهَادِ، فليسَ دِينٌ ذَلَّةٌ وَمَسْكَنَةٌ، ولا دِينٌ كَسَلٌ وَخَمُولٌ وَدَعَةٌ. إِنَّهُ دِينٌ يُحْضِرُ عَلَى عُلُوِّ هِمَّةٍ وَيُحِبُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّحَلِّيِ بِهَذَا الخُلُقِ⁽³⁾.

فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ بسندِ صحيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صحيحِ الجامعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ -تعالى- يُحِبُّ مَعَالِي الأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا».

وَفِي «صحيحِ مُسلمٍ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، إِحْرَاضٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتِعْنِ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا أَوْ كَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ».

(1) «تهذيبُ الأخلاقِ» للجاحِظ (34).

(2) «رسائلُ الإِصلاحِ» (57).

(3) انظر «الهِمَّةُ العَالِيَةُ» لِلحَمْدِ (119).

(4) «صحيحٌ» أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الكَبِيرِ» (2894)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الكَامِلِ» (879/3)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صحيحِ الجامعِ» (1886).

(5) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2664).

— الصحيح من الأشرفي بخطه الشريف — ﴿ 167 ﴾

قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله ﷺ : «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضَّعيفِ، وفي كُلِّ خَيْرٍ» والمرادُ بالقوَّةِ هنا عَزِيْمَةُ النَّفْسِ والقَرِيحَةُ في أمورِ الآخِرَةِ فيكونُ صاحبُ هذا الوَصفِ أكثرَ إقدامًا على العَدُوِّ في الجهادِ وأسرَعَ خروجًا إليه وذهابًا في طلبِهِ وأشدَّ عزيمةً في الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ والصَّبْرِ على الأذى في كُلِّ ذلكِ واحتمالِ المشاقِّ في ذاتِ الله تعالى وأزغبَ في الصَّومِ والصَّلَاةِ والأذكارِ وسائرِ العباداتِ وأنشَطَ طلبًا لها ومحافظةً عليها ونحو ذلك»⁽¹⁾.

ومن اللطائفِ في علوِّ الهمةِ - أيها النَّاسُ - ما جاء في «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ من حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَطَّاسَ، وَيَكْرَهُ التَّائِبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ - تعالى - فَحَقُّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُسَمِّتَهُ، أَمَا التَّائِبُ فَإِنَّهَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَنَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ».

قال العلامة ابنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «العطاسُ يدلُّ على النَّشاطِ والحِفَّةِ ولهذا تجدُّ الإنسانَ إذا عَطَسَ نَشِطًا وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يُحِبُّ الْإِنْسَانَ النَّشِيطَ الْجَادَّ».

وفي «الصحيح» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «المؤمنُ القويُّ أَحَبُّ إلى الله من المؤمن الضَّعيفِ وفي كُلِّ خَيْرٍ» والعطاسُ يدلُّ على الحِفَّةِ والنشاطِ فلهذا كانَ محبوبًا إلى الله وكانَ مَشْرُوعًا لِلْإِنْسَانِ إِذَا عَطَسَ أَنْ يَقُولَ الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ لِأَنَّهَا نِعْمَةٌ أُعْطِيهَا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا فَيَقُولُ: «الحمدُ لله».

وأما التَّائِبُ فَإِنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَلِهَذَا كَانَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَكْرَهُهُ لِمَاذَا؟ لِأَنَّ التَّائِبَ يَدُلُّ عَلَى الْكَسَلِ»⁽³⁾.

(1) «شرح النووي على مسلم» (215/16).

(2) رواه البخاري (6223) واللفظُ له، ومسلم (2994).

(3) «شرح رياض الصالحين» (998/1).



أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْإِسْلَامَ لَيَحُثُّ عَلَى الشُّمُوِّ وَالْأَرْتِفَاعِ حَتَّى فِي التَّسْمِيَةِ.

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»⁽¹⁾ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَهَبٍ الْجُسَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ».

قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّمَا صَارَ الْحَارِثُ وَهَمَامٌ مِنْ أَصْدِقِ الْأَسْمَاءِ مِنْ أَجْلِ مُطَابَقَةِ الْأِسْمِ مَعْنَاهُ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لِيَكُنْ هِمَّتُكُمْ الْآخِرَةَ فَنَعِيمُهَا خَيْرٌ وَأَبْقَى.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَقَعَلَى -: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نِعْمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ (الْأَنْتَظِلْ: 20).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ يَضِعْ سَوَاطِئُ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ أَنْكَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي قَصَّرَتْ بِهِ هِمَّتُهُ فَجَعَلَهَا فِي نَاقَةٍ بَرَّخِلَهَا وَأَعْتَزَّ بِخَلْبِهَا أَهْلُهُ.

فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» وَالْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ بِأَعْرَابِيٍّ فَأَكْرَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: «يَا أَعْرَابِيٌّ سَلْ حَاجَتَكَ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4950)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (904).

(2) «شَرْحُ السُّنَنِ» لِلْبَغَوِيِّ (334/12).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6415)، وَمُسْلِمٌ (1881).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» (7093)، وَالْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» (3458)، وَصَحَّحَهُ

الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (313).

ناقة برخلها، وأعترَّ يخلبها أهلي. قالها مرتين، فقال له رسول الله ﷺ: «أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل؟» فقال أصحابه: يا رسول الله، وما عجوز بني إسرائيل؟ قال: «إن موسى أراد أن يسيرَ بيني إسرائيل فأصلَّ الطريق، فقال له علماء بني إسرائيل: نحن نُحدِّثك أن يوسف أخذَ علينا موثيقَ الله أن لا نخرجَ من مِصرَ، حتى ننقلَ عظامه معنا، قال: وأيكم يدري أين قبرُ يوسف؟ قالوا: ما تدري أين قبرُ يوسف إلا عجوزُ بني إسرائيل، فأرسلَ إليها، فقال: دليني على قبرِ يوسف، فقالت: لا والله لا أفعلُ حتى أكونَ معك في الجنة، قال: وكرة رسول الله ﷺ ما قالت، فقيلَ له: أعطها حكمها فأعطاهما حكمها فأنت بحيرة، فقالت: أنصبوا هذا الماء. فلما نضبوا قالت: اخفروا ها هنا، فلما حفروا إذا عظامُ يوسف، فلما أقلُّوها من الأرض، فإذا الطريقُ مثلُ ضوءِ النهار».

أيها الناس هل طلب الأعرابي شيئاً محرماً أم أنه طلب شيئاً من ضروريات الحياة ومع هذا وجهه النبي ﷺ إلى أرفع مقام وأسمى غاية⁽¹⁾.
أيها الناس عظيم الهمة يشتد حرصه على الجنة حتى لا يكاد يشعر بما يلاقه في طريقه.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (في يوم بدر) قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض».
قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم». قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ». قال: لا والله! يا رسول الله!، إلا رجاء أن أكون من أهلها؟ قال: «فإنك

(1) انظر «قصة عجوز بني إسرائيل» للمقطري (95).

(2) رواه مسلم (1901).



مِنْ أَهْلِهَا». وَقَالَ: فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْنُ حَيْثُ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لِحَيَاةٍ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ».

فَقَامَ رَجُلٌ رَثٌ الْهَيْئَةَ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى! أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَجِعْ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفَنَةً سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ. وَأَسْتَغْفِرَ اللَّهُ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1902).

الخطبة الثانية - علو همة سلمان في البحث عن الحق :
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «علو الهمة» والآن حديثي
معكم عن «علو همة سلمان في البحث عن الحق».

يقول سلمان الفارسي رضي الله عنه عن قوم من أبناء ملته خرجت معهم حتى
قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل هذا الدين؟

قالوا: الأسقف في الكنيسة. قال: فجيته، فقلت: إني أرغب في هذا الدين،
وأخبيت أن أكون معك؛ أخدمك في كنيسيتك، وأتعلّم منك، وأصلي معك.

قال: فادخل، فدخلت معه، قال: فكان رجل سوء؛ يأمرهم بالصدقة ويرغبهم
فيها؛ فإذا جمعوا إليه منها أشياء اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين، حتى جمع سبع قلال
من ذهب وورق، قال: وأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يضع، ثم مات، فاجتمعت
إليه النصارى ليذفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجلا سوءا يأمركم بالصدقة ويرغبكم
فيها؛ فإذا جثثوه بها؛ اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا. قالوا: وما علمك
بذلك؟ قال: قلت: أنا أدلكم على كنزها. قالوا: فدلنا عليه. قال: فأريتهم موضعه،
قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبًا وورقا، (أي: فضة) قال: فلما رأوها
قالوا: والله لا ندفنه أبدا فصلبوه ثم رجوه بالحجارة.

ثم جاؤوا برجل آخر فجعلوه بمكانه. قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلا لا
يُصلي الخمس أرى أنه أفضل منه؛ أزهّد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب
ليلا ونهارا منه، قال: فأخبيته حبا لم أحبه من قبله، وأقمت معه زمانا، ثم حضرته
الوفاة، فقلت له: يا فلان! إني كنت معك، وأخبيتك حبا لم أحبه من قبلك، وقد

حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَلِإِي مَنِ تُوصِي بِي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بُني! والله ما أعلم أحدًا اليومَ على ما كنتُ عليه، لقد هلك النَّاسُ وبدَّلُوا، وترَكُوا أَكْثَرَ ما كانوا عليه إلا رجلاً بـ (الموصِلِ) وهو فلان، فهو على ما كنتُ عليه فالحقُّ به.

قال: فلما ماتَ وغُيِّبَ؛ لحقتُ بصاحبِ (الموصِلِ)، فقلتُ له: يا فلانُ إنَّ فلانًا أوصاني عندَ موته أن ألقِ بِكَ، وأخبرني أنَّكَ على أمرِهِ، قال: فقال لي: أقيمَ عِنْدِي. فأقمتُ عنده، فوجدتهُ خيرَ رجلٍ على أمرِ صاحِبِهِ، فلم يلبث أن ماتَ، فلما حَضَرَتْهُ الوفاةُ قلتُ له: يا فلانُ! إنَّ فلانًا أوصى بي إليك، وأمرني باللُّحوقِ بِكَ، وقد حَضَرَكَ من الله - عزَّ وجلَّ - ما ترى، فإلى مَنِ تُوصِي بِي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بُني! والله ما أعلمُ رجلاً على مثلي ما كُنَّا عليه إلا رجلاً بـ (نصيبين) فجيتهُ فأخبرتهُ بخبري وما أمرني به صاحِبِي، قال: فأقيمَ عِنْدِي. فأقمتُ عنده، فوجدتهُ على أمرِ صاحِبِيهِ، فأقمتُ مع خيرِ رجلٍ، فوالله ما لبث أن نزلَ به الموتُ، فلما حَضَرَ قلتُ له: يا فلانُ! إنَّ فلانًا كانَ أوصى بي إلى فلانٍ، ثمَّ أوصى بي فلانٌ إليك؛ فإلى مَنِ تُوصِي بِي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بُني! والله ما نعلمُ أحدًا بقيَ على أمرنا أمرك أن تأتيه إلا رجلاً بـ (عموريَّة)؛ فإنهُ بِمِثْلِ ما نحنُ عليه، فإنَّ أخبِبتُ فأتيه، قال: فإنهُ على أمرنا. قال: فأقمتُ ماتَ وغُيِّبَ، لحقتُ بصاحبِ (عموريَّة) وأخبرتهُ خبري، فقال: أقيمَ عِنْدِي. فقمْتُ معَ رجلٍ على هَدْيِ أصحابِهِ وأمرِهِمْ، قال: واكتسبتُ حتَّى كانَ لي بقراتٌ وغنيمَةٌ، قال: ثمَّ نزلَ به من أمرِ الله، فلما حَضَرَ قلتُ له: يا فلانُ! إنِّي كُنتُ معَ فلانٍ، فأوصى بي فلانٌ إلى فلانٍ وأوصى بي فلانٌ إلى فلانٍ ثمَّ أوصى بي فلانٌ إليك؛ فإلى مَنِ تُوصِي بِي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بُني! ما أعلمُهُ أَصْبَحَ على ما كُنَّا عليه أحدٌ من النَّاسِ أمرك أن تأتيه، ولكِنَّه قد أظلكَ زمانُ نبيِّ، هو مبعوثٌ بدينِ إبراهيمَ، يخرجُ بأرضِ العربِ، مهاجرًا إلى أرضٍ بينَ حَرَّتَيْنِ بينهما نخْلٌ، بهِ علاماتٌ لا تخفى، يأكلُ الهديةَ،

— البصيح من الأشرفي بخط ابن الأثير — 173 —

ولا يأكل الصدقة بين كنفه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. قال: ثم مات وعيَّب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مرَّ بي نفر من كلب تجارا، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم. فأعطيتموها، وحملوني حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني، فباعوني من رجل من اليهود عبدا، فكنت عنده، ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق لي في نفسي، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها.

وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس إذا أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: فلان! قاتل الله بني قيلة؛ والله إنهم الآن لمجتمعون ب (قباء) على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي. قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء (أي الرعدة) حتى ظننت أني سأسقط على سيدي، قال: ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي فلكني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟! أقبل على عمك. قال: قلت: لا شيء إننا أردت أن أستثبت عمًا قال.

وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو ب (قباء)، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذؤو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا». وأمسك يده فلم يأكل، قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئا



وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِ فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَاتَانِ اثْنَتَانِ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْقِعُ الْفَرَقِدَ، قَالَ: وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةَ مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ سَمْلَتَانِ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدْرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَدْرْتُهُ؛ عَرَفَ أَنِّي اسْتَشَيْتُ فِي شَيْءٍ وَصِفَايَ، قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ فَأَنْكَبْتُ عَلَيْهِ أَقْبَلُهُ وَأُبْكِي فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَحَوَّلَ». فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي - كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! - قَالَ: فَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ ضَرَبَ لَنَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَثَلَ الْأَعْلَى فِي عُلُوِّ الْهَمَّةِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ حَتَّى وَجَدَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ قَاسَى الشَّدَائِدَ وَاحْتَمَلَ الْمَتَاعِبَ فِعْظِيمُ الْهَمَّةِ يَسْتَهِينُ بِذَلِكَ كُلَّهُ، كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

مَهْوُنٌ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَفُوسُنَا ○○○ وَمَنْ يَخْطُبُ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلُهُ الْمَهْرُ

وَقَالَ الْآخَرُ وَهُوَ الْبَارُودِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمَنْ تَكُنِ الْعَلِيَاءُ هِمَّةً نَفْسِهِ ○○○ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُجْتَبٍ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الضَّعْفِ وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ.

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِمَعَالِي الْأُمُورِ وَأَشْرَافِهَا وَالْعَزِيمَةِ عَلَى الرُّشْدِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْنَاكَ مِنْهُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٌ وَعِبَادُكَ الصَّالِحُونَ وَنَسْتَعِينُ

بِكَ مِمَّا اسْتَعَاذْنَاكَ مِنْهُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٌ وَعِبَادُكَ الصَّالِحُونَ.

18 أهمية النصيحة

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذيات: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (السنن: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأخبار: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،

وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عَنِ «أهمية النصيحة».

أيها الناس النصيحة لبُ الدين وجوهرُ الإيمان.

وقد قال رسولُ الله ﷺ كما في «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديثِ تميم الداريِّ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قالوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ

وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

(1) رواه مسلم (55).



قال النووي رَحِمَهُ اللهُ : « هذا حديثٌ عظيمُ الشأنِ وعليه مدارُ الإسلامِ كما سنذكرُ في شرحه، وأما ما قاله جماعاتٌ من العلماءِ أنه أحدُ أرباعِ الإسلامِ أي أحدُ الأحاديثِ الأربعةِ التي تَجْمَعُ أمورَ الإسلامِ فليس كما قالوه، بل المدارُ على هذا وَحْدَهُ»⁽¹⁾.

ومعنى النَّصِيحَةِ لله - أَيُّهَا النَّاسُ - بِاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَالتَّسْلِيمِ لَهُ فِي حُكْمِهِ.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ : « وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الإِضَافَةِ رَاجِعَةٌ إِلَى العَبْدِ فِي نُصْحِهِ نَفْسَهُ، فَاللهُ غَنِيٌّ عَنِ نُصْحِ النَّاصِحِ »⁽²⁾.

وَالنَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ ﷺ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَإِكْرَامِ قَرَابَتِهِ وَالشَّفَقَةَ عَلَى أُمَّتِهِ.

وَلِكِتَابِهِ، بِتَدْبِيرِ آيَاتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَأْمُورَاتِهِ، وَتَحْنِينِ تَلَاوَتِهِ.

وَالنَّصِيحَةُ لِأَيِّمَةِ المُسْلِمِينَ بِالطَّاعَةِ لِلأَمْرَاءِ إِلا فِي مُحْرَمٍ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ وَالتَّصَدِيقِ لِلعُلَمَاءِ إِلا فِيمَا لا يَهْدِي العِلْمُ إِلَيْهِ.

وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ المُسْلِمِينَ بِالذَّبِّ عَنِ أَعْرَاضِهِمْ، وَإِقَامَةِ حُرْمَتِهِمْ وَالنُّصْرَةَ لَهُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ جَلْبًا وَنَفْعًا.

وَالنَّصِيحَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَرَضٌ كَفَايَةٌ .

قال ابنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللهُ : « وَالنَّصِيحَةُ فَرَضٌ يَجْزِيءُ فِيهِ مَنْ قَامَ بِهِ، وَيَسْقُطُ عَنِ البَّاقِينَ »⁽³⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِلنَّاصِحِ مِنَ الشَّرَفِ العَظِيمِ مَا لا يُدْرِكُ وَيَكْفِي أَنَّ النَّصِيحَةَ وَظِيفَةُ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(1) «شرح النووي على مسلم» (37/2).

(2) «شرح النووي على مسلم» (39/2).

(3) شرح «صحيح مسلم» (39/2).

— البصيح من الأشرفي بخطه الشريف — ﴿ 177 ﴾

قال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَى - عَنْ نُوحٍ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿ قَالَ يَنْقُورِ لَيْسَ بِ سَلَكَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولِي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الإعراف: 61-62).

وقال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَى - عَنْ هُودٍ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿ قَالَ يَنْقُورِ لَيْسَ بِ سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولِي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الإعراف: 67-68).

وقال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَى - عَنْ صَالِحٍ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الإعراف: 79).

وقال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَى - عَنْ شُعَيْبٍ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَأَسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الإعراف: 93).

وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِقَوْمِهِ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟». قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِضْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَيُنَكِّتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ! اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ النَّصِيحَةُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال: «إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَسَمِّئْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ».

(1) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (1218).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2162).



وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِتْيَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. وَلِلنَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَرْكَانٌ وَشُرُوطٌ، وَأَدَابٌ.

فَأَرْكَانُ النَّصِيحَةِ ثَلَاثَةٌ وَهِيَ:

1 - النَّاصِحُ وَهُوَ الَّذِي يَنْصَحُ غَيْرَهُ.

2 - الْمَنْصُوحُ وَهُوَ الَّذِي يَنْصَحُهُ غَيْرُهُ.

3 - الْمَنْصُوحُ بِهِ وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يَنْصَحُ بِهِ النَّاصِحُ الْمَنْصُوحَ.

وَأَمَّا شُرُوطُ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَالَّتِي لَا بُدَّ أَنْ تَتَوَقَّرَ فِي النَّاصِحِ وَالْمَنْصُوحِ

فَهِيَ مَا يَأْتِي ذِكْرُهَا:

أَوَّلًا - الْإِسْلَامُ: فَالْأَصْلُ فِي أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا وَالْمَنْصُوحُ كَذَلِكَ لِلْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ «وَالنُّصْحُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

لَكِنَّ التَّقِيدَ لِلْمُسْلِمِ لِلْأَغْلَبِ وَإِلَّا فَإِنَّهُ يَجُوزُ بِذُلِّ النَّصِيحَةِ لِلْكَافِرِ وَدَعْوَتُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتَّقِيدُ بِالْمُسْلِمِ لِلْأَغْلَبِ، وَإِلَّا فَالنُّصْحُ لِلْكَافِرِ مُعْتَبَرٌ بَأَن يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَيُشَارَ عَلَيْهِ بِالصَّوَابِ»⁽²⁾.

وَالشَّرْطُ الثَّانِي مِنْ شُرُوطِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْبُلُوغُ.

فَيُسْتَرَطُّ فِيهَا أَنْ يَكُونَا بِالْغَيْنِ؛ لِأَنَّ الْبُلُوغَ مَنَاطُ التَّكْلِيفِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ بِالْغَا فليسَ عَلَيْهِ تَكْلِيفٌ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1401)، وَمُسْلِمٌ (56).

(2) «فَتْحُ الْبَارِي» (140/1).

لما في سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «الإزواء»⁽¹⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ مِنْ ثَلَاثَةٍ: مِنَ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَمِنَ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَمِنَ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ أَوْ يَبْقَى».

والشرط الثالث من شروط النصيحة - أيها الناس - أن يكونا عاقلين؛ لأن العقل مناط التكليف.

وقد رُفِعَ القلمُ عمَّنْ ليسَ بعاقِلٍ وفي الحديث: «ومن المجنون حتى يفتق».

ويُشترَطُ في الأمرِ الذي يُنصَحُ بِهِ ما يأتي:

- أن يكونَ ممَّا أمرَ بِهِ اللهُ ورَسُولُهُ ﷺ أو بما هَيَّأ اللهُ ورَسُولُهُ ﷺ عنه.

- وأن يكونَ ممَّا اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى طَلْبِ فِعْلِهِ أَوْ تَرْكِهِ.

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ.

(1) «صحيح» رواه أبو داود (4398)، وصححه الألباني في «الإزواء» (297).



الخطبة الثانية - آداب النصيحة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «النصيحة» والآن حديثي معكم عن «شيء من آدابها».

فمن آداب النصيحة - أيها الناس - الإخلاص؛ لأن النصيحة عبادة يتقرب بها العبد إلى الله - سبحانه وتعالى - وعمل صالح يرجو به ثواب الله والنية الصالحة أساس أي عمل صالح.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنية، وإنما لكل امرئ ما نوى».

فصلاح الأعمال وفسادها بحسب صلاح النيات وفسادها وقبولها وعدمه كما قال الحافظ ابن رجب رحمه الله.

فمن أراد أن ينصح أخاه فليقدم بين يديه نية حسنة يجدر الأجر يطلبه كما يطلب السيل الحدورة ويجد لنصيحته روحاً من التأثير ولا بد.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ أَنْتُمْ زَرْعُونَهُمْ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ (الواقعة : 64).

ومن آداب النصيحة - أيها الناس - التحلي بالعلم. ويكفي أن يكون عالماً أن ما ينصح به أخاه مما أمر الله به ورسوله أو مما نهى الله عنه ورسوله فينصح بحدود ما يعلمه.

ومن آداب النصيحة - أيها الناس - لزوم الحكمة.

(1) «جامع العلوم» (1/65).

— البصيح من الأشرف بخط ابن كثير — 181 —

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (المائدة : 125).

والْحِكْمَةُ - أيها الناس - هي الإصَابَةُ في الأقوالِ والأفعالِ وَوَضْعُ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ.
وَالنَّاصِحُ الْحَكِيمُ يَسْتَعْمِلُ أَفْضَلَ الكَلَامِ وَأَيِّنُهُ وَأَحْسَنَ الأَوْقَاتِ وَأَنْسَبَهَا
وَأَرْفَقَ الأَسَالِيبِ وَأَجْمَلَهَا، وَيُؤَثِّرُ الإِشَارَةَ عَلَى العِبَارَةِ وَقَلِيلَ الكَلَامِ عَلَى كَثِيرِهِ،
وَالسَّرَّ عَلَى العَلَنِ فَإِنَّ السَّرَّ نَصِيحَةٌ وَالجَهْرَ فَضِيحَةٌ.

وَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أيها الناس - عَدَمُ التَّشْهِيرِ بِالْمَنْصُوحِ لَهُ.
فَإِنَّ التَّشْهِيرَ بِالْمَنْصُوحِ لَهُ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ المُسْلِمِينَ.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ : «وهذا داخلٌ فيما ذمَّهُ اللهُ - تعالى - في كِتَابِهِ وَتَوَعَّدَ عَلَيْهِ
في الهَمْزِ وَاللَّمْزِ وَدَاخِلٌ - أيضًا - في قولِ النَّبِيِّ ﷺ كما في مُسْنَدِ أحمدَ وَسُنَنِ أَبِي
داودَ بِسَنَدٍ قَالَ عَنْهُ الألبانيُّ في «المشكاة»⁽¹⁾ حَسَنٌ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرزَةَ
الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «يا معشرَ مَنْ آمَنَ بِلسانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيْمَانُ قَلْبَهُ لا تَغْتَابُوا
المُسْلِمِينَ ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مِنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ
عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ».

وهذا كُلُّهُ في حَقِّ العُلَمَاءِ المُقْتَدَى بِهِمْ في الدِّينِ فَأَمَّا أَهْلُ البِدْعِ وَالضَّلَالَةِ
وَمَنْ تَشَبَهَ بِالعُلَمَاءِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ فيجوزُ بيانُ جَهْلِهِمْ وإِظْهَارُ عُيُوبِهِمْ تَحْذِيرًا مِنْ
الاقْتِدَاءِ بِهِمْ⁽²⁾.

(1) «حَسَنٌ صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أحمدُ (19791)، وَأبو داودَ (4480)، وَقَالَ الألبانيُّ في «المشكاة»
(5044) حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(2) «الفرقُ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّعْيِيرِ» (ص 8).



ومن آدابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ النَّصِيحَةَ فِي السِّرِّ .
فَالنَّصِيحَةُ فِي السِّرِّ أَنْفَعُ وَأَبْرَكُ فَلَا يَسْلُمُ الْمَرْءُ مِنْ حَظِّ نَفْسِهِ إِلَّا فِي لِحْظَةِ خَلْوَةٍ
وَصَفَاءٍ، وَهَذِهِ اللَّحْظَةُ تَكُونُ عِنْدَ الْمَسَارَةِ فِي السِّرِّ وَعِنْدَهَا تُؤْتِي النَّصِيحَةُ ثَمَرَتَهَا وَلَا
يَكُونُ النَّاصِحُ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيهِ .

فَإِنَّ النَّاصِحَ فِي مَلَأٍ يُعِينُ الشَّيْطَانَ عَلَى صَاحِبِهِ، وَيُوقِظُ فِي نَفْسِهِ مَدَاخِلَ
الشَّيْطَانِ، وَيُغْلِقُ أَبْوَابَ الْخَيْرِ، وَهَذَا حَرِصَ السَّلَفُ عَلَى النَّصِيحِ فِي السِّرِّ دُونَ الْعَلَنِ .
قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَكَانَ السَّلَفُ إِذَا أَرَادُوا نَصِيحَةَ أَحَدٍ وَعَظُوهُ سِرًّا» .
حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ : «مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَهِيَ نَصِيحَةٌ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَى
رُؤُوسِ النَّاسِ فَإِنَّهَا وَبَّخَةٌ»⁽¹⁾ .

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «الْمُؤْمِنُ يَسْتُرُ وَيَنْصَحُ، وَالْفَاجِرُ يَهْتِكُ وَيُعِيرُ»⁽²⁾ .
وَيُعَقِّبُ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى كَلِمَةِ الْفُضَيْلِ بِقَوْلِهِ : «فَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ
الْفُضَيْلُ مِنْ عِلَامَاتِ النَّصِيحِ وَهُوَ أَنَّ النَّصِيحَ يَقْتَرِنُ بِهِ السِّرُّ وَالتَّعْيِيرُ يَقْتَرِنُ بِهِ الْإِعْلَانُ»⁽³⁾ .
وَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ بِلُطْفٍ وَرِفْقٍ .

فَكُنْ - يَا عَبْدَ اللَّهِ لَطِيفًا رَفِيقًا فِي نُصْحِكَ لِأَخِيكَ؛ لِأَنَّ قَبُولَ النَّصِيحَةِ كَفَتْحِ
الْبَابِ، وَالْبَابُ لَا يُفْتَحُ إِلَّا بِمِفْتَاحٍ مُنَاسِبٍ .

فَمَنْ نَصَحَ أَخَاهُ بِغِلْظَةٍ وَفَضَاضَةٍ نَفَرَ مِنْهُ وَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ قَلْبَهُ .
وَقَدْ أَمَنَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنْ جَبَلَهُ عَلَى الرَّفْقِ وَحَبَّةِ
الرَّفْقِ، وَأَنْ جَبَنَهُ الْغِلْظَةَ وَالْفَضَاضَةَ .

(1) «جامع العلوم» (77/1).

(2) «جامع العلوم» (77/1).

(3) «الفرق بين النصيحة والتعيير» لابن رجب (ص 36).

فقال - عز وجل - : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (التغولات : 159).

وقد كانت سيرته ﷺ حافلة بهذا الخلق الكريم الذي من ملكه بسط سلطانه على القلوب.

وكان ﷺ يأمر بالرفق ويبيِّن فضله.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة! إن الله رقيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه».

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ - أيضا - من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه».

ومن آداب النصيحة - أيها الناس - عدم الإلزام.

فلا تلزم أخاك بقبول نصيحتك فنفع النصح مرهون بإرادة الله.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ

يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (مؤتة : 34).

قال ابن جزم رحمه الله : «ولا تنصح على شرط القبول منك، فإن تعدت هذه الوجوه فأنت ظالم لا ناصح وطالب طاعة ومُلك، لا مؤدّي حق أمانة وأخوة، وليس هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة، لكن حكم الأمير مع رعيتيه، والسيد مع عبده»⁽³⁾.

(1) رواه مسلم (2593).

(2) رواه مسلم (2594).

(3) «الأخلاق والسير» (44).



اللَّهُمَّ إِنَّا عبيدُكَ بَنُو عبيدِكَ بَنُو إِمَائِكَ نَوَاصِينَا بِيَدِكَ، ماضٍ فِينا حُكْمُكَ، عَدْلٌ
فِينا قَضَاؤُكَ، نَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ
عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِبْعَ
قُلُوبِنَا، وَنُورَ صُدُورِنَا وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا وَذَهَابَ غُموْمِنَا.

اللَّهُمَّ اشْرَحْ صُدُورَنَا وَيَسِّرْ أُمُورَنَا، وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا.

فَضْلُ صَلَاةِ الرَّحِمِ

19

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغفلت: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا كَثِيرًا مِمَّا ذُنُوبُهُ

وَأَتَقَرُّوا إِلَيْهِ قَسَةً لَوْ نَبَوْهُ، وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النشأة: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ يُطِيعُ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاحقران: 70 - 71).

أما بعد، فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «فَضْلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ».

أَيُّهَا النَّاسُ صَلَاةُ الرَّحِمِ عَلَامَةٌ كَمَالِ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ الْإِسْلَامِ وَهَا مِنْ الْفَضَائِلِ مَا لَوْ جُمِعَتْ لَكَانَتْ سِفْرًا مِنْ الْأَسْفَارِ.

وَقَبْلَ أَنْ أَذْكَرَ لَكُمْ فَضْلَ صَلَاةِ الرَّحِمِ أَذْكَرُكُمْ بِحَدِّ الرَّحِمِ وَحَقِيقَةِ الصَّلَاةِ وَحُكْمِهَا وَبِإِذَا تَكُونُ إِجْمَالًا.

فَأَمَّا حَدُّهَا فَالرَّحِمُ اسْمٌ شَامِلٌ لِكُلِّ قَرَابَةٍ الْأَقَارِبِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقِ بَيْنَ الْمَحَارِمِ وَغَيْرِهِمْ. وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى قَضْرِ الرَّحِمِ عَلَى الْمَحَارِمِ، بَلْ وَمِنْهُمْ مَنْ



قَصَرها على الوَارِثِينَ مِنْهُمْ وهذا مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَرِوَايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ -
وَالرَّاجِحُ الْأَوَّلُ.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «يُطَلَّقُ على الأَقَارِبِ وَهُمْ مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآخِرِ
نَسَبٌ، سواءَ أَكَانَ يَرِثُهُ أُمُّ لَأَ، سواءَ أَكَانَ ذَا مَحْرَمٍ أُمُّ لَأَ، وَقِيلَ هُمُ المَحَارِمُ فَقَطُ،
وَالأَوَّلُ هُوَ الرَّاجِحُ؛ لِأَنَّ الثَّانِي يَسْتَلْزِمُ خُرُوجَ أولادِ الأَعْمَامِ وَأولادِ الأَخْوَالِ مِنْ
ذَوِي الأَرْحَامِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ».

وَحَقِيقَةُ الصَّلَةِ هِيَ العَطْفُ وَالرَّحْمَةُ.

وَأَمَّا حُكْمُهَا فَهِيَ واجِبَةٌ وَقَطِيعَتُهَا مُحْرَمَةٌ، وَمِنَ الكَبَائِرِ.

قال القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «انْفَقَتِ المِلَّةُ على أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ واجِبَةٌ وَأَنَّ قَطِيعَتَهَا مُحْرَمَةٌ».

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ : «لا خِلافَ أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ واجِبَةٌ في الجُمْلَةِ
وَقَطِيعَتُهَا مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ والأَحاديثُ تُشْهَدُ لهذا، وَلَكِنَّ الصَّلَةَ دَرَجَاتٌ بَعْضُها أَرْفَعُ
مِنَ بَعْضٍ، وَأذْناها تَرَكُّ المِهاجِرَةِ بالكلامِ ولو بالسَّلامِ وَيُخْتَلَفُ ذلكَ باختِلافِ
القُدْرَةِ والحاجَةِ فَمِنْها واجِبٌ وَمِنْها مُسْتَحَبٌّ. وَلَوْ وَصَلَ بَعْضُ الصَّلَةِ، وَلَمْ يَصِلْ
غَايَتُها لا يُسَمَّى قاطِعًا، ولو قَصَرَ عَمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيَنْبَغِي لَهُ لا يُسَمَّى واصِلًا»⁽¹⁾.

وتكونُ صِلَةُ الرَّحِمِ بالقِعلِ وهو الإخْسانُ أو بالتَّرْكِ وهو كَفُّ الأَدْيِ.

قال النُّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «صِلَةُ الرَّحِمِ هِيَ الإخْسانُ إلى الأَقَارِبِ على حَسَبِ
حالِ الواصِلِ والمَوْصُولِ، فَتارَةٌ تكونُ بالمالِ وتارَةٌ بالخدمَةِ، وتارَةٌ بالزِّيَارَةِ
والسَّلامِ وَغَيْرِ ذلكَ»⁽²⁾.

(1) «شرح مُسْلِمٍ» (112/16).

(2) «شرح النُّوويُّ على مُسْلِمٍ» (201/2).

— البصريح من الأشرفي بخطه الشريف — ﴿187﴾

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ : «قَرَابَةُ الْإِنْسَانِ هُمْ مِنْ يَجْتَمِعُونَ بِالْأَبِ الرَّابِعِ فَمَا دُونََ وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْإِحْسَانَ يَتَّفَاوَتْ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَقْرَبَ فَهُوَ أَوْلَى بِالْإِحْسَانِ، لِأَنَّ الْحَكْمَ إِذَا أَعْلَقَ فَهُوَ بِوَصْفِ قَوِيٍّ بِحَسَبِ قُوَّةِ ذَلِكَ الْوَصْفِ فَمَثَلًا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْ صِلَةِ الْخَالِ أَكْثَرُ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْ صِلَةِ أَوْلَادِ الْخَالِ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ دُونَكُمْ بَعْضُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ صِلَةِ الرَّحِمِ.

فَمِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ أَنْ اللهُ مَدَحَ الْوَاصِلِينَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ.

فَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ

سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ (الرعد: 21).

وَمِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَوْصَى بِذَوِي الْأَرْحَامِ خَيْرًا.

فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسبة: 1).

وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَمَّا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ

تَبَذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ (الأنزلة: 26).

وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾

(الأنشاك: 75).

وَمِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا سَبَبٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ مَعَ أَوْلِي الدَّاخِلِينَ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ

لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: مَا لَهُ مَا لَهُ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَرْبُ

(1) «تفسير القرآن» للعثيمين (194/2).

(2) رواه البخاري (1396) واللفظ له، ومسلم (13).



مَا لَهُ - يَعْنِي حَاجَةً لَهُ - تَعْبُدُ اللَّهَ، وَلَا تَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِمُّ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ».

وَمِنْ فَصَائِلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صَلَاةُ اللَّهِ لِلْوَاصِلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبُّ. قَالَ: فَذَاكَ لَكَ».

وَمِنْ فَصَائِلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَمَّا سَبَبُ فِي زِيَادَةِ الْأَرْزَاقِ وَالْأَعْمَارِ. فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْطَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّ صَلَاةَ الرَّحِمِ حَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرْنَ الدِّيَارَ وَيَزِدْنَ فِي الْأَعْمَارِ».

وَهُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - سَوَالٌ وَهُوَ: كَيْفَ يَطُولُ الْعُمُرُ وَالْعُمُرُ مُقَدَّرٌ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3830)، وَمُسْلِمٌ (2554).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2067)، وَمُسْلِمٌ (2557).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (374/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (2965).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (159/6)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (519).

فالجواب عليه قال العلامة العباد - حفظه الله - : «الله - سبحانه وتعالى - قدّر أن يطول عمره وقدّر أن يكون ذلك بسبب فعل يحصل وهو البرّ وصلة الرّحم يعني قدّر السبب والسبب فالسبب مُقدّر والمُسبب مُقدّر»⁽¹⁾.

فلا تعارض - أيها الناس - بين هذه الأحاديث وبين قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْجِرُونَ﴾⁽²⁾ ؛ لأن هذه الزيادة وهي في حقيقتها بالنسبة إلى علم الملك الموكّل بكتابه الأجل، وشقيّ أم سعيد أمّا الآية فهذه بالنسبة إلى علم الله - سبحانه وتعالى - ، فعلم الله لا زيادة فيه ولا نقصان، ولكن يوحى للملك بأن عمر فلان ستون سنة وبسبب صلته لرحمه يبلغ عمره ثمانين سنة مثلاً، وهو الذي أشار إليه ربنا جلّ في علاه بقوله : ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾⁽³⁾.

ومن فضائل صلة الرّحم - أيها الناس - أنّها دعوة النبيّ ووصيته لأمتيه.

ففي «الصّحيحين»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما سأل هرقل أبا سفيان - قبل أن يسلم وكان في تجارة في بلاد الشام - عن صفات النبيّ صلّى الله عليه وآله وبماذا يأمرهم؟ قال: يقول: «اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم»، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلّة.

وفي صحيح ابن جبان ومُعجم الطبراني «الصّغير» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح التّرجيب»⁽³⁾ من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي صلّى الله عليه وآله ببخصال من الخير: أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقّي، وأن أنظر إلى من هو

(1) شرح سنن أبي داود للعبّاد (74/8).

(2) زوارة البخاري (7) واللفظ له، ومسلم (1773).

(3) «صحيح» زوارة ابن جبان في صحيحه (194/8)، والطبراني في «الصّغير» (84/2)، وصححه

الألباني في «صحيح التّرجيب» (2525).



دُونِي، وَأَوْصَانِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالذُّنُوبِ مِنْهُمْ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَصِلَ رَحِمِي وَإِنْ
أَذْبَرْتُ، وَأَوْصَانِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ
مُرًّا، وَأَوْصَانِي أَنْ أَكْثِرَ مِنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَثْرٌ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ.

وَمِنْ فَضَائِلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ تَضَاعَفُ
أَجُورُهَا عَنِ غَيْرِهِ.

فَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ
حَدِيثِ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى
الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ عَنْ زَيْنَبِ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ: أَيُجْزِيءُ عَنِّي مِنَ الصَّدَقَةِ النَّفَقَةُ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ فِي حِجْرِي؟ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ لَهَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا
أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً (أَيَّ أُمَّةٍ) فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَقَالَ: «لَوْ أُعْطِيَتْهَا أَخْوَالُهَا كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِهَا».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ
الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلِ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ
الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طِيبٌ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (92/5)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (3752).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (14) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، وَمُسْلِمٌ (1000).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2592)، وَمُسْلِمٌ (999).

(4) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1461) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (998).

- البصريح من الأشهد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْيَمَ - ﴿ ١٥١ ﴾

قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لِنَتْلُوهُنَّ حَتَّىٰ يُدْفِقْنَ غَيْرًا﴾ (الطلاق: 92)، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله - تبارك وتعالى - يقول: ﴿لِنَتْلُوهُنَّ حَتَّىٰ يُدْفِقْنَ غَيْرًا﴾. وإن أحب أموالي إليّ بئرحاء، وإنه صدقة لله أزجو برها ودخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «بئح، ذلك مال رابع، وقد سمعت ما قلت، وإن أرى أن تجعلها في الأقربين».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمتها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. وما أجمل أن تكون الصدقة على ذي الرجم الكاشح الذي يضرير العداوة في كسجه أي باطنه.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽¹⁾ عن أم كلثوم بنت عقبة روتها عن النبي ﷺ قال: «أفضل الصدقة على ذي الرجم الكاشح».

قال المناوي رحمه الله في «فيض القدير»: «يعني أفضل الصدقة على ذي الرجم المضير العداوة في باطنه فالصدقة عليه أفضل منها على ذي الرجم غير الكاشح لما فيه من قهر النفس للإذعان لمعادها وعلى ذي الرجم المصافي أفضل أجراً منها على الأجنبي لأنه أولى الناس بالمعروف»⁽²⁾. وأستغفر الله.

(1) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الكبير» (4/138)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (338/2).

(2) «فيض القدير» (2/49).



الخطبة الثانية - عقوبة قطيعة الرجم :

اِحْمَدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ. تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «فَضْلِ صِلَةِ الرَّجِمِ»، وَالآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ «عُقُوبَةِ قَطِيعَةِ الرَّجِمِ».

فَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيعَةِ الرَّجِمِ أَنْ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ذَمَّ الْقَاطِعِينَ ذَمًّا شَدِيدًا فَقَالَ
- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَالَّذِينَ يَنْتُزِعُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ يَسْتَفِئُوهُ، وَقَطَعُوتَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
وَيُقِيدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سَوْءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (التغلق : 25).

وَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيعَةِ الرَّجِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا أَوْعَدَ اللَّهُ الْمُشِيدِينَ فِي الْأَرْضِ
وَقَاطِعِ الْأَرْحَامِ مِنَ الطَّرْدِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَاحْتِمِ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ دَاعِيَ الْحَقِّ
وَأَبْصَارِهِمْ عَنْ رُؤْيَةِ أَنْوَارِهِ.

قَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَقِيدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٣﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٤﴾ ﴾ (مُحْتَكَبًا : 22-23).

وَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيعَةِ الرَّجِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَقْطَعُ مَنْ قَطَعَهَا
كَمْ يَصِلُ مَنْ وَصَلَهَا.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»¹ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
«الرَّجِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ».

وَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيعَةِ الرَّجِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَعْجِيلُ الْعُقُوبَةِ لِلْقَاطِعِ فِي الدُّنْيَا
قَبْلَ الْآخِرَةِ.

(١) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5989)، وَمُسْلِمٌ (2555).

البصريح من الاستبدال بعض الألفاظ

109

ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححة الألبار في «الصححة»⁽¹⁾ من حديث
أبي بكر بن زيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قلب أجتد أن يعجل الله
لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من الهوى ولطيفة الرجم».

ومن عقوبة فطيمة الرجم - أيها الناس - أن أهمل ابن آدم تُغرض على الله
- سُبحته، وتَعَلَّن - كُل لحميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رجم.

ففي مُسنَد أحمد بسند حسن حسنة الألبار في «صحيح الترهيب»⁽²⁾ من حديث
أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن أهمل بني آدم تُغرض
كُل لحميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رجم».

ومن عقوبة فطيمة الرجم - أيها الناس - أنه لا يدخل الجنة في أول وهلة مع الداخلين.

ففي «الصححين»⁽³⁾ من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ
يقول: «لا يدخل الجنة قاطع». قال سفيان: يعني قاطع رجم.

أي أنه لا يدخل الجنة مع أول الداخلين إن كان من الموحدين، ولكن بعد أن
يُطهره الله بالنار من تلك المخالفة؛ لأنه لا يبقى في النار من كان في قلبه ذرة من إيمان.

ومن عقوبة فطيمة الرجم - أيها الناس - أن القاطع يُسَفُّ المُل وهو الرَّمادُ الحارُّ.

ففي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلاً قال: يا رسول
الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عليهم،

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (83/1)، و«صححة الألبار» في «الصححة» (623/2).

(2) «حسن» أخرجه أحمد (4842)، و«سنن الألبار» في «صحيح الترهيب» (2538).

(3) زواة البخاري (5984)، ومسلم (2556).

(4) زواة مسلم (2558).



وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ ﷺ: «إِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَأَنَّمَا تُطْعَمُهُمُ الرَّمَادَ الْحَارَّ، وَهُوَ تَشْبِيهُ لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْأَلْمِ بِمَا يَلْحَقُ آكِلَ الرَّمَادِ الْحَارِّ مِنَ الْأَلْمِ»⁽¹⁾..

أَيُّهَا النَّاسُ تِلْكَ بَعْضُ عُقُوبَةِ قَطِيعَةِ الرَّجِمِ فَلَا يَجْعَلُ أَحَدُنَا صَلَاتَهُ لِأَرْحَامِهِ صَلَاةً مُكَافِيَةً لِلْمَعْرُوفِ بِمِثْلِهِ بِحَيْثُ إِنْ وَصَلُوهُ وَصَلَهُمْ، وَإِنْ قَطَعُوهُ قَطَعَهُمْ وَهَذَا لَيْسَ بِوَاصِلٍ فِي الْحَقِيقَةِ بَلِ الْوَاصِلُ مَنْ يَصِلُ قَرَابَتَهُ ابْتِغَاءً وَجِهَ اللَّهُ وَلَا يُبَالِي وَصَلُوهُ أَمْ لَا.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمَةُ وَصَلَّاهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكُرْكُمْ بِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠١﴾﴾ (التفكك: 90).

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى صَلَاةِ الْأَرْحَامِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.
اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى كُلِّ خَيْرٍ وَجَنِّبْنَا الْفِتْنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

(1) «شرح النووي على مسلم» (115/16).

(2) رواه البخاري (5991).

20 آداب الجوار

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذاتنا : 102).

- ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسئلة : 1).

- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأختزاننا : 70 - 71).

أما بعد، فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - ﷺ - ،

وشر الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

أما بعد - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «آداب الجوار».

أيها الناس حُسنُ الجوارِ بابٌ من أبوابِ الجنةِ وسوءُهُ بابٌ من أبوابِ النارِ.

وحدُّ الجوارِ - أيها الناس - يزعُجُ إلى العُرفِ فقد يكونُ السَّاكِنُ مَعَكَ في المدينةِ

جارًا كما قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الأختزاننا : 60).

وأخرج البخاريُّ في «الأدبِ المفردِ» بسندٍ حسنٍ حسنه الألبانيُّ في «صحيح

الأدبِ المفردِ»⁽¹⁾ عن الحسنِ أَنَّهُ سُئِلَ عن الجارِ. فقال: «أربعينَ دارًا أمامَهُ، وأربعينَ

خلفَهُ، وأربعينَ عن يمينِهِ، وأربعينَ عن يسارِهِ».

(1) «حسن» أخرجه البخاريُّ في «الأدبِ المفردِ» (109)، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الأدبِ المفردِ» (ص 49).



والجيران - أيها الناس - ثلاثة:

جارٌ له ثلاثة حقوق، وجارٌ له حقان، وجارٌ له حق واحد.

فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق فهو الجار ذو القرى، فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام.

وأما الجار الذي له حقان فجارك المسلم غير القريب، فله حقان حق الإسلام وحق الجوار.

وأما الجار الذي له حق واحد فهو الجار الكافر فله حق واحد حق الجوار فقط. وحق الجار - أيها الناس - لعظيم.

فيكفي أن الله - سبحانه وتعالى - أوصى عباده بالجار.

فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء: 36).

قال ابن سعدٍ رحمه الله : ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ أي: الجار لبقرب الذي له حقان حق الجوار وحق القرابة فله على جاره حق واحسان راجع إلى العرف، وكذلك ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ أي: الذي ليس له قرابة وكلما كان الجار أقرب بابا كان أكد حقا فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقول أو فعل⁽¹⁾.

وأوصى الرسول ﷺ بالجار.

(1) تفسير ابن سعدٍ، (1/177).

— التخصيص من الأشراف بخط ابن أبي عمير —

197

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ».

ومعنى يُوصِينِي بِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ بِالاعْتِنَاءِ بِهِ وَالِاخْتِفَاءِ بِشَأْنِهِ وَعَدَمِ إِهْمَالِهِ أَوْ تَجَاهُلِهِ وَقَوْلُهُ: «حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ». أَيُّ يَجْعَلُ لَهُ مُشَارَكَةً فِي الْمَالِ بِفَرْضِ سَهْمٍ يُعْطَاهُ مَعَ الْأَقَارِبِ.

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي شريح الخزازي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ».

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الْجَارَ الصَّالِحَ مِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحْحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَيِّئُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاءِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ».

فَالْجَارُ الصَّالِحُ - أَيُّهَا النَّاسُ - نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ فَمَنْ رَزَقَ جَارًا صَالِحًا يَجِبُ عَلَيْهِ شُكْرُ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ الشُّكُورَ يَزِيدُ خَيْرًا إِلَى خَيْرٍ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6014)، وَمُسْلِمٌ (2625) وَهِيَ اللَّفْظُ نَفْسُهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (48).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (340/9)، وَصَحْحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (2576).



وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُحْسِنًا لَجَارِهِ.

ففي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لَجَارِهِ».

ومعنى «خَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ» - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ أَكْثَرُهُمْ ثَوَابًا عِنْدَهُ.

ومعنى «خَيْرُهُمْ لَجَارِهِ» أَيُّ أَكْثَرُهُمْ إِحْسَانًا إِلَيْهِ وَلَوْ بِالنَّصِيحَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجْمَلُ بِالْجَارِ أَنْ يُحْسِنَ إِلَى جَارِهِ بِإِصْطِلَاحِ ضُرُوبِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ كَالهَدِيَّةِ وَالسَّلَامِ وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ لِقَائِهِ، وَتَقَدُّدِ حَالِهِ، وَمَعَاوَنَتِهِ فِيمَا أَحْتَاجَ إِلَيْهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَكَفَّ الْأَذَى عَنْهُ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ حِسِّيَّةً كَانَتْ أَوْ مَعْنَوِيَّةً⁽²⁾.

ففي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَانِي: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ. ثُمَّ انظُرْ أَهْلَ بَيْتِ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِيبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ».

ومعنى «أَكْثِرْ مَاءَهُ» - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ زِدْهَا مِنْ الْمَاءِ لِتَكْثُرَ وَتُوزَعَ عَلَى جِيرَانِكَ.

ومعنى «فَأَصِيبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ» أَيُّ أَعْطِهِمْ مِنْهَا شَيْئًا بِوَجْهِ طَلْقٍ سَهْلٍ مُنْبَسِطٍ.

فَالْجَارُ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَشُمُّ رَائِحَةَ الطَّعَامِ فِي بَيْتِ جَارِهِ فَلَا أَفْضَعُ مِنْ مَنَعِ الشَّيْءِ

الْيَسِيرِ، وَهَذَا فَائِدَةٌ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُهْدِيِّ لَجَارِهِ أَنْ يَحْتَقِرَ الْقَلِيلَ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَمَا

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (1944)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (4987).

(2) انظُرْ «الْفَتْحَ» (456/10).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2625).

في سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَلْتَقِ أَخَاهُ بِوَجْهِ طَلْقٍ، وَإِذَا اشْتَرَيْتَ لَحْمًا أَوْ طَبَخْتَ قِدْرًا فَأَكْثِرْ مَرَقَتَهُ وَاعْرِفْ مِنْهُ لِجَارِكَ».

ولا يَنْبَغِي لِلجَارِ أَنْ يَحْتَقِرَ هَدِيَّةَ جَارِهِ وَلَوْ قَلَّتْ فَقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة».

قال النووي رحمه الله: «هذا النهي عن الاحتقار نهي للمُعْطِيَةِ ومعناه لا تمنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها بل تجود بما تيسر وإن كان قليلاً كفرسن شاة وهو خير من العدم، وقد قال الله - سبحانه - وَتَعَلَى - : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ ، وقال النبي ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمر»⁽³⁾.

والجارُ القريب - أيها الناس - أولى بالإحسان ثم الأقرب فالأقرب.

لما في «صحيح البخاري»⁽⁴⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارتين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك باباً».

أيها الناس إنه يحسن بالمسلم أن يتفقد جيرانه فقد يكون جاره مريضاً أو جائعاً أو محتاجاً وهو لا يعلم.

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (1833)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (7634).

(2) رواه البخاري (6017)، ومسلم (1030).

(3) شرح النووي على مسلم (119/7).

(4) رواه البخاري (2259).



فقد أخرج الطبرانيُّ بسندٍ صحيحٍ لغيره قاله الألبانيُّ في «صحيح التَّريغيب»⁽¹⁾ من حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ليسَ المؤمنُ الَّذي يَشْبَعُ وجارُهُ جائِعٌ».

وأخرج البخاريُّ في «الأدبِ المُفردِ» بسندٍ قال عنه الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»⁽²⁾ حَسَنٌ لغيره عن نافعِ عَنِ ابنِ عُمَرَ قال: لَقَدْ أتى علينا زمانٌ أو قال: حينٌ - وما أَحَدٌ أَحَقُّ بِدينارِهِ ودينارِهِ مِن أخيهِ المُسلمِ، ثُمَّ الآنَ الدينارُ والذَّهْمُ أَحَبُّ إلى أَحَدنا من أخيهِ المُسلمِ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقولُ: «كَم مِن جارٍ مُتَعَلِّقٍ بِجارِهِ يومَ القِيامَةِ، يقولُ: يا رَبِّ! هذا أَغلقَ بابَهُ دُوني، فَمَنَعَ مَعروفَهُ!».

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

(1) «صحيح لغيره» أخرجه الطبراني في «الكبير» (154/12)، وصححه الألباني في «صحيح التريغيب» (149).

(2) «حسن لغيره» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وقال الألباني في «الصحيح» (2646) حسن لغيره.

الخطبة الثانية - تحريم أذى الجار :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ المرسلين، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد، تَقَدَّمَ الحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَن «آدَابِ الجَوَارِ» وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَن «تَحْرِيمِ أذى الجار».

أَيُّهَا النَّاسُ أذى الجارِ كَبِيرَةٌ من كَبَائِرِ الذُّنُوبِ.

قَالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ الكَبَائِرِ: «الكَبِيرَةُ الثَّانِيَةُ وَالْحَمْسُونَ أذى الجار».

وَاللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - قَدْ تَكَفَّلَ لِمَنْ اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْهُ الصَّغَائِرَ وَيُدْخِلَهُ الجَنَّةَ

فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النِّسَاءُ : 31).

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَقْسَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفِي الإِيمَانِ - ثَلَاثًا - عَلَى مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ أَيَّ غَوَائِلُهُ وَشَرَّهُ أَوْ ظَلَمَهُ.

فَقَالَ كَمَا فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي شَرِيحٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَاللهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهُ لَا يُؤْمِنُ». قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهُ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

قَالَ العَلَامَةُ ابنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ فِي مَعْنَى بَوَائِقِهِ: «يَعْنِي غَدْرَهُ وَخِيَانَتَهُ وَظَلَمَهُ وَعُدْوَانَهُ، فَالَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ مِنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَإِذَا كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَيُوقِعُهُ فِعْلًا فَهُوَ أَشَدُّ. وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ العُدْوَانِ عَلَى الجَارِ سِوَاءَ أَكَانَ ذَلِكَ

(1) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (6016).



بالقولِ أو بالفِعْلِ أمَّا بالقولِ بَأَن يَسْمَعَ مِنْهُ ما يَزِعْجُهُ وَيُثْلِقُهُ كَالَّذِينَ يَفْتَحُونَ الرَّادِيُو أو التَّلْفِيزِيُونَ أو غَيْرَهُمَا مِمَّا يُسْمَعُ فَيَزِعْجُ الجِرَانَ، فَإِنَّ هَذَا لا يَحِلُّ لَهُ، حَتَّى وَلَوْ فَتَحَهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَهُوَ مِمَّا يُزِعْجُ الجِرَانَ بِصَوْتِهِ فَإِنَّهُ مُعْتَدٍ عَلَيْهِمْ وَلا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، وَأَمَّا بِالْفِعْلِ فَيَكُونُ بِإِلْقَاءِ الكِنَاسَةِ حَوْلَ بَابِهِ، وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِ عِنْدَ مَدَاخِلِ بَابِهِ أو بِالذَّقِّ أو ما أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَضُرُّهُ، وَمِنْ هَذَا - أَيْضًا - إِذَا كَانَ لَهُ نَخْلَةٌ أو شَجَرَةٌ حَوْلَ جِدَارِ جَارِهِ فَكَانَ يَسْقِيهَا حَتَّى يُؤْذِيَ جَارَهُ بِهَذَا السَّقْيِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ بَوَائِقِ الجَارِ فَلا يَحِلُّ لَهُ، إِذْ يُحْرَمُ عَلَى الجَارِ أَنْ يُؤْذِيَ جَارَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ. فَإِنَّ فَعَلَ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَالمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ مَتَّصِفًا بِصِفَاتِ المُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ الَّتِي خَالَفَ بِهَا الحَقَّ»⁽¹⁾.

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارَهُ بِبَوَائِقِهِ».

وَأَذِيَّةُ الجَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَتَفَاوَتُ فبَعْضُهَا أَعْظَمُ مِنْ بَعْضٍ. وَأَعْظَمُ أَذِيَّةٍ تَنَالُ الجَارَ هِيَ أَذِيَّتُهُ فِي أَهْلِهِ وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ. ففِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ وِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لِعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَرْتَبِي حَلِيلَةَ جَارِكَ».

وَمَنْ آذَى جَارَهُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَقَدْ اسْتَحَقَّ لَعْنَةَ النَّاسِ.

(1) شرح كتاب «الكباير» للحافظِ الذَّهَبِيِّ شَرَحَ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ (ص 332).

(2) رواه مُسْلِمٌ (46).

(3) رواه البُخَارِيُّ (4477)، ومُسْلِمٌ (86).

ففي سنن أبي داود بسند حسن صحيح كما قال الألباني في «صحيح الترغيب»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله يشكو جاره. فقال له **صلى الله عليه وسلم**: «اذهَبْ فاصْبِرْ». فاتاه مرتين أو ثلاثا، فقال: «اذهَبْ فاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ». ففعل، فجعل الناس يمرُّون ويسألونه، فيخبرهم خبر جاره، فجعلوا يلعنونه، فعَلَّ اللهُ بِهِ وَفَعَلَ وَبَعْضُهُمْ يَدْعُونَ عَلَيْهِ، فجاء إليه جاره، فقال: ازجِعْ فَإِنَّكَ لَنْ تَرَى مِنْ شَيْئَا تَكْرَهُهُ.

وفي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة تكثُر من صلتها وصدققتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال **صلى الله عليه وسلم**: «هي في النار».

قال: يا رسول الله، فإن فلانة يُذكر من قلة صيامها وصدققتها، وأنها تتصدق بالأنوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في الجنة».

أيها الناس من منّا يحب أن يكون جاره خصمه يوم القيامة.

ففي مسند أحمد بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽³⁾ من حديث عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ». أيها الناس ليس حق الجار بكف الأذى عنه فحسب بل حقه كما يكون بكف الأذى عنه فيكون بالصبر على أذاه.

(1) «حسن صحيح» أخرجه أبو داود (5153)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (2559) حسن صحيح.

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (440/2)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (2560).

(3) «حسن» أخرجه أحمد (151/4)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (2557) حسن.



كما تقدّم في الحديث وفيه قال الرّسول ﷺ للرّجل الذي جاء يشكو اليه جاره: «اذْهَبْ صَابِرًا». قاله ثلاثًا.

وأجر الصّبر على أذية الجار - أيها النّاس - لعظيم. وهو أن يكون الصّابر على أذية الجار ممن يحبّه الله.

ففي مُسنَدِ أحمدَ بسندٍ صحيحٍ صحّحه الألبانُ في «صحيح التّرجيب»⁽¹⁾ عن مطرف بن عبد الله قال: كان يبلّغني عن أبي ذرّ حديثٌ، وكنت أشتهي لقاءه، فلقينته. فقلت: يا أبا ذرّ، كان يبلّغني عنك حديثٌ، وكنت أشتهي لقاءك. قال: لله أبوك قد لقيتيني، فهات، قلت: حديثٌ بلّغني أن رسول الله ﷺ حدّثك قال: «إن الله عزّ وجلّ يحبّ ثلاثةً ويبغض ثلاثةً». قال: فما أخالني أكذب على رسول الله ﷺ، قال: فقلت: فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله - عزّ وجلّ - ؟ قال: رجل غزا في سبيل الله صابرًا محتسبًا، فقاتل حتّى قُتِلَ وأنتم تمهدونه عندكم في كتاب الله - عزّ وجلّ - ثمّ تلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ يُبْنُونَ مَرْصُومًا﴾. قلت: ومن؟ قال: رجلٌ كان له رجلٌ سوءٌ يؤذيه فيصبرُ على أذاه حتّى يكفيه الله إياه بحياةٍ أو موتٍ.

أيها النّاس من بلّغه هذا الحديث عن الصادق المصدوق فمن ان يكون له جارٌ يؤذيه فيصبرَ رجاء أن يكون ممن يحبّه الله - تعالى - .

فعاقة الصّبر الجميل جميلٌ فهذا سهل بن عبد الله التّستري رحمه الله كان له جارٌ ذميٌّ كما ذكر ذلك عنه الذهبي في «الكباير» وكان قد ابتق من كنيفه (أي حمام بيّوه) إلى بيت في دار سهل بنق (والبتق هو اندفاع شيء من البالوعة) فكان سهل يضع كلّ

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (153/5)، وصحّحه الألبان في «صحيح التّرجيب» (2569).

يومِ الجفنة تحت ذلك البتق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف (جاره) المجوسي ويطرحه بالليل حيث لا يراه فمكث رحمه الله على هذه الحال زماناً طويلاً إلى أن حضرت سهلاً الوفاة، فاستدعى جاره المجوسي وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه، فدخل فرأى ذلك البتق والقدر يسقط منه في الجفنة، فقال: ما هذا الذي أرى؟ قال سهل: هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل، ولولا أنه حضرني أجلي، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري لذلك، وإلا لم أخبرك فافعل ما ترى، فقال المجوسي: أيها الشيخ أنت تُعاملني بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفري؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم مات سهل رحمه الله.

فَسَأَلَ اللهُ أَنْ يَهْدِينَا وَإِيَّاكُمْ لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَأَنْ يُحْسِنَ عَاقِبَتَنَا إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَوْفٌ رَحِيمٌ⁽¹⁾.

(1) انظر شرح الكبار، للعلامة ابن عثيمين رحمه الله (ص 332 - 333).



21 الأمانة

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسأة : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاحزاب : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ -

وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْأَمَانَةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الْأَمَانَةُ مِنْ أَعْظَمِ الصِّفَاتِ الْخُلُقِيَّةِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ

بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون : 8، المَعْلُومَاتُ : 32).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَيُّ: إِذَا اتَّيَمُّنُوا لَمْ يُخَوُّنُوا، وَإِذَا عَاهَدُوا لَمْ يَغْدُرُوا وَهَذِهِ

صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، وَضِدُّهَا صِفَاتُ الْمُنَافِقِينَ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ الْأَمَانَةُ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى حِفْظِ الْوَدَائِعِ بَلْ هِيَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ.

— الفصحى من الأشرفي حفظه الله عز وجل — 207 —

قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ (النِّسَاءَ : 58).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «يُخْبِرُ اللَّهُ أَنَّهُ يَأْمُرُ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا... وَهُوَ يَعْمُ جَمِيعَ الْأَمَانَاتِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى عِبَادِهِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالنَّذْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُؤْتَمِّنٌ عَلَيْهِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْعِبَادُ. وَمِنْ حَقُوقِ الْعِبَادِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ كَالْوَدَائِعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتَمِنُونَ بِهِ مِنْ غَيْرِ إِطْلَاعِ بَيْنِهِ عَلَى ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِأَدَائِهَا فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا أَخَذَ مِنْهُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾.

وقال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (الْأَنْفَالُ : 27).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَالْحَيَاةُ تَعْمُ الذُّنُوبَ الصَّغَارَ وَالْكِبَارَ الْأَزْمَةَ وَالْمَتَعَدِّيَّةَ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (وَلَا تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) الْأَمَانَةُ هِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي اتَّيَمَّنَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعِبَادَ - يَعْنِي الْفَرِيضَةَ. يَقُولُ : لَا تَخُونُوا : لَا تَنْقُضُوهَا. وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ : ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾. يَقُولُ : بَتَرِكِ سُنَّتِهِ وَارْتِكَابِ مَعْصِيَتِهِ»⁽²⁾.
أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ رَغَبَ نَبِيُّنَا ﷺ فِي حِفْظِ الْأَمَانَةِ وَحَذَرَ مِنْ إِضَاعَتِهَا فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ فَمِنْهَا :

ما جاء في «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(1) «تفسير ابن كثير» (2/232).

(2) «تفسير ابن كثير» (4/41).

(3) رواه البخاري (59).



يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَّرَهُ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ. قَالَ: «أَيْنَ أَرَاهُ السَّائِلَ عَنِ السَّاعَةِ؟». قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

وَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ بَسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَدُّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مِنْ خَائِكَ».

وَأَخْرَجَ الْخِرَائِطِيُّ فِي «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» بَسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمْ الْأَمَانَةَ وَأَخْرُهَا الصَّلَاةُ».

كَمَا أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ خِيَانَةَ الْأَمَانَةِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتَمَنَ خَانَ».

أَيُّهَا النَّاسُ مَا أَكْثَرَ مِيَادِينَ الْأَمَانَةِ فَسَاقِصْرُ حَدِيثِي مَعَكُمْ فِي هَذِهِ الْعَجَلَةِ عَلَى أَمَانَةِ التَّوْظِيفِ!

أَيُّهَا النَّاسُ الْأَسَاسُ فِي اخْتِيَارِ كُلِّ مَوْظَفٍ أَوْ عَامِلٍ أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا أَمِينًا؛ لِأَنَّهُ بِالْقُوَّةِ يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِالْعَمَلِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ، وَبِالْأَمَانَةِ يُؤَدِّيهِ عَلَى وَجْهِ تَبَرُّأٍ بِهِ ذِمَّتُهُ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (3535)، وَالتِّرْمِذِيُّ (1246)، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (424).

(2) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ الْخِرَائِطِيُّ فِي «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» (ص 28)، وَالضِّيَاءُ فِي «الْمَخْتَارَةِ» (1/495)، وَحَسَنَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (319/4).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (33)، وَمُسْلِمٌ (59).

وقد أخبر الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عن إحدى ابنتي صاحبِ مَدِينِ أَثَافَا قَالَتْ لِإِثَافَا
لَمَّا سَقَى لَهَا مُوسَى ﷺ: ﴿يَتَأْتِي أَسْتَفْجِرُهُ إِذْ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٣٦﴾﴾
(الْقَصَصَاتُ : 26).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ الْعِفْرِيَّتِ مِنَ الْجِنِّ الَّذِي أَبْدَى اسْتِعْدَادَهُ لِسُلَيْمَانَ
ﷺ بِالْإِثَافَانِ بَعْرُشِ بَلْقَيْسَ: ﴿قَالَ عِفْرِيَّتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا أَيْنَكَ بِهِ، قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ
أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ (النَّبَأُ : 39).

والمعنى: أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ الْقُدْرَةِ عَلَى حَمْلِهِ وَإِحْضَارِهِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى مَحْتَوِيَاتِهِ.
وَأخْبَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ يُوسُفَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِلْمَلِكِ: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى
خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴿٥٥﴾﴾ (يُوسُفُ : 55).

والمعنى: أَنَّهُ خَازِنٌ أَمِينٌ ذُو عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ بِمَا يَتَوَلَّاهُ.
وَضِدُّ الْقُوَّةِ وَالْأَمَانَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْعَجْزُ وَالْخِيَانَةُ.

كما في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عمرو بن ميثون قال: قال عمر بن
الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «فَإِنْ أَصَابَتِ الْإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكُ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْ بِأَيُّكُمْ
مَا أَمْرًا، فَإِنِّي لَمْ أُعْزِلْهُ عَنِ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ».

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟

قال: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكَبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3700).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1825).



وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أبا ذرٍّ إني أراك ضعيفًا، وإنِّي أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي، لا تأمرنَّ على اثنين، ولا تولين مال يتيم».

أيها الناس إنه يجملُ بالموظف أن يعامل غيره من الناس بما يحبُّ أن يعامل به. ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْخَرَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مِنِّيَّةٌ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ».

والمعنى - أيها الناس - عاملِ الناسِ بمثلِ ما تحبُّ أن يعاملوك به.

وفي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وقد ذمَّ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مَنْ يُعَامِلُ غَيْرَهُ عَلَى خِلَافِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ.

فَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَبَلِّ لِلْمُطْفِئِينَ ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ

أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ .

وفي «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعَا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1826).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1844).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (13)، وَمُسْلِمٌ (45).

(4) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2408)، وَمُسْلِمٌ (593).

— البصيح من الأثر في حطاب النصارى — 211 —

والشاهد من الحديث - أيها الناس - في قوله ﷺ: «ومنعاً وهات». فإنه دمّ
الجموع المنوع الذي يأخذ ولا يعطي.

وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - أولياء اليتامى بأنهم يخشون على ذرياتهم الصغار
لو تركوهم.

فقال تعالى: ﴿وَلِيَخَشَّ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ
وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ (النساء: 9).

والمعنى - أيها الناس - كما أنهم يحبون أن يُحسنَ إلى ذريتهم الضعاف من بعدهم،
فإن عليهم أن يُحسنوا إلى اليتامى الذين لهم ولاية عليهم.

أيها الناس أنه يجمل بالموظف تقديم الأسبق فالأسبق من أصحاب الحاجات.
فمن العدل والإنصاف - أيها الناس - ألا يؤخر الموظف متقدماً من أصحاب
الحاجات ولو كان بغيضاً أو يقدم متأخراً ولو كان قريباً بل يكون التقديم عنده على
حسب السبق، وفي ذلك راحة للموظف وأصحاب الحاجات، وقد جاء في سنة
الرَسُول ﷺ ما يدل على ذلك.

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بينما النبي ﷺ
في مجلسٍ يُحدِّثُ القومَ، جاءه أعرابيٌّ فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ
يُحدِّثُ، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكبره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع،
حتى إذا قضى حديثه. قال: «أين أراه السائل عن الساعة؟». قال: ها أنا يا رسول
الله، قال: «إذا ضيبت الأمانة فانتظر الساعة»، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد
الامرؤ إلى غير أهله فانتظر الساعة».

(1) رواه البخاري (59).



والشاهد من الحديث - أيها الناس - أن الرسول ﷺ لم يجِب السائل عن الساعة إلا بعد فراغه من تحديث من سبقوه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ويؤخذ منه أخذ الدروس على السبق، وكذلك الفتاوى والحكومات ونحوها»⁽¹⁾.

أيها الناس إنه يجب على كل موظف أن يشغل الوقت المخصص للعمل في العمل الذي أخذ الأجر في مقابلته، وكما أن الإنسان يَرغب في أخذ أجره كاملاً ولا يجب أن ينحس منه شيئاً فعليه أن لا ينحس شيئاً من وقت العمل يصرفه في غير صالح العمل، وقد ذم الله المطففين في المكايل والموازين الذين يستوفون حقوقهم وينحسون حقوق غيرهم فقال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝۱ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝۲ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝۳ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝۴ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝۵ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝۶﴾ (المطففين: 1-6).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

البصريح من الأشرف في خطبة المنبر - 213

الخطبة الثانية - من صفات الموظف :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الْأَمَانَةِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ
عَنْ «شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْمُوظَّفِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُوظَّفٍ أَنْ يَكُونَ عَفِيفًا عَزِيزَ النَّفْسِ غَنِيَّ الْقَلْبِ،
بَعِيدًا عَنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، مِمَّا يُقَدَّمُ لَهُ مِنْ رَشْوَةٍ وَلَوْ سُمِّيَ هَدِيَّةً؛ لِأَنَّهُ إِذَا
أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ أَكَلَهَا بِالْبَاطِلِ.

وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْعُمَّالَ مِنْ أَخْذِ شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ وَلَوْ سُمِّيَ هَدِيَّةً.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي حَمِيدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَعْمَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَسَدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللَّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا
لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،
وَقَالَ: «مَا بَالُ عَامِلٍ أَنْبَعْتُهُ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي! أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ
أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيُّهُدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟»، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا
شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِخَمْلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةٌ لَهَا خُورٌ، أَوْ شَاةٌ
تَيْعَرٌ». ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتِي إِبْطِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ! هَلْ بَلَغْتُ؟ مَرَّتَيْنِ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: «لَأَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7174)، وَمُسْلِمٌ (1822) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3073)، وَمُسْلِمٌ (1831).



على رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمَمَةٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا نُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِبَاحٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفُقُ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ».

وَالرِّقَاعُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي الْحَدِيثِ هِيَ الثِّيَابُ، وَالصَّامِتُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ.

وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي حَمِيدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «هُدَايَا الْعَمَلِ غُلُولٌ».

وَالْغُلُولُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الْخِيَانَةُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَعْمَالِ. وَالْمُرَادُ أَنْ هُدَايَا الْعَمَالِ مِنْ جُمْلَةِ الْغُلُولِ.

قَالَ الْعَبَادُ - حَفِظَهُ اللَّهُ - فِي «شَرْحِهِ لِسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾: «لَا يَجُوزُ لِلْعَمَالِ وَلَا لِلْمُوظَّفِينَ قَبُولَ الْهُدَايَا؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «هُدَايَا الْعَمَالِ غُلُولٌ» يَعْنِي: لَيْسَ لِلْمُوظَّفِ أَنْ يَقْبَلَ هَدِيَّةً سِوَاءَ أَكَانَتْ مِنْ مُوظَّفٍ عِنْدَهُ، أَوْ مِنْ مُرَاجِعٍ مِنَ الْمُرَاجِعِينَ الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنَ الْخَارِجِ لِحَاجَتِهِمْ، فَلَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يُهْدُوا لِلْمُوظَّفِينَ وَلَا يَجُوزُ لِلْمُوظَّفِينَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنَ الْغُلُولِ، كَمَا فِي قِصَّةِ ابْنِ اللَّتْبِيَّةِ الَّذِي جَاءَ

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (23601)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (2622).

(2) «شَرْحُ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» لِلْعَبَادِ (270/5).

— البَيْضِجُ مِنَ الْأَشْرَفِ فِي حِطِّ الْبَرِّ النَّبِيِّ —

215

بِالصَّدَقَاتِ وَقَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَانْكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ لِيَنْظُرَ هَلْ تَأْتِيهِ هَدِيَّةٌ؟». يَعْنِي مَا أُعْطِيَ الْهَدِيَّةَ إِلَّا بِسَبَبِ كَوْنِهِ عَامِلًا.

وَكذلكِ الْمُدْرَسُ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقْبَلَ الْهَدِيَّةَ مِنَ الطُّلَّابِ لِاحْتِمَالِ الْمِيلِ إِلَيْهِ وَمَحَابَاتِهِ بِزِيَادَةِ دَرَجَاتِهِ فَتَكُونُ الْهَدِيَّةُ سَبَبًا فِي ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ إِذَا كَانَ أُهْدَى لَهُ كِتَابًا وَقَبْلَهُ فَإِنَّهُ يُعْطِيهِ كِتَابًا أَحْسَنَ مِنْهُ وَبذلكِ يَزُولُ الْإِشْكَالُ.

أَيْهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمَوْظَفِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي إِيرَادَاتِ الدَّوْلَةِ أَنْ يُوَصِّلُوا الْأَمْوَالَ إِلَيْهَا كَامِلَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ.

لَمَّا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُدِيِّ بْنِ عُمَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَا مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكْتَمْنَا مَخِيْطًا فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُوبًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فَقَوْلُهُ ﷺ: «فَكْتَمْنَا» أَي: أَخْفَى عَنَّا.

وَقَوْلُهُ: «مَخِيْطًا» أَي: إِبْرَةً.

وَقَوْلُهُ: «فَمَا فَوْقَهُ» أَي: فَشَيْئًا يَكُونُ فَوْقَ الْمَخِيْطِ فِي الصَّغَرِ أَوْ الْكِبَرِ.

فَالْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَسُوقٌ لِحَثِّ الْعَمَالِ عَلَى الْأَمَانَةِ وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الْخِيَانَةِ»⁽²⁾.

أَيْهَا النَّاسُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُسَوِّغَ لِنَفْسِهِ أَخْذَ أَمْوَالِ الدَّوْلَةِ بِدَعْوَى أَنَّ الْفَسَادَ مُتَشَبِّهُ وَالرَّشْوَةَ ضَارِبَةٌ أَطْنَابَهَا عِنْدَ الْكِبَارِ فَضْلًا عَنِ الصَّغَارِ فَإِنَّ هَذَا مِنْ مُغَالَطَةٍ

(1) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (1833).

(2) «مِرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ» (74/6).



النَّفْسِ وَمِنْ تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْئُولٌ عَنْ عَمَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ اللَّهِ،
وَكُونُ الدَّوْلَةِ لَا تَعْطِيهِ مَا يَكْفِيهِ فَلَا يُسَوِّغُ لِنَفْسِهِ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ بَلْ عَلَيْهِ
أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ عَمَلٍ آخَرَ يَسُدُّ حَاجَتَهُ وَحَاجَةَ عِيَالِهِ لِأَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَأْذَنْ لِلْمَوْظَفِ
أَنْ يَأْخُذَ زِيَادَةً عَلَى مَا هُوَ مُقَرَّرٌ لَهُ مِنَ الدَّوْلَةِ.

ففي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من
حديث بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَا عَلَى عَمَلٍ فَرَزْنَا لَهُ رِزْقًا
فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ».

اللَّهُمَّ وَفَّقْ كُلَّ مَوْظَفٍ وَعَامِلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَدَاءِ عَمَلِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.
اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ.

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (2943)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (6023).

المنع من الاستبداد بخطبة النبي ﷺ

22 [خَطَرُ الدُّيُونِ]

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شَرِّهِ وَالنَّفْسِ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضَلِّهِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التوبة: 103).

- ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَ مِنْ نَفْسٍ وَنَحْوٍ مِنْهَا رُوحَهَا وَبِكُمْ بِهَا رَحْمَةٌ وَمِنْهَا تَخْشَوْنَ وَاللَّهُ الَّذِي لَسَاءَ لَوْ تَدْرُؤُونَ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبِّمًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الجن: 70 - 71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهادي هادي محمد ﷺ - ﷺ - ،
وشر الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

أما بعد - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «خطر الديون».

أيها الناس الديون مما ابتلي به كثير من الناس وما من أحد إلا وهو مدين.

فمن الناس من يستدين للإتفاقي على عياله وفيما يرضي الله ويأخذ ذلك على نيّة السداد والوفاء فهم داخلون - إن شاء الله - في مثل قول رسول الله ﷺ كما في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّاهَا اللَّهُ عَنْهُ».

(1) رواه البخاري (2387).



ومن النَّاسِ من يأخذُ أموالَ النَّاسِ وليسَ لَهُ نِيَّةٌ في رَدِّهَا فَهُمْ دَاخِلُونَ في مِثْلِ قَوْلِهِ ﷺ كما في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتَلَفَهُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ -».

وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَمْوَالِ الَّذِينَ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَأَعْطَاهُمْ مِنْهُمْ من يُفَرِّجُ كُرْبَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْهُمْ من يَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَغْسِرِينَ وَيُحْسِنُ إِلَى الْمُؤَسِّرِينَ وَمِنْهُمْ من يُشَارِكُ في كَثِيرٍ من طُرُقِ الْحَيْرِ وَهَوْلَاءِ دَاخِلُونَ - إِنْ شَاءَ اللهُ - في مِثْلِ قَوْلِهِ ﷺ كما في «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ نَفَسَ عَن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً من كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً من كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ في عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ»⁽³⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ الَّذِينَ أَمْرُهُ عَظِيمٌ بَلْ عَدَّهُ نَبِيُّنا ﷺ مَخَافَةً.

كما في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدِ حَسَنِ حَسَنَةَ الْأَلْبَانِيِّ في «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ من حديثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُخَيِّفُوا أَنْفُسَكُمْ». أَوْ قَالَ: «الْأَنْفُسُ». فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ بِمَا نُخَيِّفُ أَنْفُسَنَا؟ قَالَ: «الدِّينُ».

وَالدِّينُ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَا يُكْفَرُهُ حَتَّى الشَّهَادَةُ في سَبِيلِ اللهِ كما أَنَّهُ يَمْنَعُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2387).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2699).

(3) انظُرْ كِتَابَ «الدَّرُّ الْمَكْنُونُ في أَحْكَامِ الدِّيُونِ» لِأَخِيْنَا عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى الْحَجُورِيِّ - حَفِظَهُ اللهُ - (ص 5) وَقَدْ اسْتَفْذَتْ مِنْهُ كَثِيرًا في إِعْدَادِ هَذِهِ الْحُطْبَةِ. جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا وَزَادَهُ عِلْمًا وَهَدَى وَصَلَاحًا.

(4) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (4/154)، وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ في «الصَّحِيحَةِ» (2420).

— البصريح من الأشراف بخط ابن كثير — 219 —

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكرهم: «الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله أفضل الأعمال». فقام رجل: يا رسول الله، أرايت إن قتلت في سبيل الله؛ تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: «نعم إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب، مقبل، غير مذير»، ثم قال ﷺ: «كيف قلت؟». قال: أرايت إن قتلت في سبيل الله؛ تكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، وأنت صابر محتسب، مقبل، غير مذير إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك».

وفي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»⁽²⁾ من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو بريء من الكفر والغلول، والدين، ودخل الجنة».

أيها الناس إنه لا بد من القصاص يوم القيامة من المظالم ومنها الديون.

ففي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خلص المؤمنون من النار حُسبوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أُذن لهم في دخول الجنة».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون من المفلس؟». قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، فيأتي وقد شتم هذا،

(1) رواه مسلم (1885).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (1572)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (2412).

(3) رواه البخاري (2440).

(4) رواه مسلم (2581).



وَقَدَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَتُؤَدَّنَ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءِ».

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»⁽²⁾ عن ميمون الكُرْدِيِّ عن أبيه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ لَا مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثَ حَتَّى بَلَغَ عَشْرَ مَرَارٍ: «أَيُّمَا رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً بِمَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ مِنَ الْمَهْرِ لَيْسَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهَا حَقَّهَا خَدَعَهَا فَمَاتَ وَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْهَا حَقَّهَا؛ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ زَانٍ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَدَانَ دَيْنًا لَا يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى صَاحِبِهِ حَقَّهُ خَدَعَهُ حَتَّى أَخَذَ مَالَهُ، فَمَاتَ وَلَمْ يُؤَدِّهِ؛ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ سَارِقٌ».

أَيُّهَا النَّاسُ أَلَّا مَا أَثْقَلَ الدُّيُونَ فَلَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ يُثْقَلَ كَاهِلُهُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ فَكَمْ مِنْ تَاجِرٍ ضَاعَفَ دَخْلَهُ بِالدُّيُونَ وَعِنْدَهُ مَا يَكْفِيهِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكِرَةً لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّيُونَ قَدْ تَقَوَّدُوا إِلَى مَسَاوِيءِ الْأَخْلَاقِ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَثِيرًا مَا يَسْتَعِينُ بِاللَّهِ مِنَ الدَّيْنِ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2582).

(2) «صحيح» أخرج الطبراني في الأوسط (1851)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (167/2).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2408)، وَمُسْلِمٌ (593).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْتَمِ وَالْمَغْرَمِ». فَقَالَ قَائِلٌ لَهُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِينُ يَا رَسُولَ اللهِ مِنَ الْمَغْرَمِ؟ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ؛ حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «قال المهلب: يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ سَدُّ الذَّرَائِعِ؛ لِأَنَّهُ اسْتَعَاذَ مِنَ الدَّيْنِ، لِأَنَّهُ فِي الْغَالِبِ ذَرِيعَةٌ إِلَى الْكَذِبِ فِي الْحَدِيثِ، وَالْخَلْفِ فِي الْوَعْدِ مَعَ مَالِصَاحِبِ الدَّيْنِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَقَالِ»⁽²⁾.

وفي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أخدمُ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا نَزَلَ فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ اهِمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلْبَةِ الرِّجَالِ».

وَالضَّلَعُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ: الثَّقُلُ أَي يُثْقَلُهُ حَتَّى يَمِيلَ صَاحِبُهُ عَنِ الْاِسْتِوَاءِ وَالِاعْتِدَالِ، وَغَلْبَةُ الرِّجَالِ أَي شِدَّةُ تَسْلُطِهِمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ اعْلَمُوا أَنَّ تَرَكَ النَّبِيَّ الصَّلَاةَ عَلَى صَاحِبِ الدَّيْنِ كَانَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ تَمُّ نُسُخَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ

ففي «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمَتَوَفَّى عَلَيْهِ الدَّيْنُ، فَيَسْأَلُ: «هَلْ تَرَكَ لِدِينِهِ فَضْلًا؟» فَإِنْ حَدَّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدِينِهِ. وَإِلَّا قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الْفَتْوحَ،

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2397)، وَمُسْلِمٌ (589).

(2) «الفتح» (77/5).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2893).

(4) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2298)، وَمُسْلِمٌ (1619).



قَالَ: «أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوِّفِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دِينًا فَعَلَى قَصَارِهِ، وَمَنْ تَرَكَ مَا لَا فَلَورَثِيهِ».

قال القرطبي رحمه الله في «المفهم»: «سؤال النبي ﷺ عن الميت هل عليه دينٌ أولاً، وامتناعه من الصلاة على من عليه دينٌ، ولم يترك وفاة إشعاراً بصعوبة أمر الدين وأنه لا ينبغي أن يتحمّله الإنسان إلا من ضرورة وأنه إذا أخذه لا ينبغي أن يتراخى في أدائه إذا تمكن منه وذلك لما قدمنا من أن الدين شينٌ، الدين همٌ بالليل ومدلّة بالنهار، وإخافة للنفوس بل وإزقاق لها»⁽¹⁾.

وقد كان هذا من النبي ليرتدع من يتساهل في أخذ الدين حتى تتشوش أوقائهم عند المطالبة، وكان هذا في أول الإسلام.

أيها الناس إنه لا بد من كتابة الدين والإشهاد عليه فلا يدري أحدنا ما يعرض له.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مَسْلُومٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ، يَبِيْتُ لِبَيْتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ حِنْدُهُ». وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «المفهم» (574/4).

(2) رواه مسلم (1627).

الخطبة الثانية - فضل إنظار المعسر:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «خَطَرِ الدُّيُونِ» وَالْآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنْ «فَضْلِ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ».

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْ آيَاتُ وَأَحَادِيثُ فِي فَضْلِ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ مَا يَمَلَأُ الصَّدْرَ
وَالنَّحْرَ فَمِنْهَا:

قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُتُقَةٍ فَانظُرْهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ (البقرة : 280).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : «يَأْمُرُ تَعَالَى بِالصَّبْرِ عَلَى الْمُعْسِرِ الَّذِي لَا يَجِدُ وَفَاءً قَالَ: ثُمَّ
يُنْدُبُ إِلَى الْوَضْعِ عَنْهُ، وَيَعِدُّهُ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ، فَقَالَ: «وَأَنْ تَصَدَّقُوا
خَيْرٌ لَكُمْ» أَي: وَأَنْ تَتْرُكُوا رَأْسَ الْمَالِ بِالْكُلِّيَّةِ وَتَضَعُوهُ عَلَى الْمَدِينِ»^(١).

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن أبي قتادة، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيماً
لَهُ فَتَوَارَى عَنْهُ، ثُمَّ وَجَدَهُ فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: اللَّهُ اللَّهُ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ فَلْيُنْفَسْ عَنِ مُعْسِرٍ، أَوْ
يَضَعُ عَنْهُ».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي اليسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ».

(1) «تفسير ابن كثير» (1/717).

(2) رواه مسلم (1563).

(3) رواه مسلم (3006).



وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَاهُ صَدَقَةٌ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَاتَ رَجُلٌ، فَقِيلَ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَبَايُعُ النَّاسَ فَأَتَجَوَّزُ عَنِ الْمُوسِرِ، وَأُخَفِّفُ عَنِ الْمُعْسِرِ، فَغُفِرَ لَهُ».

وفي رِوَايَةٍ: «فَادْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ»⁽³⁾.

وفي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يَوْجَدْ لَهُ مِنْ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ».

(1) «صَحِيحٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (2/359)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (6106).

وَقَالَ شَيْخُنَا الْوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (3932) هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2391)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (1560).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3451).

(4) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1561).

(5) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2078)، وَمُسْلِمٌ (1562).

— البصريح من الأشراف في حطبة النبي ﷺ — 225 —

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكُرْكُمْ بِمَا جَاءَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُكَاتَبَتِي فَأَعِنِّي، قَالَ: أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ خَيْبَرَ دِينًا، آذَاهُ اللَّهُ عَنْكَ». قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ».

نَسَأَلُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنْ يُوفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَأَنْ يُغْنِيَنَا وَإِيَّاكُمْ بِالْحَلَالِ عَنِ الْحَرَامِ.

اللَّهُمَّ اغْنِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ.

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3563)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (2625).



عِزَّةُ النَّفْسِ

23

الْخُطْبَةُ الْأُولَى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْاِحْتِزَابِيُّ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْاِحْتِزَابِيُّ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «عِزَّةِ النَّفْسِ».

أَيُّهَا النَّاسُ عِزَّةُ النَّفْسِ تَعْنِي الِارْتِفَاعَ عَنِ مَوَاضِعِ الْمَهَانَةِ، وَيُقَابِلُهَا الضَّعْفُ وَهِيَ أَنْجِدَارُ النَّفْسِ فِي الْمَهَانَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ عَزِيزُ النَّفْسِ لَا يُرِيقُ مَاءً وَجْهِهِ، وَلَا يَبْدُلُ عِرْضَهُ فِيمَا يُدْنَسُهُ، فَيَبْقَى مَوْفُورَ الْكَرَامَةِ، مُرْتَاحَ الضَّمِيرِ، مَرْفُوعَ الرَّأْسِ، شَامِخَ الْعِرْزَيْنِ لَا يَسِيرُ إِلَّا وَفَوْقَ مَا يُمْلِيهِ عَلَيْهِ إِيْمَانُهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ رَبَّأَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ بِرِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - عَلَى خُلُقِ الْعِزَّةِ.

— البَيْضُحُ مِنَ الْأَشْرَفِ بِحَبْلِ الْإِيمَانِ — 227 —

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَذْكُرُ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا الْمُنْفِقَةُ وَالسُّفْلَى السَّائِلَةُ».

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟». وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةِ فُكُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟». فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟». قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَعَلَامَ تُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَاةَ الْحَقْمَسِ، وَتُطِيعُوا (وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً) وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا. فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلَادِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوَاطِئَ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ».

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ فِي شَرْحِهِ لِلْحَدِيثِ: «هَذَا حَمَلٌ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَتَعْظِيمِ الصَّبْرِ عَلَى مَضَضِ الْحَاجَاتِ وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنِ النَّاسِ وَعِزَّةِ النَّفْسِ»⁽³⁾.
وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ عَلَى الْمَشْيِ فِي مَنَاكِبِ الْأَرْضِ لِثَلَا تَصَدَّعَ قَنَاةُ الْعِزَّةِ بِسُؤَالِ النَّاسِ.

ففي «صحيح البخاري»⁽⁴⁾ من حديث الزبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكْفَى اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1429)، وَمُسْلِمٌ (1033) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1043).

(3) «دَلِيلُ الصَّالِحِينَ» (418/4).

(4) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1471)، وَأَخْرَجَهُ بَنُخُوهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (1042).



كما نهى النبي ﷺ عما يدسُّ النفوسَ ويُنزِهاها إلى حَضِيضِ الدَّرَكَاتِ فلم يُبَحِّحْ سؤالَ الناسِ إلا عندَ ضُرُورَةٍ حَرَجَةٍ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث قُبَيْصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَحَمَّلْتُ حِمَالَةَ (أَي دِيَةً أَوْ غَرَامَةً) فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيهَا فَقَالَ: «أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَا الصَّدَقَةَ فَتَأْمُرَ لَكَ بِهَا». قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَا قُبَيْصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً: رَجُلٌ تَحْمَلُ حِمَالَةَ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيهَا ثُمَّ بِنَفْسِكَ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَا حَتَّ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ (أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ) وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ (أَي مِنْ أَصْحَابِ الْعُقُولِ): لَقَدْ أَصَابَتْ فَلَانَ فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ (أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ) فَمَا سِوَاهُنَّ يَا قُبَيْصَةُ سُخْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُخْتًا».

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ حَدَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ سِوَالِ النَّاسِ وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ مِنْ يَسْأَلِ النَّاسَ وَعِنْدَهُ قَدْرٌ مَا يُغَدِّيهِ وَيُعَشِّيهِ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ نَارًا.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ أَحْنُظَلِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْبِرُ مِنَ النَّارِ».

قَالَ النَّقِيُّ وَهُوَ أَحَدُ زُوَايِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: وَمَا الْغِنَى الَّذِي لَا يَنْبَغِي مَعَهُ الْمَسْأَلَةُ؟ قَالَ: «قَلْبٌ مَا يُغَدِّيهِ وَيُعَشِّيهِ».

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ مَنَّا يَرْضَى لِنَفْسِهِ أَوْ لِأَهْلِيهِ أَوْ لِأَوْلَادِهِ أَوْ لِمَنْ يُعَزُّ عَلَيْهِ هَوَانُهُ وَذَلَّتُهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَى وَجْهِهِ مُزْعَةٌ حَمٍّ.

(1) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (1044).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (180/4) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (6280).

— الصحيح من الأشراف بخط ابن كثير —

229

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ لَحْمٍ».

أَيُّهَا النَّاسُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَمِنَ الْجَنَّةَ لِمَنْ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي

«صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَكْفَلَّ - أَيْ ضَمِنَ - لِي الْأَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا، وَاتَّكْفَلَّ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟».

فَقَالَ ثُوبَانُ: أَنَا. فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا.

فَهَذَا الْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - قَدْ جَمَعَ بَيْنَ عِزِّ الدُّنْيَا وَشَرَفِ الْآخِرَةِ

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ جَاءَهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ وَهُوَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا مَتَطَّلِعٍ وَلَا سَائِلٍ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَمَا لَا يَكُونُ كَذَلِكَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَتَّبِعَهُ نَفْسُهُ.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مِنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ: «خُذْهُ، إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ - وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ - فَخُذْهُ، وَمَا لَا فَلا تَتَّبِعُهُ نَفْسُكَ».

وَالِإِشْرَافُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ التَّعَرُّضُ لِلشَّيْءِ وَالْحِرْصُ عَلَيْهِ، وَيَكُونُ بِالْقَلْبِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ وَقَالَ: هُوَ أَنْ يَقُولَ مَعَ نَفْسِهِ يَبْعَثُ إِلَيَّ فُلَانٌ بِكَذَا!

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1474)، وَمُسْلِمٌ (1040).

(2) «صحيح» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (276/5)، وَأَبُو دَاوُدَ (1643)، وَالنَّسَائِيُّ (2591)، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صحيح الجامع» (6603، 6604).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1473)، وَمُسْلِمٌ (1045).



أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ كَانَ الْعُلَمَاءُ فِيهَا مَضَى يُلْقَنُونَ طُلَّابَهُمْ حِفْظَ قَصِيدَةِ الْجُرْجَانِيِّ عَلِيِّ
 بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي عِزَّةِ النَّفْسِ وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَبَّقَتْ بِشَهْرَتِهَا الْآفَاقَ وَلَا بُدَّ أَنْ أُلْقِيَهَا
 عَلَى مَسَامِعِكُمْ لِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ مَعَانٍ سَامِيَةٍ وَأَخْلَاقٍ رَائِدَةٍ.

- يقولون لي: فيك انقباض وانما ○●○ رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
 أرى الناس من دانا هم هان عندهم ○●○ ومن أكرمتهم عزة النفس أكرما
 ولم أقض حق العلم إن كنت كلكما ○●○ بدا مطمع صيرته لي سلما
 وما زلت منحازا بعرضي جانبا ○●○ عن الذل اعتد الصيانة مغنما
 إذا قيل: هذا منهل قلت: قد أرى ○●○ ولكن نفس الحر تحتمل الظما
 أنزها عن بعض ما لا يشينها ○●○ مخافة أقوال العدا: فيم أو ليا؟
 فأصبح عن عيب اللئيم مسلما ○●○ وقد رخت في نفس الكريم معظما
 وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبت ○●○ أقلب كفي إثره متندا
 ولكنة إن جاء عفوا قبلته ○●○ وإن مال لم أتبعه: هلا وليتما
 وأقبض حظوي في حظوظ كثيرة ○●○ إذا لم أنلها وإفر العرض مكرما
 وأكرم نفسي أن أضاحك عابسا ○●○ وأن أتلقى بالمديح مذما
 وكم طالب رقى بنعماء لم يصل ○●○ إليه، وإن كان الرئيس المعظما
 وكم نعمة كانت على الحر نعمة ○●○ وكم مغنم يعتده الحر مغرما
 ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ○●○ لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
 أفشقى به غرسا وأجنيه ذلة؟ ○●○ إذا فاتباع الجهل قد كان أخزما
 وإني لراض عن فتى متعفف ○●○ يروح ويقدو ليس يملك دزما
 يبيت يراعي النجم من سوء حاله ○●○ ويصبح طلقا ضاحكا متبسا

- ولا يسأل الثرين ما باكفهم ○●○ ولو مات جوعاً عفاً وتكرماً
 فإن قلت زئد العلم كاب، فإنما ○●○ كباجين لم نخرس حماه وأظلمما
 ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ○●○ ولو عظموه في النفوس لعظما
 ولكن أهائوه فهائوا ودنسوا ○●○ محياه بالأطماع حتى تجهما
 وما كل بزق لاح لي يستفزني ○●○ ولا كل من لا قيت أرضاه منعمما
 ولكن إذا ما أضطرني الضر لم أبت ○●○ أقلب فكري منجدا ثم منهما
 إلى أن أرى مالا أغص بذكره ○●○ إذا قلت: قد أسدى إلي وأنعم⁽¹⁾

وأستغفر الله.

(1) أدب الدنيا والدين (83)، و«البداية والنهاية» (355/11)، وخاص الخاص (228، 229).



الخطبة الثانية - الاستغناء عن الناس :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «عِزَّةِ النَّفْسِ» وَالآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنِ «الاستغناء عن الناس».

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ وَارْتَفَعَتْ نَفْسُهُ لَنْ يَأْكُلَ شَيْئًا إِلَّا مِنْ عَرَقِ جَبِينِهِ وَمَنْ
كَسِبَهُ وَمَنْ هَانَتْ نَفْسُهُ عَلَيْهِ فَمِنْ أَوْسَاخِ النَّاسِ مَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث عبد المطلب بن ربيعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّمَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ
وَلَا لِأَلِ مُحَمَّدٍ».

وعلى هذا المنوال من العزّة سار الصحابة الكرام بسيرة نبيهم ﷺ.

فقد أخرج مالك في الموطأ بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح
الترغيب»⁽²⁾ من حديث أسلم قال: قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْقَمَ: أَذُلُّنِي عَلَى بَعِيرٍ مِنَ
الْعَطَايَا أَسْتَحْمِلَ عَلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قُلْتُ: نَعَمْ جَمَلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْقَمَ: أَتُحِبُّ لَوْ أَنَّ رَجُلًا بَادِنَا فِي يَوْمٍ حَارًّا غَسَلَ مَا تَحْتَ
إِزَارِهِ وَرَفَعِيهِ ثُمَّ أَعْطَاكَ فَشَرِبْتَهُ.

قَالَ: فَغَضِبْتُ وَقُلْتُ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ لِمَ تَقُولُ مِثْلَ هَذَا لِي؟

(1) رواه مسلم (1072).

(2) «صحيح» الموطأ (2/1001) الحديث (15)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (1/198).

— البصيح من الأشرفي جليل الدين — 233 —

قال: إنها الصدقة أوساخ الناس يغسلونها عنهم.
أيها الناس هنا مدرسة محمد رسول الله ﷺ.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث حكيم بن حزام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذها بسخاوة نفس بُورِكَ لَهُ فِيهِ، ومن أخذها بإشراف نفس لم يُبَارَك لَهُ فِيهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ. اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى».

قال حكيمٌ: فقلتُ: يا رسول الله، والذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرِزُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا (أَيُّ لَا أَسْأَلُهُ مِنْ مَالِهِ) حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا.

فكان أبو بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ. ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا. فقال عُمَرُ: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيا بى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيمٌ أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى تُوفِّي.

أيها الناس الرزق مقسومٌ والقدر محسومٌ فطوبى لمن أنزل حاجته بالغني الحميد.

ففي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدِّ فَاقَتَهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ بِالْغِنَى، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ أَوْ غِنَى عَاجِلٍ».

قال العبادُ - حفظه الله - : «قوله: «وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ بِالْغِنَى، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ» أَي: بَأَنْ يَمُوتَ لَهُ قَرِيبٌ لَهُ عِنْدَهُ مَالٌ فَيَرْتَهُ، فَيَصِيرَ إِلَيْهِ الْمَالُ مِنْ جِهَةٍ

(1) رواه البخاري (1429)، ومسلم (1033).

(2) صحيح، أخرجه أبو داود (1645)، وصححه الألباني في «الصحيح» (2787).



لم يفكر فيها، ولم تقع له على بال بل ساقه الله إليه من حيث لم يحتسب، «أو يغني عاجل» أي: بأن يبيء الله له الخير، ويبيء له الأسباب التي توصله إلى الغنى فيحصل على الغنى⁽¹⁾.

أيها الناس ألا ما أجمل القناعة ففي التمسك بها صيانة النفس.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه».

أيها الناس إذا استغنى الناس بالناس فاستغنوا أنتم بالله فمن استغنى بالله عن الناس أغناه الله.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده، فقال: «ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنيه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر».

وفي «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس».

قال السيوطي رحمه الله: «قوله: «ولكن الغنى غنى النفس» أي الغنى المحمود العظيم النافع شبع النفس وقلة حرصها»⁽⁵⁾.

(1) «شرح سنن أبي داود» للعباد - حفظه الله - (74/9).

(2) زواه مسلم (1054).

(3) زواه البخاري (1469)، ومسلم (1053).

(4) زواه البخاري (6446)، ومسلم (1051).

(5) «الديباج على مسلم» للسيوطي (130/2).

— الصحيح من الأشراف في خطبنا العزيم —

235

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكُرْكُمْ بِوَصِيَّةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فقد أخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فقال: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس».

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعِغْنَى⁽²⁾.

(1) «حسن» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (4/306)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (73).

(2) جاء ذلك في «صحيح مسلم» (2721) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعِغْنَى».



مِنْ صِفَاتِ الْمُرَأَةِ الْمُسْلِمَةِ (1)

24

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّحِيَّاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَخْتَارُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «صِفَاتِ الْمُرَأَةِ الْمُسْلِمَةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كَانَ حَدِيثُنَا تَسْمَعُهُ الْمُرَأَةُ حَيْثُ كَانَتْ فَتَقُولُ لَهَا: «إِيَّاكَ أَغْنِي
وَاسْمِعِي يَا جَارَةٌ» وَإِنْ كَانَتْ لَا تَسْمَعُ فَهَذَا الْأَبُ وَهَذَا الْأَخُ وَهَذَا الزَّوْجُ وَهَذَا الْإِبْنُ
فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ.

(1) استفتت في إعداد هذه الخطبة من كتاب «صِفَاتِ الْمُرَأَةِ الْمُسْلِمَةِ» لِأُمِّ أَسَامَةَ بِنْتِ عَلِيٍّ الْعَبَّاسِيَّةِ

– الفصحى من الأشراف بخط ابن كثير –

237

وقد قال رسول الله ﷺ كما في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «بلغوا عني ولو آية».

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليبلغ الشاهد الغائب».

فمن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - أن تكون سالحة

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾
(النِّسَاءُ : 34).

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاعٌ، وخيرُ متاعِ الدنيا، المرأةُ الصالحة».

ومن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - أن تكون مخلصَةً وصادقةً مع الله.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٣١﴾﴾ (الْإِنشَاءُ : 29).

وفي «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأةٍ ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

(1) رواه البخاري (3461).

(2) رواه البخاري (7447)، ومسلم (1679).

(3) رواه مسلم (1467).

(4) رواه البخاري (1)، ومسلم (1907).



وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَأَنْ تَسْتَحْضِرَ ذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ وَكُلِّ نَازِلَةٍ حَتَّى الشُّوْكَةَ تُصَيِّبُهَا.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ قُلْ لَنْ يُؤْبَسَ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ (التَّوْبَةُ : ٥١).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (التَّعْوِيلُ : ١١).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدْرِ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ».

وَالْعَجْزُ وَالْكَيْسُ - أَيُّهَا النَّاسُ - ضِدَّانِ؛ فَنَشَاطُ النَّشِيطِ وَكَسَلُ الْكَسُولِ وَعَجْزُهُ كُلُّ ذَلِكَ بِقَدْرِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْعَاجِزَ قَدْ قَدَّرَ عَجْزُهُ وَالْكَيْسَ قَدْ قَدَّرَ كَيْسُهُ»^(٢).

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ تَالِيَةً لِكِتَابِ اللَّهِ.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَأَذْكُرْتِ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (الْأَنْجُرَانِيُّ : 34).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ حَرِيصَةً عَلَى طَلَبِ

الْعِلْمِ النَّافِعِ.

(1) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2655).

(2) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (205/16).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7529)، وَمُسْلِمٌ (815).

— الصحيح من الأشرف في حطاب النبي ﷺ — 239 —

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ (المجادلة : ١١).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَقَدْ رَبَّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ (طه : ١١٤).

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»^(١) : «قَوْلُهُ: ﴿زِدْنِي عِلْمًا﴾. وَاضِحُ الدَّلَالَةِ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - لَمْ يَأْمُرْ نَبِيَّهُ ﷺ بِطَلَبِ الْإِزْدِيَادِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنَ الْعِلْمِ، وَالْمُرَادُ بِالْعِلْمِ الشَّرْعِيُّ الَّذِي يُفِيدُ مَعْرِفَةَ مَا يَجِبُ عَلَى الْمَكْلُوفِ مِنْ أَمْرِ عِبَادَتِهِ وَمُعَامَلَاتِهِ، وَالْعِلْمِ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِهِ، وَتَنْزِيهِهِ عَنِ النَّقَائِصِ، وَمَدَارُ ذَلِكَ عَلَى التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمُرَاةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ مَحَافِظَةً عَلَى صَلَاتِهَا.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ ﴿٩﴾﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ (المؤمنون : ٩-١١).

وَمِنْ صِفَاتِ الْمُرَاةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ مَحَافِظَةً عَلَى آدَاءِ زَكَاةِ مَا لَهَا.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (الاحزاب : ٣٣).

وَمِنْ صِفَاتِ الْمُرَاةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْمَحَافِظَةُ عَلَى الْأَذْكَارِ.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ (الاحزاب : ٣٥).

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ». قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ».

(١) «فَتْحُ الْبَارِي»، (١/١٨٧).



وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِكْرَامُ الضَّيْفِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يَوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يَوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَضْمُتْ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَضْمُ» أَوْ «يُضِيفُ هَذَا؟»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتٌ صِيبَانِي. فَقَالَ: هَيْبِي طَعَامَكَ وَأَضِجِي سِرَاجَكَ وَنَوِّمِي صِيبَانِكَ إِذَا أَرَادُوا عِشَاءً. فَهَيْئَاتُ طَعَامِهَا وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا وَنَوِّمَتْ صِيبَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِئِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ عَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ» أَوْ «عَجَبًا فَعَالِكُمَا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الْمَائِدَةُ: 9).

أَيُّهَا النَّاسُ لَعَلَّكُمْ تُحِبُّونَ أَنْ تَعْرِفُوا مِنَ الصَّحَابِيِّ وَمَنْ الصَّحَابِيَّةُ اللَّذَانِ أُعْجِبَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - مِنْ فِعَالِهِمَا فَالصَّحَابِيُّ هُوَ أَبُو طَلْحَةَ وَالصَّحَابِيَّةُ هِيَ أُمُّ سَلِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - طَاعَتُهَا لِرَوْجِهَا.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَالْصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِنَفْسِهِنَّ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

(النِّسَاءُ: 34).

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6136)، وَمُسْلِمٌ (47).

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3798)، وَمُسْلِمٌ (2054).

— الصحيح من الأثر في حُضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ — 241 —

قال الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قَتَيْتُكَ**»، يَعْنِي: مُطِيعَاتُ اللَّهِ وَلَا زَوْاجِيَهِنَّ⁽¹⁾.
وأَخْرَجَ ابنُ جِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيحِ
الجامع»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ
الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ
أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ». وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «تفسير الطَّبْرِيِّ» (6/691).

(2) «صحيح» أَخْرَجَهُ ابنُ جِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ (4163)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيحِ الجامع» (660).



الخطبة الثانية - من صفات المرأة المسلمة :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ المرسلين، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد - أيها الناس - ما زال الحديث معكم عن «صفات المرأة المسلمة».

أيها الناس الحديث عن صفات المرأة المسلمة ذو شجون؛ لأنّها قلب الأسرة تصلح الأسرة بصلاحها ويفسدها تفسد.

فمن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - حسن الخلق.

ففي مُسنَد أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ».

ومن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - حفظ لسانها عن الكلام في الآخرين.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

مَيْتًا فَكِرْهُمُوهُ وَأَنْفُوا اللهُ إِنَّ اللهُ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾﴾ (المحذرات : 12).

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ

قَالَ: «المُسْلِمُ من سَلِمَ المسلمون من لِسَانِهِ وَيَدِهِ والمهاجرُ من هَجَرَ ما نهى اللهُ عَنْهُ».

ومن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - حفظ لسانها وأن لا تكون لعانة

ولا شامة.

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (2/250، 472)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (1232).

(2) رواه البخاري (10)، ومسلم (40).

— البصيح من الأشراف في بطن الألبان — 243 —

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرِ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ! تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»، فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتُكْفِرْنَ الْعَشِيرَ»

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ مَعْلَمَةً وَاعِظَةً.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ (التَّوْبَةِ: 71).

وفي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «الإرواء»⁽³⁾ من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مُرْنَا أَزْوَاجَكُنَّ أَنْ يَسْتَطِيبُوا بِالْمَاءِ فَإِنِّي اسْتَحْيَيْتُهُمْ فَإِن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَفْعَلُهُ».

ومعنى قولها «يَسْتَطِيبُوا بِالْمَاءِ» أَي يَغْسِلُوا عَنْهُمْ أَثَرَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ.

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - السُّؤَالُ عَنْ أُمُورِ دِينِهَا وَأَنْ لَا تَشْغَلَ نَفْسَهَا بِالسُّؤَالِ عَنِ الْمَوْضَآتِ.

ففي «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عُدْبًا».

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (304)، وَمُسْلِمٌ (80).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2598).

(3) «صحيح» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (19)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (42).

(4) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (103)، وَمُسْلِمٌ (2876).



قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَوْ لَيْسَ يَقُولُ اللهُ - تَعَالَى - : ﴿تَسَوَّفُ بِحَسَابٍ حَسَابًا بَيْرًا﴾؟
قالت: فقال: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ وَلَكِنْ مَنْ نُوقِسَ الْحِسَابَ مِثْلَكَ».

فدَلَّ الْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا قَالَ الْحَافِظُ: «مَا كَانَ عِنْدَ عَائِشَةَ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى تَفْهَمِ مَعَانِي الْحَدِيثِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَتَضَجَّرُ مِنَ الْمُرَاجَعَةِ فِي الْعِلْمِ».

بَلْ إِنْ نَسَاءَ الصَّحَابَةِ كُنَّ يَسْأَلْنَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ دَقَائِقِ الْأُمُورِ فَضْلًا عَنْ جَلِيلِهَا.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: جَاءَتْ أُمُّ سَلِيمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحِي مِنْ الْحَقِّ فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ». فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تَعْنِي: وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، تَرَبَّتْ يَمِينُكَ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - سُرْعَةُ الْاسْتِجَابَةِ لِأَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ.

ففي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: يَرْحَمُ اللهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأَوَّلِ، لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُفْرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾. شَقَقْنَ مَرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: «قَوْلُهَا فَاخْتَمَرْنَ، أَي: عَطَيْنَ وَجُوهَهُنَّ»⁽³⁾.

قال الشَّنَقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «هَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ صَرِيحٌ فِي أَنَّ النِّسَاءَ الصَّحَابِيَّاتِ الْمَذْكُورَاتِ فِيهِ فَهَمْنَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُفْرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾. يَقْتَضِي

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (130)، وَمُسْلِمٌ (313).

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (4758)، (4759).

(3) «الْفَتْحُ» (490/8).

— الصحيح من الأشرف في حجب البنات — 245 —

سَتَرَ وَجُوهَهُنَّ وَأَتَهُنَّ شَقَقْنَ أَرْزُهُنَّ، فَاخْتَمَرْنَ، أَي: سَتَرْنَ وَجُوهَهُنَّ بِهَا امْتِثَالًا لِأَمْرِ
اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُوهِهِنَّ﴾. المقتضى سَتَرَ وَجُوهَهُنَّ⁽¹⁾.

وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» بسند حسن لغيره من حديث صفيّة بنت
شيبه قالت: بينما نحن عند عائشة رضي الله عنها قالت: وذكرت قريش وفضلهن،
فقلت: إن لنساء قريش لفضلاً، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشدَّ
تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ
جُوهِهِنَّ﴾. انقلب رجاهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل إليهن فيها، ويتلو الرجل على
امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابته ما منهن امرأة إلا قامت إلى مزطها المرحل
فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه فأصبحن يصلين وراء رسول الله
الصبح معتجرات كأن على رؤسهن الغربان⁽²⁾.

ومعنى «معتجرات» - أيها الناس - أي محتمرات كما تقدم في «صحيح البخاري».

أيها الناس ألا ما أشد سرعة استجابة نساء الصحابة لأمر الله وأمر رسول
الله ﷺ.

ألا ما أشد حرص الصحابة على تعليم أهلهم العلم.
دل على ذلك قول عائشة رضي الله عنها: انقلب رجاهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل
إليهن فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابته!
ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً.

(1) «أضواء البيان» (594/6).

(2) «حسن لغته» أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (2575/8)، وفي سنده: مسلم بن خالد الزنجي،
لكنه متابع، تابعه داود بن عبد الرحمن، ومعمّر، وإبراهيم بن مهاجر بنحوه مختصراً، وأصل الحديث
في البخاري (4759) بإفادة «حجاب المرأة» (ص 43) للزنجي.



من آداب النوم

25

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْقَبَاتِ : 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءِ : 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامِ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «آدَابِ النَّوْمِ».

أَيُّهَا النَّاسُ النَّوْمُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاءُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ

فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الرُّؤْيَا : 23).

وَآيَاتُهُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هِيَ حُجَجُهُ وَبِرَاهِينُهُ الدَّالَّةُ عَلَى قَدَرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ (١).

(1) انظر «أيسر التفاسير» للجزائري (4/169).

— البصيح من الأشرف في خطبنا النبوية — 247 —

ومن دلائل هذه القدرة أن جعل الله النوم راحة لكم في الليل أو النهار إذ في النوم حصول الراحة وذهاب التعب، وجعل لكم النهار تتشرون فيه لطلب الرزق إن في ذلك لدلائل على كمال قدرة الله ونفوذ مشيئته لقوم يسمعون المواعظ سماع تأمل وتفكير واعتبار⁽¹⁾.

قال القشيري رحمه الله: «غلبة النوم لصاحبه من غير اختيار، وانتهائه بلا اكتساب يدل على موته ثم بعثه في حال منامه يرى ما يسره وما يضره يدل على حاله في قبره، الله أعلم كيف حاله، أمره فيها يلقاه من خير وشر⁽²⁾».

أيها الناس إن للنوم آداباً قل من يعمل بها وإن أخذ بعض الناس بعضه فقد ترك كثيراً منه والموفق من وفقه الله.

فمن تلك الآداب - أيها الناس - التبكير في النوم.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي برة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها.

والتبكير - أيها الناس - قد أصبح عند كثير من الناس سنة مهجورة وخاصة بعد ظهور التلفاز وقد علم الجميع أن الخير والبركة في الاتباع.

فها هو العلم الحديث يثبت للجميع أن أفضل أوقات النوم ما كان بعد صلاة العشاء وأن الساعة من النوم في أول الليل تعادل ساعتين من آخره ولا تقوم مقامها ساعة من نوم النهار.

(1) انظر «التفسير الميسر» (206/7).

(2) انظر «البحر المديد» لابن عجيبة (512/5).

(3) رواه البخاري (568) واللفظ له، ومسلم (647) بنحوه.



وما الحكمة - أيها الناس - من التَّبَكُّيرِ؟ أليس كلُّ مسلمٍ له موعدٌ معَ الرَّبِّ حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مِنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

أليس من العارِ - أيها الناس - أن يَشْهَرَ أَحَدُنَا عَلَى التَّلْفَازِ أَوْ نَحْوِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَنَامُ عَنْ هَذَا الْحَيْرِ الْعَظِيمِ وَرَبِّهَا نَامَ أَحَدُنَا فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا فِي الْقَبْرِ كَمَا هُوَ حَالُ بَعْضِ النَّاسِ، فَكَيْفَ بِكَ - يَا عَبْدَ اللَّهِ - لَوْ نَمَتَ عَلَى نِيَّةِ الْقِيَامِ لَطَلَّبَ الْمَعَاشِ فِإِذَا أَمَامَكَ مِنْكَرٌ وَتَكْيِيرٌ بَعْدَ أَنْ تُضَمَّ ضَمَّةٌ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمَا يَضُرُّكَ لَوْ نَمَتَ عَلَى نِيَّةِ لِقَاءِ الرَّبِّ - جَلَّ جَلَالُهُ - فَإِنَّكَ إِنْ قُمْتَ قُمْتَ عَلَى خَيْرٍ وَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى نِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَخَاتِمَةٍ حَسَنَةٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - .

ففي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَلَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَتَوَيَّأُ أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَعَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَضْبَحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -».

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الرُّضُوءُ حَتَّى وَلَوْ كَانَ جُنْبًا.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا آتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1145)، وَمُسْلِمٌ (758).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (1344)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (19)، (600).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (247) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (2710).

— البصيح من الأشرفي بخط ابن كثير — 249 —

قُل: اللَّهُمَّ اسَلِّمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجَا إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ». وما يَضْرُكُ - يا عبدَ الله - أن يَبِيَّتَ مَعَكَ مَلَكٌ يَسْتَغْفِرُ لَكَ بِسَبَبِ طَهَارَتِكَ فَذَلِكَ لَكَ.

ففي «مواردِ الظَّمَانِ» لابنِ جِبَّانَ بسندِ حَسَنٍ لغيرِهِ حَسَنُهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ بَاتَ طَاهِرًا، بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا».

وَالشَّعَارُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ مَا يَلِي بَدَنَ الْإِنْسَانِ مِنْ ثَوْبٍ وَغَيْرِهِ. وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْوِثْرُ لِمَنْ خَشِيَ فَوَاتَهُ. فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرُكْعَتَيْ الضُّحَى وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ. وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِطْفَاءُ النَّارِ وَتَحْمِيرُ الْإِنَاءِ وَإِعْلَاقُ الْأَبْوَابِ. فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ إِذَا رَقَدْتُمْ وَغَلِّقُوا الْأَبْوَابَ وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ وَخَمَرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ - وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَلَوْ بَعُودٍ تُعَرِّضُهُ عَلَيْهِ».

(1) «حَسَنٌ لغيرِهِ» أَخْرَجَهُ ابْنُ جِبَّانَ فِي «مُورِدِ الظَّمَانِ» (167)، وَقَالَ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» حَسَنٌ لغيرِهِ.

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1178) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (721).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5624)، وَمُسْلِمٌ (2012).



ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - نَفْضُ الْفِرَاشِ وَالتَّسْمِيَةُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ وَلْيُسِّمِ اللَّهَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ».

فهذا النَّفْضُ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَكُونُ فِي أَوَّلِ النَّوْمِ لِكِنَّ مَتَى نَامَ الرَّجُلُ ثُمَّ قَامَ لِحَاجَتِهِ وَأَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْهُ مَرَّةً ثَانِيَةً وَهَكَذَا.

ففي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنْفَةِ إِزَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ لَا يَنْدِرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَهُ، فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ، بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتَ جَنبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ».

وَصَنْفَةُ الْإِزَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ شَقُّهُ أَيَّ جَانِبٍ كَانَ.

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - كِتَابَةُ الْوَصِيَّةِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ بَيْتَ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ».

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّوْمُ عَلَى الشَّقِّ الْأَيْمَنِ وَوَضْعُ الْيَدِ تَحْتَ الْحَدِّ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6320)، وَمُسْلِمٌ (2714).

(2) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3401)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (2707).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2738)، وَمُسْلِمٌ (1627).

— الصحيح من الأشرفي بخطه الشريف — 251 —

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا آتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْيَمَنِ».

وفي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا»، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ، قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَرَاهَةُ النَّوْمِ عَلَى الْبَطْنِ

ففي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ بِِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي فَكَرَّظَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «يَا جُنَيْدُ، إِنَّمَا هَذِهِ ضُجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ».

ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ بَعْضِ الْأَدْعِيَةِ وَالْأَذْكَارِ.

ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ - تَعَالَى - فِيهِ إِلَّا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ بَرَةٌ». أَيُّ نِدَامَةٍ.

ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ.

ففي «صحيح البخاري»⁽⁵⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الطَّوِيلِ قَالَ: قَالَ الشَّيْطَانُ إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُضْبِحَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (247) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (2710).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6314).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (3714)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ» (3001).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (5059)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (6477).

(5) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2311).



ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ وَالْمَعْوَدَتَيْنِ وَالنَّفْثُ بِهَا .
فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ،
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَبْدَأُ بِهَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثًا .

قَالَ ابْنُ عَثِيمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «النَّفْثُ هُوَ النَّفْخُ مَعَ رِيْقٍ يَسِيرٍ ثُمَّ يَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ، يَمْسَحُ بِهَا أَيُّ يَدَيْهِ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِرَأْسِهِ وَمِقْدَامِ جَسَدِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»⁽²⁾ .

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يُكَبِّرَ اللَّهُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ وَيُسَبِّحَ اللَّهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَيُحَمِّدُ اللَّهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ .

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَكَتَ مَا تَلَقَى مِنْ أَثْرِ الرَّحَى فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ بِسَبِيٍّ فَاَنْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا ، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا» فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِيهِ عَلَى صَدْرِي وَقَالَ: «أَلَا أَعْلَمُكُمْ خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَانِ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ وَتُسَبِّحَانِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتُحَمِّدَانِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ» .

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5017) .

(2) «شَرْحُ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ» (1/1676) .

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3705) ، وَمُسْلِمٌ (2727) .

— البصيحُ من الأشرافِ **بِحَبْلِ الْوَدَّاءِ** — ﴿253﴾

ووجه الخيرية في الحديث - أيها الناس - كما قال صاحب شرح مشكاة المصابيح
 إما أن يراد به أن يتعلق بالأخيرة والخادم بالدنيا والأخرة خير وأبقى.
 وإما أن يراد بالنسبة إلى ما طلبته بأن يحصل لها بسبب هذه الأذكار قوة تقدر على
 الخدمة أكثر مما يقدر الخادم عليه⁽¹⁾.
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «مرعاة المفاتيح بشرح مشكاة المصابيح» (263/8).



الخطبة الثانية - آداب الاستيقاظ من النوم :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «بَعْضِ آدَابِ النَّوْمِ» وَالآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «شَيْءٍ مِنْ آدَابِ الْاسْتِيقَازِ».

فَمِنْ آدَابِ الْاسْتِيقَازِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْبَدَأُ بِالسُّوَالِ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا
قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُورُ فَاهُ بِالسُّوَالِ.

وَمِنْ آدَابِ الْاسْتِيقَازِ - أَيُّهَا النَّاسُ - غَسْلُ الْيَدَيْنِ قَبْلَ غَمْسِهَا فِي إِنَاءِ الْوُضُوءِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا
اسْتِيقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمَسُ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْزُ
بَاتَتْ يَدُهُ».

وَمِنْ آدَابِ الْاسْتِيقَازِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْاسْتِثْنَاءُ ثَلَاثًا.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا
اسْتِيقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَنْشِزْ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيْتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ».

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - ذِكْرُ اللَّهِ وَالْوُضُوءُ وَالصَّلَاةُ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (245)، وَمُسْلِمٌ (255).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (278).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3295)، وَمُسْلِمٌ (238).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَائِمٌ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ» فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ. فَأَصْبَحَ نَشِيطَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ».

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُسْنَ الْإِتِّبَاعِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ.

(1) رواه البخاري (1142)، ومسلم (776).



26 الأُخُوَّةُ فِي اللَّهِ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا آتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّحْتِيبَاتُ : 102).

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلنَّاسِ آتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَضَعَكُمْ فِيهَا رُجُوعًا وَبَيَّنَّ مِنْهَا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النَّبَاتُ : 1).

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا آتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

بُطِخَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَخْبَارُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عَنِ «الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ».

أيها الناس الأُخُوَّةُ فِي اللَّهِ نِعْمَةٌ كَبِيرَةٌ وَمِنَّةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (التَّحْتِيبَاتُ : 103).

وقال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿هُوَ الَّذِي آتَىكَ بِنُصْرِهِ. وَإِلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ

أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَئِنْ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴿الْإِسْتِثْبَاتُ : 62-63﴾.

وهذه الأُخُوَّةُ الْحَاصِلَةُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ - أيها الناس - قَائِمَةٌ عَلَى الْحَبِّ فِي اللَّهِ الَّذِي

هُوَ أَوْثَقُ عُرى الْإِيمَانِ.

— الصحيح من الأشرفي بخطه الألباني — 257 —

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيحه»⁽¹⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله». وللأخوة في الله - أيها الناس - فضائل عظيمة.

فمن فضائل الأخوة في الله - أيها الناس - أن المتحابين في الله يُظلمهم الله في ظلّ عرشه يوم القيامة.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله - سبحانه وتعالى - يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي».

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يُظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، (وذكر منهم) ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه».

ومن فضائل الأخوة في الله - أيها الناس - أن الله - سبحانه وتعالى - أوجب محبته للمتحابين فيه.

ففي مُسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽⁴⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله - سبحانه وتعالى - وَجِبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ».

(1) «حسن» أخرجه الطبراني في «الكبير» (11537)، وحسنه الألباني في «الصحيحه» (998).

(2) رواه مسلم (2566).

(3) رواه البخاري (660)، ومسلم (1031).

(4) «صحيح» أخرجه أحمد (233/5 - 247)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (4331).



وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى، فأزصد الله - سبحانه وتعالى - على مدرجته (أي على طريقه) ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية قال: هل لك من نعمة تربها عليه؟ قال: لا غير أني أحببته في الله - تعالى - قال: فلأنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك، كما أحببته فيه».

ومن فضائل الأخوة في الله - أيها الناس - أنها سبب لتذوق حلاوة الإيمان. ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».

وفي مسند أحمد بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الجامع»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله - عز وجل -».

ومن فضائل الأخوة في الله - أيها الناس - أن المتحابين في الله هم منابر من نور، يجلسون عليها يوم القيامة.

ففي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽⁴⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله - سبحانه وتعالى - المتحابون في جلالي هم منابر من نور يغبطهم النيون والشهداء».

(1) رواه مسلم (2567).

(2) رواه البخاري (16)، ومسلم (43).

(3) «حسن» أخرجه أحمد (298/2)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (6164).

(4) «صحيح» أخرجه أحمد (239/5)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (4312).

— البصريح من الأشرفي بخط ابن أبي عمير — 259 —

وفي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث عبادة بن الصميت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله - سبحانه وتعالى - حَقَّتْ (أي: وَجَبَتْ) مَحَبَّتِي لِلْمُحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، الْمُتَحَابُّونَ فِيَّ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ يَغِيظُهُمُ النَّيُّونَ وَالصُّدِّيْقُونَ وَالشُّهَدَاءُ».

ومن فضائل الأخوة في الله - أيها الناس - أن المرء يُحشِرُ مع من أحبَّ.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «وما أعددت لها؟». قال: لا شيء إلا أنني أحبُّ الله ورسوله. فقال ﷺ: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فأنا أحبُّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم. وفي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يحبُّ القوم ولم يلحق بهم؟ فقال ﷺ: «المرء مع من أحبَّ».

قال المباركفوري رحمه الله: «يعني من أحبَّ قوماً بالإخلاص يكون في زمرة هم وإن لم يعمل عملهم لثبوت التقارب بين قلوبهم وربما تُؤدِّي تلك المحبة إلى موافقتهم وفيه حثٌّ على محبة الصلحاء والأخيار رجاء اللحاق بهم والخلاص من النار»
أيها الناس تلك بعض فضائل الأخوة في الله وللأخوة حقوق لا يتسع الحديث عنها مقامنا هذا، ولكن نذكر بعضها منها:

(1) «حسن» أخرجه أحمد (229/5)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (4320).

(2) رواه البخاري (6388)، ومسلم (2953).

(3) رواه البخاري (5819)، ومسلم (2639).



فمن حقوق الأُخوة - أيها الناس - المَواساةُ. والمَواساةُ الحديثُ عنها ذو شُجونٍ
وُخلاصَتها أنَّها تَنفيسُ الأُخ عن أخيه كُرباتِ الدنيا.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ
ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ
اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

ومن حقوق الأُخوة - أيها الناس - إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِجَابَةُ الدَّاعِي، وَبَذْلُ
النَّصِيحَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَشُهُودُ الْجَنَازَةِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ
ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقَيْتَهُ
فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهُ
فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ».

ومن حقوق الأُخوة - أيها الناس - التَّوَدُّدُ وَالتَّعَاطُفُ وَالتَّرَاحُمُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ من حديثِ النعمانِ بنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ
ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا
اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

ومن حقوق الأُخوة - أيها الناس - النُّصْرَةُ فِي الْمَغِيبِ وَالْمَشْهَدِ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2699).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2162).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6011)، وَمُسْلِمٌ (2586) وَاللَّفْظُ لَهُ.

— الصحيح من الأثر في حجة النبي ﷺ —

261

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَأَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَمْرٍ يُخَذَلُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُتَهَكُّ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُسَقَّصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُسَقَّصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، وَيُسَهَّلُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يُحِبَّ الْأَخُ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ لَا يَمَسَّ الْأَخُ أَخَاهُ بِسُوءٍ أَوْ يَنَالَهُ مِنْهُ مَكْرُوهٌ يَكْرَهُهُ أَوْ أَذَى يَلْحَقُ بِهِ

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَخَالِقَ الْأَخُ أَخَاهُ بِخُلُقٍ حَسَنٍ، فَيَبْذُلَ لَهُ الْمَعْرُوفَ، وَيَكْفَى عَنْهُ الْأَذَى وَيَبْلَاقِيَهُ بِوَجْهِ طَلِقٍ، يَقْبَلُ مِنْهُ إِحْسَانَهُ، وَيَعْفُو عَنْ إِسَاءَتِهِ، وَلَا يَكْلِفُهُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣٣)

(الأعراف: 199).

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (4)، وَأَبُو دَاوُدَ (271/4)، وَحَسَنَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (5690).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7)، وَمُسْلِمٌ (45).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2564).



وفي مسند أحمد بسند حسن حسنة الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث أبي ذر
رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتى الله حينما كنت واتبعت السببة الحسنة تمنحها
وخالق الناس بخلق حسن».
وأستغفر الله.

(1) «حسن» أخرجه أحمد (5/153)، وحسنة الألباني في «الصحيح» (1373).

— الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الْأَشْرَافِ فِي حَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — 263 —

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ - مُضْسِدَاتُ الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ وَشَيْءٍ مِنْ
حَقُوقِهَا» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «مُضْسِدَاتِ الْأُخُوَّةِ» وَهُنَّ كَثِيرَاتٌ وَسَاقِطَةٌ فِي
هَذِهِ الْعُجَالَةِ عَلَى بَعْضِهَا.

فَمِنْ مُضْسِدَاتِ الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الطَّمَعُ فِي الدُّنْيَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِمْ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ ﴿١٣١﴾ ﴾ (طَلْحَا: 131).

فَكَمْ مِنْ أَخَوَيْنِ كَانَا مُتَحَابِّينِ تَغَيَّرَتْ نُفُوسُهُمَا بَعْدَمَا تَعَرَّضَا لِلدُّنْيَا وَتَنَافَسَا فِي
النَّيْلِ مِنْهَا وَمَعَ ازْدِيَادِ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا يَنْدِيرُ الْإِيثَارُ وَتَحُلُّ الْأَنَانِيَّةُ.

وَمِنْ مَفَاسِدِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفْرِيطُ فِي الطَّاعَةِ وَالْوُقُوعُ فِي الْمَعْصِيَةِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي

«الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَوَادَّ اثْنَانِ
فِي اللَّهِ فَيَفْرَقُ بَيْنَهُمَا إِلَّا بَدَنِبٍ يُجِدُّهُ أَحَدُهُمَا».

وَمِنْ مُضْسِدَاتِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَغْتَابَ الْأَخُ أَخَاهُ أَوْ يَحْقِرَهُ أَوْ يَعْيبُهُ أَوْ

يَسْخَرُ مِنْهُ، أَوْ يَنْبِزُهُ بِلَقَبٍ سُوِّءٍ أَوْ يَنْمُّ عَنْهُ حَدِيثًا لِلْإِفْسَادِ.

(1) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2/68)، وَالْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» (401)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»



قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِثْرٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (المحجرات : 12).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ قَوْمًا مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا يَسَاءُ مَن يَسَاءُ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِثْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ (المحجرات : 11).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ». ومن مُفْسِدَاتِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَحْسَدَ الْأَخُ أَخَاهُ أَوْ يَظُنَّ بِهِ سُوءًا أَوْ يَبْغِضَهُ أَوْ يَتَجَسَّسَ عَلَيْهِ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِثْرٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾.

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ». ومن مُفْسِدَاتِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَغْدُرَ الْأَخُ بِأَخِيهِ أَوْ يَحُونَهُ أَوْ يَكْذِبُهُ أَوْ يُبَاطِلُهُ فِي قِضَاءِ الدِّينِ

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (البقرة : 1).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ (البقرة : 177).

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1218).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2563).

— الصحيح من الأثر في حجة الأئمة — 265 —

ومن مُفسِداتِ الأخوة - أيها الناس - عَدَمُ عَفْوِ الأَخِ عن أَخِيهِ إِذَا أخطأَ وَقَبُولِ عُدْرِهِ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(التائفة : 13).

و قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

(التؤدة : 22).

وفي سُنَنِ أَبِي داوُدَ وابنِ ماجَةَ بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح

الجامع»⁽¹⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا، أَقَالَ اللهُ عَشْرَةَ».

ومعنى أقال: أي عفا عنه لخطأ أو زلة.

اللَّهُمَّ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

(1) «صحيح» رواه أبو داود (3460)، وابن ماجه (2199)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود»

(2954)، و«صحيح الجامع» (6071).



نِعْمَةُ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ

27

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْقَبَاتُ : 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «نِعْمَةِ الْجَوَالِ».

أَيُّهَا النَّاسُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - هُوَ الَّذِي خَلَقَنَا فَأَبْدَعَ مَا خَلَقَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ فِينَا الْعَقْلَ، فَمَا أَرَوْعَ مَا أَبْدَعَ فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ فَسَوَّى وَقَدَّرَ فَهَدَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَسَخَّرَ لَهُ كُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (الْبَقَرَةُ : 29).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾

(الْبَقَرَةُ : 13).

— البصيح من الأشهر **بِحَبَابِ الْمَلَكِ** — 267 —

ومن جليل حكمته وعظيم منته أنه - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

(العلق : 5).

وركَّب فيه من وسائل المعرفة من عقلٍ وسمعٍ وبصيرٍ، وغرس فيه جبلة الترقُّي وفتح له عوالم المحدثات والمخترعات، فتطوَّر الإنسان عبر الزمن ... وأصبح يتحكَّم في أقطار الفضاء ... وأغوار الأرض ... وأعماق البحار ... وفتح بصيرته كلَّ يومٍ عن مخترع جديد ... فقفز فوق المسافات ... وتخطَّى الأوطان والقارات ونصب أجهزة الاتصال ... فجمع أهل الأرض ... حتى صار من بأقصاها يتحدَّث مع من بأذناها ... ففي كلِّ جيبٍ أذنٌ واعيةٌ متحفزةٌ للإجابة عن كلِّ طلبٍ ... لا فرق عندها بين البعيد والقريب ... لا فرق عندها بين المستقرِّ في بيته ... والسائر في الطريق ... لا فرق عندها بين الرَّاكِبِ جَوَّ الفضاء ... والغائص في الأعماق.

هذه نعمةٌ من نعمِ الله - جَلَّ وعلا - أظهرها للإنسان بفضله، وعرفه لها بجوده وكرمه ... إنه الهاتفُ الجوالُ ... الذي شغلَّ دُنيا النَّاسِ وملاً حياتهم ... اقتناه الغنيُّ والفقيرُ ... واستعمله الكبيرُ والصغيرُ.

هو منحةٌ من الله ورحمةٌ منه ... لإنسانِ هذا الزَّمانِ.

قال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رءِيمٌ﴾ (البقرة : 143).

وهو كذلك نعمةٌ من نعمِ الله والذي وهبنا كلَّ فضلٍ وخيرٍ.

قال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّمَةٍ مِّنَ اللَّهِ إِلاَّ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ﴾ (الحجرات : 53).

وقال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِلاَّ أَن تَحْصُوهَا﴾ (الحجرات : 18).

وقال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْكُتُبَ سَخَّرْنَا لَهَا آيَاتَ اللَّهِ وَمَا فِيهَا وَأَنبَغَ

عَلَيْكُمْ فِيهَا مِمَّا ظَهَرَ وَبَاطَنًا﴾ (التين : 20).



فَوَاجِبُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَشْكُرَ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعْلَى - عَلَى نِعَمِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعْلَى - : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴿ (الْبَاقِيْنَ : 7).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعْلَى - : ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴿ (الْبَاقِيْنَ : 7).

وَمِنْ شُكْرِ هَذِهِ النَّعْمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ نَسْتَخْدِمَهَا فِيمَا يُرِضِي اللَّهَ.

هَذَا الْهَاتِفُ سَهَّلَ لِلْإِنْسَانِ الْكَثِيرَ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُ وَأَعَانَهُ فِي عِبَادَتِهِ وَتَقَرُّبِهِ مِنْ مَوْلَاهُ، فَكَمْ مِنْ صَفْقَةٍ تِجَارِيَّةٍ أُبْرِمَتْ بِالْهَاتِفِ وَكَمْ مِنْ سَفَرٍ أُلْغِيَ لِعَدَمِ جَدْوَاهُ بِوَسِطَةِ الْهَاتِفِ، وَكَمْ أَسْعَدَ مِنْ آبَاءٍ وَأُمَّهَاتٍ حِينَ وَصَلَهُمْ بِأَبْنَائِهِمْ رَغَمَ طَوْلِ الْمَسَافَاتِ ... وَهُوَ أَدَاةُ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَهُوَ أَدَاةُ إِسْعَافٍ فِي الْحَوَادِثِ. وَأَدَاةُ نَجْدَةٍ لِدَفْعِ الْكَوَارِثِ⁽¹⁾.

وَمِنْ كُفْرَانِ هَذِهِ النَّعْمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتِخْدَامُهَا فِيمَا يُغْضِبُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعْلَى - مِنْ الْمُرَاسَلَاتِ وَالْمُعَاكَسَاتِ، وَالتَّنْسِيقِ بَيْنَ عِصَابَاتِ الْإِجْرَامِ، وَالنَّهْبِ وَالسَّرِقَةِ وَالغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالصُّورِ الْمُحَرَّمَةِ وَأَذِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَفِي حَالِ صَلَاتِهِمْ بِتِلْكَ الْأَصْوَاتِ وَالرَّنَاتِ الْغَنَائِيَّةِ الْمُحَرَّمَةِ فَهَذَا مِنْ كُفْرَانِ النَّعْمَةِ، فَضْلاً أَنْ فِيهَا أذِيَّةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَالتَّشْوِيشُ عَلَيْهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ، وَسَلْبًا لِحُشُوعِهِمْ وَإِهَانَةٌ لِبُيُوتِ اللَّهِ وَعَدَمُ الْمُبَالَغَةِ بِتَعْظِيمِهَا وَتَكْرِيمِهَا وَتَشْرِيفِهَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعْلَى - : ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿ (الْحَجَّ : 32).

(الْحَجَّ : 32).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعْلَى - : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ. ﴿ (الْحَجَّ : 30).

(الْحَجَّ : 30).

(1) انظر «الجوأل آفات وأداب» لعبد الله المؤدب (ص 1).

أيها الناس أتبّه من فوقِ هذا المنيبرِ إلى أنّه ينبغي أن يُسَطَّ العذرُ لمن نسيَ إغلاقَ هاتفه أو وضعَهُ على الصّامِتِ داخلَ بيوتِ اللهِ فالإنسانُ عُرْضَةٌ للخطأِ والنسيانِ فلا يُشدَّدُ في النكيرِ عليه والنظرِ شزراً إليه ولنا في رسولِ الله ﷺ أسوةٌ حسنةٌ حينما لطفَ بالأعرابيِّ الذي بآلٍ في المسجدِ، وأمرَ أن يُهراقَ سَجَلٌ أو ذنوبٌ من ماءٍ على مكانِ بولِهِ.

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قامَ أعرابيٌّ فبالَ في المسجدِ، فتناولهُ الناسُ، فقالَ لهمُ النبيُّ ﷺ: «دَعُوهُ، وأهريقُوا على بولِهِ سَجَلًا من ماءٍ - أو ذنوبًا من ماءٍ - فإنما بُعثتمُ مُيسرينَ ولم تُبعثوا معسرينَ»⁽²⁾.

ومن كُفرانِ نعمةِ الهاتفِ المحمولِ - أيها الناسُ - استعمالُهُ للمعاكساتِ فصارَ دمارًا على صاحِبِهِ فكم خربَ من أسيرٍ وكم فضحَ من بيوتِ.

قالَ اللهُ - سبحانه وتعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ (التوبة: 19).

ومن كُفرانِ نعمةِ الهاتفِ المحمولِ - أيها الناسُ - تبادلُ الصُّورِ المحرّماتِ، وتضويرُ الغيرِ فكم من قلوبٍ قد فسدتْ وكم من بيوتٍ قد دُمّرتْ فالويلُ لهؤلاءِ المروّجينَ من عذابِ اللهِ.

قالَ اللهُ - سبحانه وتعالى - : ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (الحنك: 25).

ومن كُفرانِ نعمةِ الهاتفِ المحمولِ - أيها الناسُ - أذيةُ المسلمينَ باللسانِ أو المراسلةِ أو الاتصالِ في ساعاتٍ متأخرةٍ أو إزعاجُهُم بأسلوبٍ أو بآخرٍ أو بإرسالِ رسالةٍ فيها غزلٌ أو كلامٌ قبيحٌ وقد يرفقها بصورٍ خليعةٍ أو صورةٍ لقلبٍ مرسومٍ.

(1) رواه البخاري (2201).

(2) انظر «الجوال آدابٌ وتنبهات» للحمد (ص 1-2).



قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذِرُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب : 98).

ومن كُفرانِ نعمةِ الهاتفِ المحمول - أيها الناس - استخدامه وقتَ قيادةِ السياراتِ قُربًا يأخذهُ الحديثُ والانسجامُ معَ المتحدثِ معهُ فلا ينتبهُ إلى ما يعرضُ له أثناءَ سيره في طريقه وقد لا ينتبهُ إلا بعد أن يقعَ الفأسُ على الرأسِ.

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء : 29).

ومن كُفرانِ نعمةِ الهاتفِ المحمول - أيها الناس - استخدامه لسماعِ الأغاني معَ وضوحِ حرمةِ.

قال الحسنُ رحمهُ الله : «نزلت هذه الآيةُ : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ بَشَرَى لِهَوَى الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . في الغناءِ والمزاميرِ»⁽¹⁾.

وفي سننِ الترمذيِّ بسندٍ صحيحٍ صحَّحهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الترمذيِّ»⁽²⁾ من حديثِ عمرانَ بنِ حصينِ رضيَ اللهُ عنه قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : «في هذه الأمةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ».

قال رجلٌ من المسلمين : يا رسولَ اللهِ متى ذلك؟

قال : «إذا ظهرتِ القيانُ والمعازِفُ وشربتِ الخُمورُ».

ويَدْخُلُ في ذلكِ استعمالُ نَعَمَاتِ موسيقىةِ في الجِوَالِ.

ومن كُفرانِ نعمةِ الهاتفِ المحمول - أيها الناس - تصويرُ ذواتِ الأزواجِ من إنسانٍ أو حيوانٍ أو طيرٍ أو غيرِ ذلكِ والأدلةُ قد جاءتْ تمنعُ التصويرَ عموماً.

(1) «تفسيرُ ابنِ كثيرٍ» (3/344).

(2) «صحيحٌ» أخرجهُ الترمذيُّ (2212)، وصحَّحهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الترمذيِّ» (2185).

— البصيح من الأشرف بخط ابن كثير —

271

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتَعَذَّبُهُ فِي جَهَنَّمَ».

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ».

أيها الناس تلك الأحاديث واضحة وضوح الشمس وبعض الناس يؤوّل الأحاديث ويحملها على غير ظاهرها ويقول ذلك كذا وذلك كذا.

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء السؤال الآتي: هل التصوير الذي تُستخدَم فيه كاميرا الفيديو يقع حكمه تحت التصوير الفوتوغرافي؟

الجواب: نعم حكم التصوير بالفيديو حكم التصوير الفوتوغرافي في المنع والتخريم لعموم الأدلة⁽³⁾.

وتشدد الحرمة إذا قام الرجل بتصوير محارمه أو زوجته في هذه الهواتف وهذا خطأ وخطر عظيم؛ لأن الهاتف قد يتعرض للضياع وقد ينسأه في بيت من لا أمانة له ولا عهد.

وأستغفر الله!

(1) رواه البخاري (2225)، ومسلم (2110).

(2) رواه البخاري (5951)، ومسلم (2108).

(3) فتاوى اللجنة الدائمة تحت رقم (16205).



الخطبة الثانية - آداب استعمال الجوال :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «نِعْمَةِ الْجَوَالِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْجَوَالِ».

فَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّأَكُّدُ مِنَ الرَّقْمِ الْمَطْلُوبِ حَتَّى لَا يَطْلُبَ رَقْمًا خَاطِئًا، فَلَا يُزْعَجُ مَرِيضًا .. وَلَا يُوقِظُ نَائِمًا وَلَا يَفَاجِيءُ آمِنًا. وَكَذَلِكَ التَّأَكُّدُ مِنْ صِحَّةِ الرَّقْمِ حَتَّى لَا يُرْسَلَ رِسَالَةٌ لِمَنْ لَا يَقْصُدُ إِرْسَالَهَا إِلَيْهِ فَيَقَعُ فِي الْحَرَجِ.

فَإِذَا كَانَ الرَّقْمُ خَاطِئًا فَلَا يَعْجَلُ فِي إِغْلَاقِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ لِئَلَّا يُسَاءَ الظَّنُّ وَإِنَّمَا يَعْتَذِرُ اعْتِذَارًا بِالْغَا وَيَعِدُّ الْمَتَّصِلَ بِهِ أَنَّ ذَلِكَ لَنْ يَتَكَرَّرَ مِنْهُ. وَيَكُونُ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ طَيِّبَاتٍ وَأَسْلُوبٍ حَسَنٍ، وَيُرْسَلُ رِسَالَةٌ لِمَنْ وَقَعَتْ الرِّسَالَةُ فِي رَقْمِهِ بِطَرِيقَةِ الْخَطَا. فَإِذَا بَدَأَ بِالْكَلَامِ جَعَلَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ يَنْطِقُ بِهَا السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَهِيَ تَحِيَّةُ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ. قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فِي أَوَّلِ لِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ ﴾ (الْاِحْتِيَاطِيُّ : 44). وَهِيَ تَحِيَّةُ الْمَلَائِكَةِ لِأَهْلِ النَّعِيمِ

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَسَبِّحْ الَّذِينَ آتَقُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الْبُرُجُ : 73). وَهِيَ تَحِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ فِيهَا بَيْنَهُمْ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ١ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿ (يُونُسُ : 9-10).

— الصحيح من الألفاظ الخطيرة — 273 —

فأول كلام المسلم مع المسلم «السلام عليكم» والبعض اعتادوا أن تكون التحية بينهم كلمة «ألو» وأصل هذه الكلمة إنجليزية ومعناها «مرحبا»، وإذا ختم كلامه قال «مع السلامة» أو «باي باي»، وهذا خطأ وفي شرعنا وأدبنا الذي أدبنا الله به غنى عن ذلك.

والله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿أَتَقْبَلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾

(النجم: 61).

والذي يبدأ السلام المتصل لأنه كالقارع للباب فيجيب المتصل به بمثله وأحسن لقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾

(النسك: 36).

ثم يعرف نفسه بذكر اسمه أو لقبه للمتصل عليه حتى لا يظن المتصل عليه في جيرة مع من يتكلم ومن يريد.

ومن آداب استعمال اهااتف المحمول - أيها الناس - اختصار الكلام بما يكفي الحاجة دون إسراف ولا تبذير في المال والوقت.

ففي (صحيح البخاري)⁽¹⁾ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصُّحَّةُ وَالْفِرَاقُ».

وأخرج الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في (صحيح الترمذي)⁽²⁾ من حديث أبي برة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ».

(1) زوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6412).

(2) (صحيح) أخرجه الترمذي (2417). وصححه الألباني في (صحيح الترمذي) (1933).



وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث خولة الأنصاريّة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ رَجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقِّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فإذا وَجَدَ امْرَأَةً عَلَى الْخَطِّ تَأَدَّبَ مَعَهَا وَاخْتَصَرَ الْكَلَامَ وَعَلَيْهَا أَنْ تَكَلِّمَهُ بِحِشْمَةٍ وَوَقَارٍ دُونَ الْخُرُوجِ عَنِ مَوْضِعِ الْمَكَالَةِ .

وقد أمر الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (الاحزاب: 32).

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ تَسْجِيلِ الْمَكَالِمَاتِ أَوْ وَضْعِ الْجَوَالِ عَلَى مَكْبَرِ الصَّوْتِ دُونَ عِلْمِ الْآخِرِ لِأَنَّ ذَلِكَ ضَرْبٌ مِنَ الْخِيَانَةِ أَوْ نَوْعٌ مِنَ النَّمِيمَةِ.

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْجَوَالِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ التَّهَادِي فِي الْإِتِّصَالِ إِذَا لَمْ يَرُدَّ عَلَيْكَ فَبَعْضُ النَّاسِ إِذَا لَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِ كَرَّرَ الْإِتِّصَالَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ مِمَّا يُسَبِّبُ الْإِزْعَاجَ وَالْإِيذَاءَ لِلْآخِرِينَ.

كَمَا أَنَّ تَجَاهُلَ الْمُتَّصِلِ لِلْمُتَّصِلِ بِهِ وَيَتَكَرَّرُ ذَلِكَ مِنْهُ فِي أَوْقَاتِ مُتَمَرِّقَاتِ دُونَ دَاعٍ يَدْعُو إِلَيْهِ دَلِيلٌ عَلَى سُوءِ الْأَخْلَاقِ وَانْحِطَاطِهَا بَلْ إِنَّهُ لَيَبْنِي جُسُورًا مِنَ الْوَحْشَةِ وَسُوءِ الظَّنِّ وَقِيَامِ لِسُوقِ الْعَدَاوَةِ.

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ أَدَاءُ صِدْقٍ فَلَا يَصِحُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى مُسْلِمٍ فَإِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ مِنْ مَكَانٍ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَكْذِبَ أَوْ يُدَلِّسَ عَلَى مُتَحَدِّثِهِ بِأَنَّهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ.

— القَصِيحُ مِنَ الْأَشْرَفِي جِبَابُ النَّاسِ بِرَأْسِهِ —

275

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - لُزُومُ التَّوَاضُّعِ .
 وَمِنَ التَّوَاضُّعِ حُسْنُ الْمُخَاطَبَةِ مَعَ الْمُتَّصِلِ عَلَيْهِ وَلِيْنُ الْكَلَامِ ، وَسَهْوَلَةُ الْأَلْفَاظِ
 وَاخْتِيَارُ الْكَلِمَاتِ الْجَمِيلَةِ وَالْبُعْدُ عَنِ الْغِلْظَةِ وَالْقَسْوَةِ فِي الْكَلَامِ .
 وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ لَا يَتَّصِلَ فِي أَوْقَاتِ
 الصَّلَاةِ وَأَوْقَاتِ الْأَكْلِ وَأَوْقَاتِ النَّوْمِ وَأَوْقَاتِ الْعَمَلِ أَوْ الْاجْتِمَاعِ أَوْ الدُّرُوسِ
 كَمَا عَلَى الْمُتَّصِلِ أَنْ لَا يُسِيءَ الظَّنَّ إِذَا لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَأَنْ يَلْتَمِسَ لَهُ الْعُذْرَ فِي
 عَدَمِ الرَّدِّ .

اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَجَنِّبْنَا اتِّبَاعَهُ وَاجْعَلْنَا
 مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ .



28
أُمُّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسأة: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

بُطِعَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاجتراب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ،
وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حديثي معكم اليوم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ صَحَابِيَّةٍ جَلِيلَةٍ وَمُرَبِّيَّةٍ فَاضِلَةٍ
إِنَّهَا أُمُّ سُلَيْمٍ وَأَسْمُهَا الْغَمِيضَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ حَرَامٍ، أُخْتُ الصَّحَابِيِّ
الْجَلِيلِ حَرَامِ بْنِ مِلْحَانَ، وَأُمُّ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، تَزَوَّجَتْ قَبْلَ
الْإِسْلَامِ بِمَالِكِ بْنِ النَّضْرِ النُّجَارِيِّ، وَوَلَدَتْ مِنْهُ أَنْسًا فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ كَانَتْ
مِنَ السَّابِقِينَ.

— الصحيح من الأثر في خطبة النبي ﷺ — 277 —

فقد أخرج الطيالسي والسياق له ومن طريق البيهقي، وابن جبان وأحمد بسند صحيح صححه الألباني في «الجنائز»⁽¹⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال مالك أبو أنس لامرأته أم سليم إن هذا الرجل - يعني النبي ﷺ - يُحرم الخمر فانطلق حتى أتى الشام فهلك هناك فجاء أبو طلحة، فخطب أم سليم، فكلّمها في ذلك، فقالت: يا أبا طلحة! ما مثلك يرّد، ولكنك امرؤ كافر، وأنا مسلمة لا يصلح لي أن أتزوجك!

فقال: ما ذاك دهرك قالت: وما دهرني؟ قال: الصفاء والبيضاء! - أي الذهب والفضة - قالت: فإني لا أريد صفراء ولا بيضاء أريد منك الإسلام، (فإن تسلم فذاك مهري، ولا أسألك غيره)، قال: فمن لي بذلك؟ قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، فلما رآه قال: «جاءكم أبو طلحة غرة الإسلام بين عينيه»، فأخبر رسول الله ﷺ بما قالت أم سليم، فتزوجها على ذلك.

قال ثابت (وهو البنان) أحد رواة الحديث عن أنس: فما بلغنا أن مهراً كان أعظم منه أنها رضى الإسلام مهراً.

وفضائل أم سليم - أيها الناس - ما لا يحتملها مقامنا هذا.

فمن فضائلها - أيها الناس - أن الرسول بشرها بالجنة.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة ثم سمعت خشخشة أمامي فإذا بلال».

(1) (صحيح) أخرجه الطيالسي (2056) واللفظ له، من طريق البيهقي (4/65-66)، وابن جبان

(725)، وأحمد (3/105-106)، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص 38).

(2) رواه مسلم (2457).



وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ - أيضا - من حديث أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الْعَمِيصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ».

ومن فضائلِ أُمِّ سُلَيْمٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَجِبَ مِنْ صَنِيعِهَا بِضَيْفِهَا.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلْ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلْ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ، رَحِمَهُ اللهُ». فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فإَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوتٌ صِيَّانِي. قَالَ: فَعَلَلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فإِذَا جَاءَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ وَأَرِنِي أَنَا نَأْكُلُ، فإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَفَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «قَدْ عَجَبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ».

وهذا الرَّجُلُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ أَبُو طَلْحَةَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَمَا فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ.

ومن فضائلِ أُمِّ سُلَيْمٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ لَمَّا سَكَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ أَهْدَتْ لَهُ ابْنَتَاهَا أَنْسَا لِيَخْدُمَهُ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2456).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (4889)، وَمُسْلِمٌ (2054).

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على أم سليم، فأتته بتمر وسمن، قال: «أعيدوا سمنكم في سقائه، وممركم في وعائه، فإني صائم»، ثم قام إلى ناحية من البيت فصلى غير المكتوبة، فدعا لأم سليم وأهل بيتها، فقالت أم سليم: يا رسول الله، إنني خويصة قال: «ما هي؟» قالت: خادمك أنس، فم ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعاني به قال: «اللهم ارزقه مالا وولداً وبارك له»، فإني من أكثر الأنصار مالا.

فانظروا - أيها الناس - احصيئة العاقلة أم سليم أتت بولدها ليخدم رسول الله فخدمته عشر سنين. وتخرج على يديه، فإذا تظنون أن يكون

ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح مختصر الشهابي»⁽²⁾ عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لي شيء صنعتُه ولا صنعتُه ولا شيء تركتهُ ولا تركتهُ، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً ولا مسستُ خراً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألبس من كف رسول الله ﷺ ولا شمتت مسكاً قط ولا عطرًا كان أصيب من عرق رسول الله ﷺ.

فمن كان هذا النبي ﷺ أستاذه فكيف سيكون؟!!

ومن فضائل أم سليم - أيها الناس - حرصها على العلم ولم يمنعها الحياء من سؤال رسول الله ﷺ حتى في أدق المسائل.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن الله لا يستحي من

(1) زوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1982)، ومُسْنَدُهُ (2481).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (2015)، وصححه الألباني في «صحيح مختصر الشهابي المحمدي» (296).

(3) زوَاهُ الْبُخَارِيُّ (130)، ومُسْنَدُهُ (313).



الحق هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم إذا رأت الماء».

ومن فضائل أم سليم - أيها الناس - أنها شهدت مع النبي ﷺ حنيناً وأحدًا. ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أنس رضي الله عنه أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا فكان معها فراها أبو طلحة فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر فقال لها رسول الله ﷺ: «ما هذا الخنجر؟» قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه. فجعل رسول الله يضحك. قالت: يا رسول الله أقتل من بعدنا من الطلقاء انهمروا بك؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن».

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية - صلابة أم سليم في دينها وصبرها⁽¹⁾ :
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «شيء من مناقب أم سليم»
والآن حديثي معكم عن «صلابة أم سليم في دينها وصبرها».

فمن صلابتها في دينها ما جاء في «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث أم عطية
رضي الله عنها قالت: «بايعنا النبي ﷺ فقرأ علينا: ﴿أَنْ لَا يُشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾. وثماننا عن
النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت: فلانة أسعدتني وأنا أريد أن أجزيها فلم يقل
شيئا، فذهبت ثم رجعت فما وقت امرأة إلا أم سليم وأم العلاء وابنة أبي سبرة امرأة
معاذ أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ».

والشاهد - أيها الناس - أنها التزمت ووقت لما بايعت عليه رسول الله ﷺ.

ومن صبرها، ما جاء في «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: مات
ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بانيه، حتى أكون
أنا أحدثه.

فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأزجو أن
يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة (أي باعتبار ما فهم هو) ولكنها كانت
تقصد: هدأت نفسه واستراح في الجنة إن شاء الله.

(1) استفدت في إعداد هذه الخطبة من كتاب «جنى اللباب فيما ورد في الصبر والاختساب» للزوجة
الوافية أم الفضل أمية الرحمن بنت علي الفقيه جزاها الله خيرا.

(2) رواه البخاري (7215).

(3) رواه البخاري (1301)، ومسلم (2144/107) واللفظ له، وما بين المعكوفين للبخاري.



قال: فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، فقال: ثم تصنعت (أي تزينت) له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها (أي: جامعها)، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك! قال: فغضب. وقال تركتني حتى تلطخت ثم أخبرتني بابني! فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في غاير ليلتكما».

قال: فحملت، قال: فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه. وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً (أي: لا يدخلها ليلاً) فدنا من المدينة فصر بها المخاض (أي: طلق الولادة)، فاحتسب عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ.

قال: يقول أبو طلحة: إنك تعلم - يا رب - أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتسبت بها ترى.

قال: تقول أم سليم: يا أبا طلحة، ما أجد الذي كنت أجد؛ فانطلق. فانطلقنا.

قال: وصر بها المخاض حين قدما، فولدت غلاماً، فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به إلى رسول الله ﷺ.

قال: فصادفته ومعه ميسم، فلما رآني قال: «لعل أم سليم ولدت؟».

قلت: نعم، فوضع الميسم، قال: وجئت به فوضعت في حجره، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة، فلاكها في فيه حتى ذابت ثم قذفها في الصبي، فجعل الصبي يتلمظها. قال: فقال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى حب الأنصار التمر».

قال: فمسح وجهه وسماه عبد الله.

— البصريحُ من الأَشْرَفِ بِحُطْبِ النَّبِيِّ ﷺ — 283 —

قال سُفْيَانُ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: قَرَأْتُ لَهَا تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ.
يعني من أولادِ عبدِ اللهِ المدعو لهُ بِالْبَرَكََةِ الَّذِي وُلِدَ مِنْ جَمَاعِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي
مَاتَ فِيهَا أَبُو عُمَيْرٍ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَاعِبُهُ قَائِلًا لَهُ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ».
ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ
أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا جَاءَ يَقُولُ
لَهُ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ».

وَالنُّغَيْرُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ طَائِرٌ أَحْمَرُ الْمِنْقَارِ يَشْبَهُ الْعُصْفُورَ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ
فَحَزَنَ عَلَيْهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَقْبِلُهُ، وَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ مَزَاحًا وَمُدَاعِبًا.
أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى صَبْرِ أُمِّ سُلَيْمٍ وَعِظَمِ إِيْمَانِهَا وَكَمَالِ دِينِهَا وَعَقْلِهَا،
فَهِيَ لَمْ تَجْزَعْ وَلَمْ تَهْلَعْ كِعَادَةِ النِّسَاءِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ، وَلَكِنْ تَصَبَّرَتْ وَتَجَلَّدَتْ، فَكَانَ
جَزَاؤُهَا أَنْ بَارَكَ اللَّهُ لَهَا فِي ذُرِّيَّتِهَا.

كما في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ»⁽²⁾ عَنْ
رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي
مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ، وَقَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتَّقَاءَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَّا
أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ».

قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مَنَاقِبٌ لِأُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مِنْ عِظَمِ
صَبْرِهَا وَحُسْنِ رِضَاهَا بِقَضَاءِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَجِزَالَةِ عَقْلِهَا فِي إِخْفَائِهَا مَوْتَهُ عَلَى أَبِيهِ
فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ؛ لِيَبَيِّنَ مُسْتَرِيحًا بِلَا حُزْنٍ، ثُمَّ عَشَّتُهُ، وَتَعَشَّتْ، ثُمَّ تَصَنَعَتْ لَهُ،

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6129)، وَمُسْلِمٌ (2150).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (78/5)، وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الْوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (1489).



وَعَرَّضَتْ لَهُ بِإِصَابَتِهِ، فَأَصَابَهَا. وَفِيهِ اسْتِعْمَالُ الْمَعَارِضِ عِنْدَ الْحَاجَةِ؛ لِقَوْلِهَا: «هُوَ أَسْكَنُ مِمَّا كَانَ» فَإِنَّهُ كَلَامٌ صَحِيحٌ مَعَ أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ هَانَ مَرَضُهُ وَسَهَّلَ وَهُوَ فِي الْحَيَاةِ وَشَرَطُ الْمَعَارِضِ الْمُبَاحَةِ إِلَّا يَضِيعُ بِهِ حَقُّ أَحَدٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ⁽¹⁾.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَضَرَبُهَا لِمَثَلِ الْعَارِيَةِ دَلِيلٌ لِكَمَالِ عِلْمِهَا وَفَضْلِهَا، وَعِظَمِ إِيمَانِهَا وَطَمَأْنِينَتِهَا»⁽²⁾.

اللَّهُمَّ ارْضَ عَن أُمِّ سُلَيْمٍ وَوَلَدِهَا أَنَسٍ وَعَبْدِ اللَّهِ وَزَوْجِهَا أَبِي طَلْحَةَ وَاجْمَعْ بَيْنَهُمْ مَعَ أَبِي عُمَيْرٍ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى.
اللَّهُمَّ بِحُبِّنَا هُمْ فِيكَ احْشُرْنَا مَعَهُمْ.

(1) «شرح مسلم» (ص 1347).

(2) «شرح مسلم» (ص 1493).

سعيد بن المسيب (1)

29

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْبَقَرَةُ: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزَابُ: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ عَالِمِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَسَيِّدِ
التَّابِعِينَ فِي زَمَانِهِ إِنَّهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ تَلْمِذُ الصَّحَابَةِ وَوَلَدُ لِسْتَيْنِ مَضْنَا مِنْ خِلَافَةِ
عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قال الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ: رَأَى عُمَرَ، وَسَمِعَ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَأَبَا
مُوسَى، وَسَعْدًا وَعَائِشَةَ، وَابْنَ عَبَّاسٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ وَخُلُقًا سِوَاهُمْ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - .

(1) انظر «الطبقات» لابن سعد، و«تاريخ الإسلام» للذهبي، و«البداية والنهائة» لابن كثير، و«السيرة» للذهبي.



وقال: وكان يَمُنُّ بَرَزَ في العلم والعمل.

أيها الناس لقد كان سعيداً من الممتحنين امتحن فلم تأخذه في الله لومة لائم، صاحب عبادة وجماعة وعفة وقناعة وكان كاسميه بالطاعات سعيداً، ومن المعاصي والجهالات بعيداً.

أيها الناس سأقتصر معكم على ذكر جوانب مُشْرِقة من حياة هذا الإمام. فمن تلك الجوانب المشرقة في حياة سعيد بن المسيب - أيها الناس - حرصه على العلم فقد أنفق عمره في تحصيل العلم.

يقول عن نفسه: «إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد».

وفي كنف الصحابة أخذ ينهل من نبع العلم الصافي كما كان زواجه من ابنة الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه المنحة الربانية التي هيأت له الفرصة لسماع مئات الأحاديث من ذاكرة الوحي حتى صار أثبت الناس وأعلمهم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، كما كان مُغرماً بتتبع أفضية عمر وتعلمها حتى قيل له (راويته عمر). وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يرسل إليه يسأله عنها.

قال أبو طالب: قلت لأحمد بن حنبل: سعيد بن المسيب عن عمر حجة؟

قال: هو عندنا حجة قد رأى عمر وسمع منه إذا لم يقبل سعيد عن عمر فمن يقبل؟!

ومع طول المثابرة والجِدِّ والاجتهاد صار سعيد عالم أهل المدينة بلا مُدافعة وإمام فقهاؤها السبعة الذين كانوا الواصل الحقيقي بين عصر الصحابة وعصور المذاهب الفقهية فيقول: «ما أحد أعلم بقضاء قضاء رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر مني».

وقال عنه قتادة: «ما أحد أعلم من سعيد بن المسيب».

— النصح من الأشراف **عبد بن مسعود** —

وعن مكحول قال: «طُفَّتْ الْأَرْضُ كُلُّهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَمَا لَقِيتُ أَحَدًا مِنْ سَعِيدٍ».
وسأل رجل القاسم بن محمد عن شيء فقال: أسألت أحدًا غيري؟
قال: نعم، عروة وفلانا وسعيد بن المسيب.
فقال: أطع ابن المسيب فإنه سيدنا وعالمنا.
وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ يُشْكِلُ عَلَيْهِ يَقُولُ: «سَلُوا
سَعِيدَ بْنَ الْمَسِيْبِ فَإِنَّهُ كَانَ يُجْلِسُ الصَّالِحِينَ».
وقال علي بن المديني: «لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه، وإذا قال سعيدٌ
مَضَتِ السُّنَّةُ فَحَسْبُكَ بِهِ».

وقال أبو حاتم: «ليس في التابعين أنبل منه».
أيها الناس لا بُدَّ لنا أن لا نُغْفَلَ حَقِيقَةُ هَامَّةٍ هِيَ أَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي رَفَعَ سَعِيدَ بْنَ
الْمَسِيْبِ إِلَى سَمَاءِ الْمَجْدِ بَلَّ وَرَفَعَ أَيَّ أُمَّةٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ اللَّيْنَةُ الْأُولَى فِي صَرْحِ تَقْدُمِنَا
الْمُنشُودِ؛ فَالْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ الْمُسْتَقَى مِنْ رِيَاضِ الْكِتَابِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ طَرِيقُنَا إِلَى
إِمَامَةِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ!

واعلموا - أيها الناس - أن أي رقي بدون علم وهم وسراب ﴿كثير يبيعوه بحسبه
الظلمات مائة حوق إذا جاءه، لم يجده شيئاً﴾ .

ومن الجوانب المشرقة في حياة سعيد بن المسيب - أيها الناس - حرصه على
الصلاة في جماعة

فقد كان حريصًا على الصلاة في الجماعة فلم تفتت صلاةً ولهذا رفعه الله وبارك
في علمه.

فها هو - أيها الناس - يقول عن نفسه: «ما فاتتني الصلاة في الجماعة منذ أربعين سنة».



وقال رحمه الله: «من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البرّ والبحر عبادة».

وقال: «ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد».

وعن ميمون بن مهران قال: «إن سعيد بن المسيّب مكث أربعين سنة لم يلق القوم قد خرجوا من المسجد وفرغوا من الصلاة».

وعن بريد مولى ابن المسيّب قال: «ما نوديت للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد».

وعن إسماعيل بن أمية عن سعيد بن المسيّب قال: «ما دخل عليّ وقت صلاة إلا وقد أخذت أهبتها ولا دخل عليّ قضاء فريض إلا وأنا إليه مشتاق».

وعن قتادة قال: قال سعيد بن المسيّب ذات يوم: «ما نظرت في ألقاب قوم سبقوني بالصلاة منذ عشرين سنة».

ومن الجواب المشرقة في حياة سعيد بن المسيّب - أيها الناس - حرصه على صلاة الليل. فما ترك قيام الليل منذ عرف الإسلام حتى لقب (راهب قرين).

وكان يكثر من قول: «اللهم سلم سلم».

فإذا دخل الليل خاطب نفسه قائلاً: «قومي يا مأوى كل شر والله لأدعئك تزحفين زحف البعير».

فكان إذا أصبح وقدماه متفخخان يقول لنفسه: «بدا أمرت ولذا خلقت».

وعن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال: «صلى سعيد بن المسيّب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة».

ومن الجواب المشرقة في حياة سعيد بن المسيّب - أيها الناس - زهده في الدنيا.

— الفَيْضُ مِنَ الْأَشْفِ فِي حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ —

289

فَقَدْ كَانَ يَعِيشُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ لَهُ أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ يَتَجَرُّ بِهَا فِي الزَّيْتِ وَيَقُولُ عَنْ هَذَا الْمَالِ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَمْسِكْهُ بُخْلًا وَلَا حِرْصًا عَلَيْهِ وَلَا مَحَبَّةً لِلدُّنْيَا وَنَبِيلِ شَهَوَاتِهَا وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَصُونَ بِهِ وَجْهِي عَنْ بَنِي مَرْوَانَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ فَيَحْكُمَ فِيَّ وَفِيهِمْ وَأَصِلَ مِنْهُ رَحْمِي وَأُوَدِّي مِنْهُ الْحَقُوقَ الَّتِي فِيهِ وَأَعُودَ مِنْهُ عَلَى الْأَزْمَلَةِ وَالْفَقِيرِ وَالْمَسْكِينِ وَالْيَتِيمِ وَالْجَارِ».

وَكَانَ مِنْ أَوْرَعِ النَّاسِ فِيمَا يَدْخُلُ بَيْتَهُ وَبَطْنَهُ.

فَعَنْ طَلْحَةَ الْخُزَاعِيِّ قَالَ: «كَانَ فِي رَمَضَانَ يُؤْتَى بِالْأَشْرِبَةِ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَيْسَ أَحَدٌ يَطْمَعُ أَنْ يَأْتِيَ سَعِيدُ بْنُ الْمَسَيَّبِ بِشَرَابٍ فَيَشْرَبَهُ فَإِنْ أَتَى مِنْ مَنْزِلِهِ بِشَرَابٍ شَرِبَهُ وَإِنْ لَمْ يُؤْتِ مِنْ مَنْزِلِهِ بِشَيْءٍ لَمْ يَشْرَبْ شَيْئًا حَتَّى يَنْصَرِفَ».

وَمِنْ أَقْوَالِهِ: «مَنْ اسْتَغْنَى بِاللَّهِ افْتَقَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ».

وَقَوْلِهِ: «الدُّنْيَا نَذْلَةٌ وَهِيَ إِلَى كُلِّ نَذْلٍ أَمِيلٌ وَأَنْذَلُ مِنْهَا مَنْ أَخَذَهَا مِنْ غَيْرِ وَجْهَهَا وَوَضَعَهَا فِي غَيْرِ سَبِيلِهَا».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.



الخطبة الثانية - كيف زوج سعيد بن المسيب ابنته⁽¹⁾ :
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدّم الحديث معكم - أيها الناس - عن سعيد بن المسيب وبعض من
الجوانب المشرقة في حياته، والآن حديثي معكم عن قصة زواج سعيد بن المسيب
ابنته بدرهمين.

أيها الناس لقد تزوج سعيد بن المسيب بابنة أبي هريرة رضي الله عنه فكان صهره
وكان إذا رآه قال: «أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة».

وقد أكثر عن الرواية عنه ولم ينبغ في الحديث والفقهِ جلس للتدريس وتعلّم
عليه كبار علماء زمانه ومنهم سالم بن عبد الله بن عمر ومحمد بن شهاب الزهري،
وقتادة، وعمرو بن دينار، وكان من بينهم تلميذ يدعى كثير بن أبي وداعة فقدده أياماً
ثم جاء ولندعه يحكي لنا قصته كما جاءت في طبقات ابن سعد وجليه الأولياء وسير
أعلام النبلاء.

قال ابن أبي وداعة رحمه الله: «كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً، فلما
جئته قال: أين كنت؟

قلت: توفيت أهلي فانشغلت بها!

فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة؟

فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟

فقال: أنا.

(1) انظر الطبقات لابن سعد (5/138) وجليه الأولياء (2/16)، السير (4/217).



عليه فرَدَّ عليَّ السَّلامَ، ولم يُكَلِّمَنِي حَتَّى تَفَوَّضَ - تَفَرَّقَ - المَجْلِسُ، فَلَمْ يَبْقَ غَيْرِي،
فَقَالَ: ما حالُ ذلِكَ الإنسانِ؟

فقلتُ: خيراً يا أبا مُحَمَّدٍ علي ما يُحِبُّ الصَّدِيقُ وَيَكْرَهُ العَدُوُّ، فانصَرَفْتُ إلى منزلي
فَوَجَّهَ لي بعشرين ألفِ دِرْهَمٍ.

قالَ عبدُ اللهِ بنُ سُلَيْمانَ: وكائتُ بنتُ سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ قَدْ خَطَبَها عبدُ
المَلِكِ بنِ مَرْوانَ لابنِهِ الوَلِيدِ حينَ ولاءِ العَهْدِ، فأبى سَعِيدُ أن يُزَوِّجَها وزَوَّجَها
بأحدِ طُلَّابِهِ!

نور الدين محمود (1)

30

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابلات : 102).

- ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهِمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب : 1).

- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاجتهاد : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ عَلَمٍ مِنْ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ وَعَنْ قَائِدٍ مِنْ قَادَتِهِ الْعِظَامِ مِنْ أَهْلِ الْهِمَمِ الْقَوِيَّةِ وَالْعَزَائِمِ الْمَرْضِيَّةِ إِنَّهُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَقِيُّ الْمُلُوكِ وَلَيْثُ الْإِسْلَامِ كَمَا وَصَفَهُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (2).

وَقَالَ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وُلِدَ وَقْتَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةَ بِحَلَبَ، وَنَشَأَ فِي كِفَالَةِ وَالِدِهِ صَاحِبِ حَلَبَ، وَالْمَوْصِلَ، وَغَيْرِهَا مِنْ الْبُلْدَانِ الْكَثِيرَةِ الْكَبِيرَةِ. تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ،

(1) انظر «الهمة العالية» لمحمد بن إبراهيم الحمد فقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة جزاءه الله خيرا.

(2) «السيرة» (531/20).



والفروسية، والرّمي، وكان شهماً، شجاعاً، ذا همّة عالية، وقصد صالح، وحزمة وإفرة، وديانة بيّنة⁽¹⁾.

أيها الناس لقد جمع الله - سبحانه وتعالى - لنور الدين من المناقب الشيء الكثير، وآتاه من مهيئات النبوغ، ومقومات الأملية ما يجعله يتبوأ مكانة عالية ومنزلة سامية في تاريخ الأمة الإسلامية.

فمن تلك الصفات التي اتصف بها نور الدين محمود التقوى والصّلاح. فلقد كان نور الدين تقيّاً، صالحاً، ورعاً زاهداً ذا تأله وعبادة، وأوراد، وقيام. قال ابن الأثير رحمه الله متحدّثاً عن نور الدين: «فمن ذلك زهده، وعبادته وعلمه، فإنه كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرّف إلا في الذي يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهم من الغنيمه ومن الأموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكّت إليه زوجته من الضائقة، فأعطاهها ثلاثة دكاكين في حمص، كانت له يحصل له منها في السنة نحو العشرين ديناراً.

فلما استقلّتها قال: ليس لي إلا هذا، وجميع ما بيدي أنا فيه خازن للمسلمين فيه، ولا أخوض نار جهنم لأجلك.

وكان يصلي كثيراً بالليل، وله أوراد حسنة، وكان كما قيل:

جمع الشجاعة والخشوع لربه ○○○ ما أحسن المحراب في المحراب

وكذلك كانت زوجته عصمت الدين خاتون تكثير القيام في الليل.

فألبس الله هاتيك العظام وإن ○○○ بلين تحت الثرى عفواً وغفرانا

(1) «البداية والنهاية» (299/12).

سَقَى تَرَى أَوْ دِعْوُهُ رَحْمَةً مَلَأَتْ ○○○ مَثْوَى قُبُورِهِمْ رَوْحًا وَرِيحَانًا⁽¹⁾

وقال الذهبي رَحْمَةُ اللَّهِ : «كَانَ نَوْرُ الدِّينِ مَلِيحَ الحَطِّ، كَثِيرَ المَطَالَعَةِ، يُصَلِّي فِي جَمَاعَةٍ، وَيَصُومُ، وَيَتَلُو، وَيُسَبِّحُ، وَيَتَحَرَّى فِي القُوْتِ، وَيَتَجَنَّبُ الكِبْرَ، وَيَتَشَبَّهُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْأَخْيَارِ، ذَكَرَ هَذَا وَنَحْوَهُ الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ⁽²⁾ .

وقال سبط ابن الجوزي رَحْمَةُ اللَّهِ : «كَانَ لَهُ عَجَائِزٌ، فَكَانَ يَخِيْطُ الكَوَافِي، وَيَعْمَلُ السَّكَاكِرَ، فَيَبِيعُهَا سِرًّا، وَيُقَطِّرُ عَلَى ثَمَنِهَا⁽³⁾ .

وَمِنَ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا نَوْرُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - العَدْلُ .
فَكَانَ مُتَحَرِّيًا للعَدْلِ فِي كَافَةِ أُمُورِهِ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي العَدْلِ بَلْ إِنَّهُ كَانَ يُسَمَّى المَلِكِ العَادِلِ .

قال ابن الأثير رَحْمَةُ اللَّهِ : «وَقَدْ طَبَقَ الأَرْضَ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ، وَعَدْلِهِ، وَقَدْ طَالَعْتُ سِيرَةَ المُلُوكِ المَتَقَدِّمِينَ فَلَمْ أَرَ بَعْدَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَعُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ أَحْسَنَ مِنْ سِيرَتِهِ، وَلَا أَكْثَرَ تَحَرُّيًا مِنْهُ للعَدْلِ⁽⁴⁾ .

وقال الذهبي رَحْمَةُ اللَّهِ : «صَاحِبُ السَّامِ المَلِكِ العَادِلِ نَوْرُ الدِّينِ⁽⁵⁾ .

وقال : «وَكَانَ نَوْرُ الدِّينِ حَامِلَ رَايَتِي العَدْلِ وَالجِهَادِ قَلَّ أَنْ تَرَى العُيُونَ مِثْلَهُ⁽¹⁾ .

(1) انظر «الكامل» لابن الأثير (6/125)، و«البداية والنهائة» لابن كثير (12/300).

(2) «السيرة» (20/533).

(3) «السيرة» (20/537).

(4) «السيرة» (20/538).

(5) «السيرة» (20/531).



— الشيخُ من الأَشْرَفِ فِي حَيْضَةِ الْإِسْتِزَارِ — 297 —

وقال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وكانَ يَقُومُ بِأَحْكامِهِ بِالْمُعَدَلَةِ الْحَسَنَةِ، وَاتِّبَاعِ الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ، وَيَعْقِدُ مَجَالِسَ الْعَدْلِ، وَيَتَوَلَّاهَا بِنَفْسِهِ، وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْقَاضِي وَالْفُقَهَاءُ وَالْمُفْتُونَ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ.

وَيَجْلِسُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ فِي الْمَسْجِدِ الْمُعَلَّقِ الَّذِي بِالْكُشْكِ؛ لِيَصِلَ إِلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ حَتَّى يُسَاوِيَهُمْ»⁽¹⁾.

وَمِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْغَيْرَةُ الصَّادِقَةُ. فَقَدْ كَانَ ذَا غَيْرَةٍ صَادِقَةٍ عَلَى دِينِ اللهِ وَعَلَى مَحَارِمِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَقَدْ تَفَتَّحَتْ عَيْنَاهُ عَلَى أَحْوالِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَرَدِّيةِ، وَعَلَى هَزَائِمِهِمُ الْمُتَلاحِقَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ يُؤَلِّمُهُ أَشَدَّ الْأَلَمِ فَكَانَ قَلِيلَ الْإِبْتِسَامِ فَلَمَّا وَعَظَهُ إِمَامُهُ أَنَّ الْإِبْتِسَامَ مِنْ وَصَايَا النُّبُوَّةِ قَالَ لَهُ نُورُ الدِّينِ: لَا تُؤَاخِذْنِي - أَيُّهَا الشَّيْخُ - كَيْفَ أَبْتَسِمُ وَآلَافُ الْمُسْلِمَاتِ سَبَايَا عِنْدَ كَفَّارٍ لَا يَتَّقُونَ وَلَا يَرْحَمُونَ؟ وَكَيْفَ أَبْتَسِمُ وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى يُدَنِّسُهُ الْعَدُوُّ؟⁽²⁾.

وَمِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْهَمَّةُ الْعَالِيَةُ. فَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللهُ ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، وَنَفْسٍ كَبِيرَةٍ طَمَاحَةٍ.

لَهُ هِمَمٌ لَا مُتَهَيِّ لِكِبَارِهَا ○○○ وَهَمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ

فَقَدْ كَانَتْ كُلُّ أُمْنِيَّتِهِ فَتَحَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَتَطَهَّرَهَا مِنْ رِجْسِ الصَّلِيبِ. وَمَا يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ هِمَّتِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي حَلَبَ وَقَدْ تَسَلَّطَ الصَّلْبِيُّونَ وَسَيَّطَرَتْهُمْ عَلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ أَنَّهُ قَامَ بِعَمَلِ مِنْبَرٍ عَظِيمٍ وَبَالَغَ فِي تَحْسِينِهِ وَإِتْقَانِهِ وَقَالَ: هَذَا عَمَلُنَا؛ لِيُنْصَبَ فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ.

(1) «الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (12/299).

(2) انظُرْ «أَبْطَالٌ وَمَوَاقِفُ» (ص 434) بِوَسِطَةِ «الْهَمَّةِ الْعَالِيَةِ» (283).



وقد حقق الله له أمنيته، ففتحت بيت المقدس على يد تلميذه صلاح الدين ونُصبَ فيها المنبرُ وذلك بعد وفاة نور الدين رحمه الله.

قال ابن الأثير رحمه الله: «إن نور الدين محمودًا كان قد عمل بحلب منبرًا أمر الصنائع بالمبالغة في تحسينه وإتقانه وقال: هذا عملنا؛ ليُنصبَ بالبيت المقدس، فعمله النجارون في عدة سنين لم يعمل في الإسلام مثله، فأمر بإخضاره، فحُمِلَ مِنْ حَلَبَ، ونُصبَ بالقدس. وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة، وكان هذا من كرامات نور الدين وحسن مقاصده»⁽¹⁾.

ومن تلك الصفات التي اتصف بها نور الدين محمود - أيها الناس - الشجاعة. قال ابن الأثير رحمه الله: «وأما شجاعته فإليها النهاية وكان في الحرب يأخذ قوسين وتركشين (أي: جعبة السهام) ليقاتل بها. فقال القطب النيسابوري الفقيه: بالله عليك لا تخاطر بنفسك وبالإسلام؛ فإن أصبت في المعركة لا يبقى من المسلمين أحد إلا أخذة السيف. فقال له نور الدين: ومن محمود حتى يقال هذا؟ من قبلي حفظ الله البلاد والإسلام ذلك الله الذي لا إله إلا هو»⁽²⁾.

وقال ابن قسيم يصف شجاعته:

تبدو الشجاعة في طلاقه وجهه ○●○ كالرُمح دَلَّ على القساوة لينه
ووراء يُقظته أناء مجرب ○●○ لله سطوة بأسه وسكونه⁽³⁾

(1) «الكامل» لابن الأثير (9/184، 185).

(2) «الكامل» لابن الأثير (9/125).

(3) الروضتين (1/57)، وانظر «الأدب العربي» (ص70).

وقال الذهبي رحمه الله: «وكان بطلا شجاعا، وافر الهيبة، حسن الرمي، مليح الشكل، ذا تعبد وخوف وورع، وكان يتعرض للشهادة سمعه كاتبه أبو اليسر يسأل الله أن يخشعه من بطون السباع وحواصل الطير»⁽¹⁾.

وقال: «قال ابن واصل: كان من أقوى الناس قلبا وبدنا، ولم ير على ظهر فرس أحد أشد منه، كأنها خلق عليه ليتحرك»⁽²⁾.

وقال الذهبي رحمه الله: «وكان يقول: طالما تعرضت للشهادة فلم أذكرها. قلت - أي الذهبي - قد أذكرها على فراشه، وعلى ألسنة الناس: نور الدين الشهيد»⁽³⁾.

ومن تلك الصفات التي اتصف بها نور الدين محمود - أيها الناس - الهيبة الوافرة والتواضع الجسم. فقد كان رحمه الله مهيبا وقورا، وفي الوقت نفسه كان جم التواضع لطيف المعشر، وتلك هي أخلاق العظماء.

قال ابن الأثير رحمه الله: «وكان وقورا مهيبا مع تواضعه وبالجملة فحسانته كثيرة، ومناقبه عزيزة لا يحتملها هذا الكتاب»⁽⁴⁾.

وقال الذهبي رحمه الله عن ابن عساكر: «وكان من رآه شاهد من جلال السلطنة وهيبته ما يبهره فإذا فاوضه رأى من لطافته ما يحيره، حكى من صاحبه حضرا وسفرا أنه ما سمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في صجره»⁽⁵⁾.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقد كان مهيبا وقورا شديد الهيبة في قلوب الأمراء لا يتجاسر أحد أن يجلس بين يديه إلا ياذنه.

(1) «السيرة» (532/20).

(2) «السيرة» (537/20).

(3) «السيرة» (537/20).

(4) «الكامل» (126/9).

(5) «السيرة» (533/20).



قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ : «وكان يُكْرِمُ العلماءَ، وأهلَ الدينِ، ويُعْظِمُهُمْ، ويقومُ إليهم، ويجلسُ معهم، وينبسطُ معهم، ولا يردُّ لهم قولاً، ويكاتبُهُم بِحُطِّ يَدِهِ»⁽¹⁾.

قال ابن عساكِرَ رَحِمَهُ اللهُ : «روى الحديثَ، وأسمَعَهُ بالإجازة»⁽²⁾.

وأمَّ جهادُهُ - أيها الناس - فكأنَّهُ لم يُخلَقْ إلا لذلك.

قال الموفقُ عبدُ اللطيفِ : «كان نورُ الدينِ لم ينشَفْ له ليدٌ من الجهاد»⁽³⁾.

وقال ابنُ الأثيرِ رَحِمَهُ اللهُ : «وكان قد اتَّسعَ ملكُهُ جدًّا، وخطبَ له بالحرَمينِ الشَّريقتينِ، وباليمَن»⁽⁴⁾.

وقال الحافظُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ : «أقامَ الحدودَ، وفتحَ الحصونَ، وكسَرَ الفرنجَ مرارًا عديدةً واستنقذَ من أيديهم معاقِلَ كثيرةً»⁽⁵⁾.

وقال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللهُ : «جاهدَ وانتزعَ من الكُفَّارِ نيقًا وخمسينَ مَدِينَةً وحصنًا، وبَنَى بالموصلِ جامِعًا غرِمَ عليه سبعينَ ألفَ دينارٍ، وتركَ المكوسَ قَبْلَ موتهِ، وبعثَ جنودًا ففتحوا مِصرَ، وكان يميلُ إلى التواضعِ وحبِّ العلماءِ والصُّلحاءِ، وكاتبني مرارًا، وعزَمَ على فتحِ بَيْتِ المقدسِ فتوفِّي في شوالِ سنةِ تسعٍ وستينَ وخمسمائةً»⁽⁶⁾.

قلتُ: قد حقَّقَ اللهُ له أُمْنِيَّتَهُ وفتحَ بيتَ المقدسِ على يدِ تلميذِهِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ رَحِمَهُ اللهُ الجميعَ.
وأستغفرُ اللهَ.

(1) «الكامل» (9/125).

(2) «السِّيَرُ» (20/533).

(3) «السِّيَرُ» (20/534).

(4) «الكاملُ» (9/125).

(5) «البدائيَّةُ والنهائيَّةُ» (12/299).

(6) «السِّيَرُ» (20/535 - 536).



الخطبة الثانية - ما أكرم الله به نور الدين محمود :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «سِيَرَةِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ
رَحِمَهُ اللَّهُ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «بَعْضِ مَا أكَرَمَهُ اللَّهُ بِهِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَعْظَمَ مَا أكَرَمَ اللَّهُ بِهِ نُورَ الدِّينِ مُحَمَّدٍ تِلْكَ الرَّؤْيَا الظَّاهِرَةُ
العظيمةُ إِنَّهُ رَأَى فِي الْمَنَامِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نَوْمِهِ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى رَجُلَيْنِ أَشَقَرَيْنِ،
ويقول: أَنْجِدْنِي أَنْقِذْنِي مِنْ هَذَيْنِ، فَاسْتَيْقَظَ فَرَعَا وَصَلَّى وَنَامَ فَرَأَى الْمَنَامَ بِعَيْنِهِ
فَاسْتَيْقَظَ وَصَلَّى وَنَامَ فَرَأَاهُ - أَيْضًا - مَرَّةً ثَالِثَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَالَ: لَمْ يَبْقَ نَوْمٌ. وَكَانَ لَهُ
وَزِيرٌ مِنَ الصَّالِحِينَ يَقَالُ لَهُ جَمَالَ الدِّينِ الْمُوَصِّلِيَّ فَأَرْسَلَ خَلْفَهُ لَيْلًا وَحَكَى لَهُ جَمِيعَ مَا
اتَّفَقَ لَهُ فَقَالَ لَهُ: وَمَا قُعُودُكَ أَخْرَجَ الْآنَ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ وَانْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ. فَجَهَّزَ فِي
بَقِيَّةِ لَيْلَتِهِ وَخَرَجَ عَلَى رَوَاحِلَ خَفِيفَةٍ فِي عَشْرِينَ نَفْرًا وَصُحْبَتُهُ الْوَزِيرُ الْمَذْكُورُ وَمَالٌ
كثيرة فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا فَاغْتَسَلَ خَارِجَهَا وَدَخَلَ فَصَلَّى بِالرَّوَضَةِ وَزَارَ
ثُمَّ جَلَسَ لَا يَذْرِي مَاذَا يَصْنَعُ. فَقَالَ الْوَزِيرُ وَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي الْمَسْجِدِ: إِنَّ
السُّلْطَانَ قَدْ قَصَدَ زِيَارَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَحْضَرَ مَعَهُ أَمْوَالًا لِلصَّدَقَةِ فَانْكَبُوا مَنْ عِنْدَكُمْ
فَكُتِبُوا أَهْلُ الْمَدِينَةِ كُلُّهُمْ وَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِحُضُورِهِمْ، وَكُلُّ مَنْ حَضَرَ لِيَأْخُذَ بِتَأْمَلِهِ
لِيَجِدَ فِيهِ الصَّفَةَ الَّتِي أَرَاهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلَا يَجِدُ تِلْكَ الصَّفَةَ فَيُعْطِيهِ وَيَأْمُرُهُ بِالانْصِرَافِ
إِلَى أَنْ انْفَضَّ النَّاسُ، فَقَالَ السُّلْطَانُ: هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا مِنَ الصَّدَقَةِ، قَالُوا:
لَا، فَقَالَ: تَفَكَّرُوا وَتَأْمَلُوا، فَقَالُوا: لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا رَجُلَيْنِ مَغْرِبِيِّينِ لَا يَتَنَاوَلَانِ مِنْ
أَحَدٍ شَيْئًا وَهُمَا صَالِحَانِ غَنِيَّانِ يُكْثِرَانِ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمَحَاوِجِ، فَانْشَرَحَ صَدْرُهُ وَقَالَ:
عَلَيَّ بِهِمَا. فَأُتِيَ بِهِمَا فَرَأَاهُمَا الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمَا بِقَوْلِهِ: «أَنْقِذْنِي مِنْ

303 - البصيح من الأشرفي بخط ابن الأثير

نَدَيْنِ». فَقَالَ لَهَا: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ فَقَالَا: مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ جِئْنَا حَاجِّينَ فَاخْتَرْنَا
لِمَجَاوَرَةٍ فِي هَذَا الْعَامِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَصْدُقَانِي، فَصَمَّمَا عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ:
بَيْنَ مَنْزِلَيْهِمَا؟ فَأَخْبَرَ بِأَنْتَهُمَا فِي رِبَاطِ بِقُرْبِ الْحُجْرَةِ فَأَمْسَكَهُمَا وَحَضَرَ إِلَى مَنْزِلَيْهِمَا فَرَأَى
بِهِ مَالًا كَثِيرًا وَخَتَمَتَيْنِ وَكُتُبًا فِي الرَّقَائِقِ وَلَمْ يَرَ فِيهِ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ فَأَنْتَى عَلَيْهِمَا أَهْلُ
لَمَدِينَةِ بَخِيرٍ كَثِيرٍ وَقَالُوا: إِنَّهُمَا صَائِمَانِ الدَّهْرَ مُلَازِمَانِ لِلصَّلَاةِ فِي الرَّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ
زِيَارَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَزِيَارَةَ الْبَقِيعِ كُلَّ يَوْمٍ بُكْرَةً وَزِيَارَةَ قُبَاءَ كُلِّ يَوْمٍ سَبْتٍ وَلَا يَرُدَّانِ
مِائِلًا قَطُّ بِحَيْثُ سَدَا خُلَّةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَذَا الْعَامِ الْمُجْدِبِ، فَقَالَ السُّلْطَانُ: سَبْحَانَ
لَهُ، وَلَمْ يُظْهَرْ شَيْئًا مِمَّا رَأَهُ. وَبَقِيَ السُّلْطَانُ يَطُوفُ فِي الْبَيْتِ بِنَفْسِهِ فَرَفَعَ حَصِيرًا فَرَأَى
رُزْدَابًا مَخْفُورًا يَنْتَهِي إِلَى صَوْبِ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ.

فَارْتَاعَ النَّاسُ لِذَلِكَ وَقَالَ السُّلْطَانُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَصْدُقَانِي حَالِكُمَا، وَضَرَبَهُمَا
ضَرْبًا شَدِيدًا فَاعْتَرَفَا بِأَنْتَهُمَا نَضْرَانِيَانِ بَعَثَهُمَا النَّصَارَى فِي زِيِّ الْحُجَّاجِ الْمَغَارِبَةِ
أَمْوَالَهُمَا بِأَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ وَأَمْرُوهُمَا بِالتَّحْيِيلِ عَلَى شَيْءٍ عَظِيمٍ خَيَّلَتْهُ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ
تَوَهَّمُوا أَنْ يُمَكِّنَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ وَهُوَ الْوُصُولُ إِلَى الْجَنَابِ الشَّرِيفِ وَيَفْعَلُوا بِهِ مَا زَيْنَهُ
سَمَ إبْلِيسُ فِي النَّقْلِ وَمَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ فَتَزَلَا فِي أَقْرَبِ رِبَاطِ إِلَى الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ وَفَعَلَا
أَتَقَدَّمَ وَصَارَا يَخْفِرَانِ لَيْلًا وَلِكُلِّ مِنْهُمَا مِحْفَظَةٌ جَلِدٌ عَلَى زِيِّ الْمَغَارِبَةِ، وَالَّذِي يَجْتَمِعُ
نِ التَّرَابِ يَجْعَلُهُ كُلُّ مِنْهُمَا فِي مِحْفَظَتِهِ وَيَجْرُجَانِ لِإِظْهَارِ زِيَارَةِ الْبَقِيعِ فَيُلْقِيَانِهِ بَيْنَ
قُبُورِ وَأَقَامَا عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً فَلَمَّا قُرْبَا مِنَ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ أَرَعَدَتِ السَّمَاءُ وَأَبْرَقَتْ
حَصَلَ رَجِيفٌ عَظِيمٌ بِحَيْثُ خُيِّلَ انْقِلَاعُ تِلْكَ الْجِبَالِ فَقَدِمَ السُّلْطَانُ صَبِيحَةَ تِلْكَ
لَيْلَةٍ وَاتَّفَقَ إِمْسَاكُهُمَا وَاعْتِرَافُهُمَا فَلَمَّا اعْتَرَفَا وَظَهَرَ حَالُهُمَا عَلَى يَدَيْهِ وَرَأَى تَاهِيلَ
بِهِ لَهُ لِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا وَأَمَرَ بِضَرْبِ رِقَابِهِمَا فَقُتِلَا تَحْتَ الشُّبَّاكِ
بِئْسَ يَلِي الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ وَهُوَ مِمَّا يَلِي الْبَقِيعِ ثُمَّ أَمَرَ بِاحْتِضَارِ رِصَاصٍ عَظِيمٍ وَحَفَرَ



خَنَدَقًا عَظِيمًا إِلَى الْمَاءِ حَوْلَ الْحَجْرَةِ الشَّرِيفَةِ كُلِّهَا وَأُذِنَبَ ذَلِكَ الرَّصَاصُ وَمَلَأَ بِهِ
الْحَنَدَقَ فَصَارَ حَوْلَ الْحَجْرَةِ الشَّرِيفَةِ سُورًا رِصَاصًا إِلَى الْمَاءِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مُلْكِهِ وَأَمَرَ
بِإِضْعَافِ النَّصَارَى وَأَمَرَ أَنْ لَا يُسْتَعْمَلَ كَافِرٌ فِي عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ وَأَمَرَ مَعَ ذَلِكَ
بِقَطْعِ الْمُكُوسِ جَمِيعِهَا⁽¹⁾.

والحمد لله أولاً وأخيراً وظاهرًا وباطنًا.

اللَّهُمَّ ارْحَمْ نَوْرَ الدِّينِ مُحَمَّدَ وَاعْفِرْ لَهُ ذَنْبَهُ اللَّهُمَّ انصُرْ دِينَكَ وَأَعْلِ كَلِمَتَكَ
وَاجْعَلْنَا مِنْ أَنْصَارِ دِينِكَ وَخُذْ بِأَيْدِينَا إِلَى مَا فِيهِ رِضَاكَ اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ
وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

(1) ذكرها المحدث حمود التوحيدي رحمه الله في كتابه «الرؤيا» (ص 100-102).

وذكر مَصَدَرَهَا هُنَاكَ عَنِ ابْنِ النَّجَّارِ فِي كِتَابِهِ «ذَيْلُ تَارِيخِ بَغْدَادَ» وَالْفَاسِي فِي كِتَابِهِ «الْعَقْدُ الثَّمِينُ فِي
تَارِيخِ الْبَلَدِ الْأَمِينِ» وَابْنُ الْجَزْرِيِّ فِي كِتَابِهِ «إِتْحَافُ الْوَرَى بِأَخْبَارِ أُمَّ الْقُرَى» وَالسَّنْهُودِيُّ فِي كِتَابِهِ
«وَفَاءُ الْوَفَاءِ بِأَخْبَارِ دَارِ الْمُصْطَفَى».

الفهرس



الفهرس

الصفحة	الموضوع
5	المُقدِّمةُ
	- العَقِيْدَةُ
7	1- عِظْمَةُ اللهِ.
15	- ثَمَارُ تَعْظِيْمِ اللهِ.
19	2- الخَوْفُ مِنْ اللهِ.
26	- اَسْبَابُ الخَوْفِ مِنْ اللهِ.
31	3- الرِّجَاءُ.
38	- وَصِيَّةُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ.
	- الرِّقَائِقُ
41	1- شَطْرُ الْاِيْمَانِ.
47	- مَا يَنْقُضُ الطَّهُوْرَ.
51	2- الْاِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ.
58	- عِظْمَةُ الصَّلَاةِ.
60	3- الخُشُوْعُ فِي الصَّلَاةِ.
64	- اَسْبَابُ الخُشُوْعِ فِي الصَّلَاةِ.
69	4- سُنَنُ قَلِّ الْعَمَلِ بِهَا.
78	- سُنَنُ مَنْسِيَّةٍ.

الصفحة	الموضوع
80	5- القلبُ السَّليمُ.
87	- صورٌ مُشْرِقةٌ لأصحابِ القلبِ السَّليمِ.
90	6- الفَرَجُ بعدَ الشَّدَّةِ.
97	- أسبابُ الفَرَجِ بعدَ الشَّدَّةِ.
100	7- الاغتداءُ في الدُّعاءِ.
107	- تَكْلُفُ السَّجْعِ في الدُّعاءِ.
109	8- الاستِقامةُ.
114	- أسبابُ الاستِقامةِ.
117	9- فَضْلُ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ.
124	- البُعدُ العَقْدِيُّ لِهَذِهِ الكَلِمَةِ العَظِيمَةِ «لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ».
126	10- السَّعَادَةُ.
133	- موانِعُ السَّعَادَةِ.
137	11- فضائلُ اليَمَنِ في الكِتابِ والسُّنَّةِ.
143	- فضائلُ بعضِ القَبائِلِ اليَمَانِيَّةِ.
147	12- الثَّبَاتُ على دِينِ اللَّهِ.
154	- من أسبابِ الثَّبَاتِ.
157	13- غزوةُ بَدْرٍ.
163	- فوائِدُ من غزوةِ بَدْرٍ.



الصفحة	الموضوع
	- الأذْبُ والأخلاق
165	1- علُوُّ الهِمَّةِ.
171	- علُوُّ هِمَّةِ سلمانَ في البَحْثِ عن الحقِّ.
175	2- أهْمِيَةُ النَّصِيحَةِ.
180	- آدابُ النَّصِيحَةِ.
185	3- فَضْلُ صَلَاةِ الرَّحِمِ.
192	- عُقُوبَةُ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ.
195	4- آدابُ الجِوَارِ.
201	- تحريمُ أذْيَةِ الجارِ.
206	5- الأمانةُ.
213	- من صِفاتِ الموظَّفِ.
217	6- خَطَرُ الدُّيُونِ.
223	- فَضْلُ إنْظَارِ المُعْسِرِ.
226	7- عِزَّةُ النَّفْسِ.
232	- الاستِغْنَاءُ عَنِ النَّاسِ.
236	8- مِنْ صِفاتِ المِراةِ المُسْلِمةِ.
246	9- من آدابِ النَّوْمِ.
254	- آدابِ الاستِيقاظِ من النَّوْمِ.
256	10- الأُخُوَّةُ في الله.
263	- مُفْسِداتُ الأُخُوَّةِ.

309 — البصيح من الأشراف بخط ابن كثير

الصفحة	الموضوع
266	11- نعمة الجوال .
272	- آداب استعمال الجوال .
	- قصص وعبر
276	1- أم سليم رضي الله عنها .
281	- صلابة أم سليم في دينها .
285	2- سعيد بن المسيب .
290	- كيف زوج سعيد بن المسيب ابنته؟! .
293	3- نور الدين محمود .
301	- ما أكرم الله به نور الدين محمود .



من أحدث إصدارات دار الإيمان

المواظبات الذهبية

زاد للخطيب والواعظ

تأليف

أبي عبد الله محمد بن فضال بن محمد بن قاسم السري

عنا الله عنه

دار الإيمانيات

بمكة المكرمة ١٤١٦ هـ

دار القسمة

بمكة المكرمة ١٤١٦ هـ

من أحدث إصدارات دار الإيمان

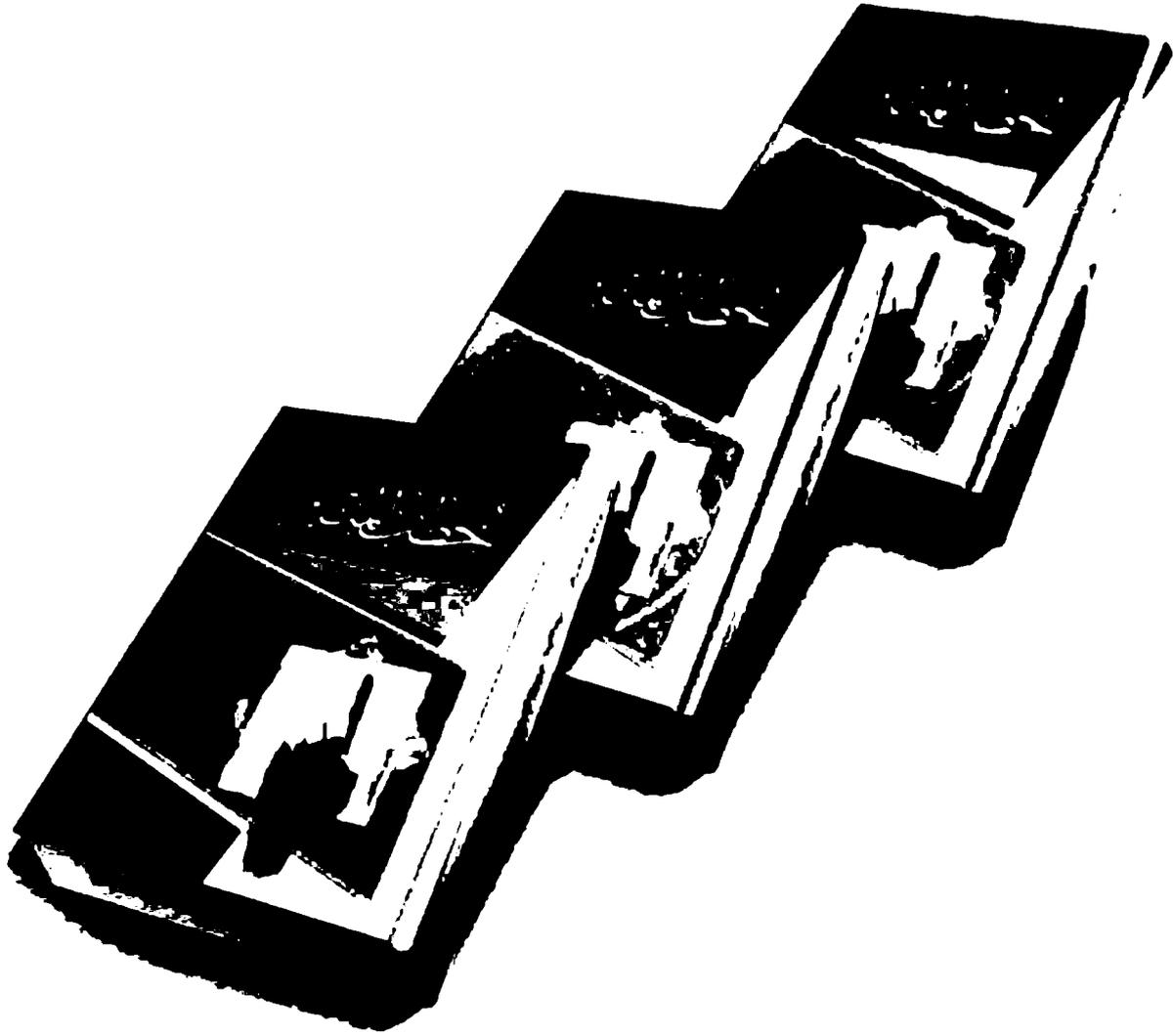
الإسراء

والتسليم لما قدر الله وقضى

تأليف

أبي عبد الله فضيل بن عمرو قائد الحاشري

عنا الله عنه



تطلب إصداراتنا من مكتبة ابن تيمية

إب - شارع العدين الأعلى - أمام جامع عمر بن عبد العزيز - ت ٤١١٣١٠٠ / ٠٤ - جوال ٧٧٧٤٤٧٥٢

داركم المتميزة

دار القسمة
للطباعة والنشر والتوزيع

١٩-١٧ شارع خليل الخياط - ميفنوكامل - إسكندرية
ت ٥٢٢٢٠٠٢

دار الأمل
للطباعة والنشر والتوزيع

